دار الرشيد للنشر

الشعوبية

حركة مضادة للإسلام والأمة العربية

الدكتور

عبد الله سلوم السامرائي



الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والأعلام
دار الرشيد للنشر

عن هذا الكتاب ..

● تعالت الدعاية للحركة الشعوبية ما بين عامي ١٩٥٩،١٩٦٣ ، حيث كان الاحتراب عليها وفيها عميقا واسعا ، وكثرت الادعاءات واختلطت اوراق الاتهام فراحت الاحكام بشأنها ذات اليمين وذات الشمال وصار من الصعوبة الوقوف على معالمها وتميز مالها وما عليها .

● من هذا المنطلق نقدم هذه الدراسة محاولين من خلالها الوقوف على هذه الحركة التي استهدفت الأمة العربية بكل مقوماتها ، حيث ابتدأت بالدعوة الى المساواة بين العرب وغيرهم وتحولت الى تفضيل غير العرب عليهم وانتهت الى شتمهم والحط من مكانتهم . ولهذا جازلنا ان نطلق عليها شعوبية عنصرية ، وان نفتش عن اسباب ظهورها وعوامل شدتها .. والوقوف على حجم ومبررات اخرى لاتعطي لها الحق في حدة معركتها ومجابهتها ..

● لقد ادركت الحركة الشعوبية ان قوة الأمة العربية في الاسلام وتفاعلها معه ، فعملوا على فصل هاتين القوتين مثبتة في الدين شوائب وزوائد ، وادمت الأمة بحراب اثخنت جسدها بجراح دامية ، الا انها تناست ان الأمة الحية لا تموت وها هي يقظتها تبدأ في ادراك الواقع الفاسد والعمل على التحرك ضده لتعود قوية موحدة مندفعة من جديد لأداء دورها الحضاري والأنساني ..

السعر : ٢٠٠ فلس

تصميم الغلاف سوسن عبدالحميد

دار الحرية للطباعة - بغداد

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والأعلان

دار
الرشيد للنشر

منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية

١٩٨٠

سلسلة دراسات
(٢٢٨)



الشعوبية

حركة مضادة للإسلام والأمة العربية

الدكتور

عبد الله سلوم السامرائي

المقدمة

هذه دراسة في الشعوبية التي قامت كحركة مناهضة للامة العربية اثر ظهور الاسلام وقيام دولته العربية .

لقد تولت الدولة العربية حمل رسالة الاسلام ، وعملت على تحرير البلاد العربية من النفوذ البيزنطي والفارسي ، وتقدمت خارج الارض العربية تبشر بالاسلام وتسعى لهداية الناس ، فاصطدمت بشعوب كثيرة ، وقامت في وجهها حركات مقاومة عنيفة كانت قوتها تتناسب طرديا مع قوة تلك الشعوب ودرجة وعيها ، فكانت هذه المقاومة على اشدها في البلاد الايرانية التي ورثت حضارة متقدمة وحكما منظما وديانات ثنوية معقدة ، كما كانت لهذا الشعب مصالح واسعة في العراق واليمن انتهت أثر عمليات التحرير العربية .

لقد تمكنت المقاومة من صهر معظم حركات المقاومة الاخرى وصبغها بصبغة فارسية ، ولذلك اقتصرت هذه الدراسة على المقاومة الفارسية لانها المقاومة التي واصلت المعركة الى مداها الاخير وكانت لها أهداف خاصة بها توسلت بكل الوسائل في سبيل تحقيقها .

لقد كان للشعوبية اثار بعيدة في تاريخ العرب تمثلت في جوانب عدة من حياتهم ، فقد استغلت الشعوبية التدوين اوسع استغلال فوضعت الكتب في تشويه اثار العرب وتاريخهم ودينهم ، وكانت وراء معظم الاحداث التي واجهت الامة العربية وعملت على محاربتها .

وهكذا وجدت نفسي وانا ابحث في موضوع الشعوبية ادور في حلقة مفرغة كبيرة تبدأ من نقطه التصادم بين الدولة العربية والدولة الايرانية ثم اعود الى ذات النقطة التي إبتدأت منها .

لقد امتدت ساحة المعركة بين الامة العربية والشعوبية على رقعة واسعة امتدت من الحجاز الى خراسان عبر بلاد العراق كما تمثلت في بلاد الشام واليمن والعراق معرجة الى شمال افريقيا والاندلس وفي مناطق اخرى حيث يقيم الموالي .

وعلى الرغم من قوة المعركة التي اثارتها الشعوبية والنتائج البعيدة التي أسفرت عنها ، فان معظم مؤلفات الشعوبية قد فقدت في حومة المعركة بين العروبة والشعوبية ، ولم يبق منها ما يعبر عن رأي الشعوبية بصورة مباشرة سوى أبيات من الشعر متناثرة هنا وهناك في بعض الدواوين الشعرية ، الى جانب أقوال وآراء متفرقة في بعض كتب الادب والمثالب كما في كتاب النقائض وكتاب العققة لابي عبيدة معمر بن المثنى ، يضاف الى ذلك بعض الآراء التي ذكرها الكتاب العرب في مؤلفاتهم من أجل مناقشة هذه الآراء وتفنيدها والرد عليها ، كما فعل الجاحظ في البيان والتبيين وابن قتيبة في كتاب العرب والخياط المعتزلي في كتابه الانتصار والتوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة وغيرهم ، ولا نستطيع الجزم بأن هذه الآراء المنسوبة الى الشعوبية قد نقلت عنها بصورة صحيحة دون تحريف .

لقد قسمت هذا البحث الى أربعة فصول ، تناولت في الفصل الاول منها أسباب قيام الحركة الشعوبية ، وقد وجدت ان قيام هذه الحركة يرجع الى عاملين أساسيين هما الحضارة الايرانية التي كانت تبعث في شعوبها الثقة والوعي وتثير فيهم روح التحدي في وجه القوى المناوئة له ، والعامل الثاني هو الاسلام الذي تسبب في قيام الدولة العربية وأدى الى ازدهار الحضارة العربية التي اصطدمت مع الحضارة الايرانية بصورة مباشرة فأدى ذلك الاصطدام الى ازالة السلطان الايراني ، فكان لهذا الانتصار العربي رد فعل عنيف أدى الى قيام حركة مقاومة في وجه الامة العربية .

وفي الفصل الثاني تناولت مظاهر الشعوبية ، حيث عملت المقاومة في مجالين مقاومة قامت في وجه الاسلام واستهدفت محاربته وتشويه مبادئه بكل الاساليب وقد تمثلت هذه المقاومة في حركتين كبيرتين هما حركة الغلو وحركة الزندقة . وقد اطلقت على هذه المقاومة ـ الشعوبية الدينية ـ .

وثمة مقاومة أخرى استهدفت الطعن على العرب وتشويه حضارتهم وهدم سلطانهم وتفضيل الشعوب الاخرى عليهم ، وقد اطلقت على هذه المقاومة ـ الشعوبية العنصرية ـ .

وفي الفصل الثالث من هذا البحث عالجت أساليب الحركة الشعوبية وأهدافها . وقد هداني الى ان الشعوبية الدينية كانت منظمة لها أساليبها الخاصة في العمل وتنظيماتها المحكمة في اعداد الدعاة والاتصال بالناس .

وعلى الرغم من ان الشعوبية العنصرية لم تكن منظمة تنظيما يحدد معالمها وأساليبها ويوحدها في حركة واحدة فأن الشعوبية العنصرية كانت تتستر بالاسلام وتعمل على تحقيق أغراضها من خلال التظاهر بالولاء القبلي والولاء السياسي .

ومن متابعة نشاط الحركة الشعوبية وقفت على ان أهدافها تتركز في ثلاثة أمور أساسية متداخلة ، هي تشويه مبادىء الاسلام وهدمها من الداخل بكل الاساليب ، ومحاربة الامة العربية والعمل على ازالة سلطانها وتشويه حضارتها من أجل اعادة السلطة واحياء الحضارة الايرانية .

وقد بحثت في الفصل الرابع موقف العرب من الشعوبية وتتبعت ذلك في مواقف الدولة العربية منذ قيامها أيام الرسول (ص) حتى خلافة المعتصم العباسي .

كما عرضت مواقف الشعب العربي من خلال مواقف الكتاب والشعراء الذين اشتركوا في المعركة ضد الشعوبية بأقلامهم وأفكارهم وأثاروا الشعب ودفعوه للوقوف في وجه الشعوبية فقاوم نشاطها ومزق كتبها وحال دون تحقيق أغراضها .

وبعد هـذا التعريف العام بالبحث أتناول بالتوضـيح مفهوم الشعوبية الذي بموجبه ادخلنا أشخاصا ومواقف في نطاقه ، ولما كانت الشعوبية قد تمثلت في مظهرين يختلفان في الظاهـر من حيث المنطلق والاسلوب فمن الضروري ان نقف على مفهوم هذه الشعوبية في كلا المظهرين .

« فالشعوبية الدينية » هي التي تتمثـل في مواقف وآراء تظاهـر أصحابها بالاسلام وعملوا على محاربته عن طريق التشويه والطعن ، ففرق الغلو التي تسترت بالاسلام بعيدا عن مفهومها الحقيقي وفسرت المبادىء الاسلامية تفسيرا غريبـا لا يتفق وطبيعتها تدخـل في مفهـوم الشعوبية الدينيـة .

والزندقة بكل صورها ـ الدهرية والثنوية وغيرها ـ التي بالاسلام تسترا وبالمجون والظرف امعـانا في التستر واستهدفت محاربة الاســلام بوسائل مباشرة وغير مباشرة تدخل كذلك في مفهوم الشعوبية الدينية .

« والشعوبية العنصرية » حركة تتمثل من مجموعة الآراء والاشخاص والمواقف التي عبرت عن نظرة عنصرية أساسها تفضيل العناصر غير العربية على العرب عن طريق ذمهم والحط من حضارتهم والعمل على ازالة سلطانهم الى جانب الاشادة بحضارة الشعوب الاخرى واعادة سلطانها على حساب العـرب .

هذه محاولة أولية في معالجة أخطر حركة واجهت العرب بعد ظهور الاسلام ، لا ادعي بأني وفيتها حقها في البحث ووقفت على كل ما يتصل بها من معلومات وأبحاث . وكل ما أرجوه ان تكون هذه الدراسـة خطوة في سبيل بحث هذه الحركة تعين من اراد تتبعها .

والله أسأل ان يوفقني للقيام بأبحاث أخرى أشمل دراسة وأعمق بحثا في سبيل خدمة أمتنا وثقافتنا العربية .

الفصل الأول
أسباب قيام الحركة الشعوبية

اولا : تأثير الحياة الدينية والسياسية في وعي الشعب :

ان قيام أية حركة لا يجيء مصادفة وانما لكل حركة أسباب خاصة بها تؤدي الى قيامها . والشعوبية من الحركات التي كانت وليدة أسباب كثيرة تفاعلت مع بعضها اثر ظهور الحركة الاسلامية ، وأهم تلك الاسباب الحضارة الايرانية وما خلقته من اثارة الوعي في شعوبها ، والاسلام ودولته العربية واصطدامها مع الدولة الايرانية فكانت الشعوبية نتاج هذا التصادم بين الحضارة الايرانية والحضارة العربية .

لقد قامت في ايران دول متعاقبة يرجع تاريخها الى ما قبل المسيح[1] « عليه السلام » واستمرت حتى ظهور الاسلام ، وكانت الدولة الايرانية دولة منظمة يقوم نظامها على الادارة المركزية ، فهناك الملك الذي يمثل السلطة الدينية والزمنية فهو ظل الله في الارض[2] ولذلك كان الفرس يقدسون ملوكهم وكانت عبادة الملوك مشهورة عندهم »[3] وقد وضع الملوك فكرة الحلول من أجل اضفاء صفة التقديس لهم وان « الشاهنشاه

---

(١) انظر الطبري : تاريخ الامم والملوك ج١ ص ٢٩٣ الطبعة الحسينية ، والبيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية ص ١٠٣ ـ ١٢٦ ، طبعة لايبزك سنة ١٩٢٣م .

(٢) Browne: Literary History of Persia, Vol. I, p. 130.

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية ، الترجمة العربية ص ٧٥ ، مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٣٤م .

هو تجسيد روح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء الى الابناء »[٤] .

وهناك مناصب رئيس الوزراء ورئيس الموابذة وقائد الجيش وحكام الاقاليم المرازبة[٥] .

وكان المجتمع الايراني مجتمعا طبقيا فهناك الاشراف ورجال الدين ورجال الحرب والكتاب وعامة الشعب من زراع وصناع ومن بين هؤلاء جميعا كان الدهاقين رؤساء القرى[٦] .

وكانت الصلة بين الدين والدولة وثيقة في الحضارة الايرانية وبخاصة في العهد الساساني[٧] وكان لهذه العلاقة أثرها في الحركة العمرانية والثقافية من ناحية وفي مواجهة التحديات الخارجية المختلفة من ناحية أخرى .

لقد توسعت الدولة الايرانية فشملت مناطق واسعة خارج حدود البلاد الايرانية « حتى ان ملوك الارض في فترات كانت تحمل الى بهمن الملك الاتاوة »[٨] وقد اصطدمت الدولة الايرانية مع الدولة الرومانية فترات طويلة واصبحت « مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين واستولت برا وبحرا على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم »[٩] .

---

(٤) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ، الترجمة العربية ص ٢٤١ (مطبعة لجنة التاليف والنشر) القاهرة سنة ١٩٥٨م . وساشير اليه : الخوارج والشيعة وساعتمد هذه الطبعة .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الترجمة العربية ج٢ ص ٤١٧ (مطبعة لجنة التاليف والنشر) القاهرة سنة ١٩٥٠م .

(٦) كتاب التاج المنسوب للجاحظ : ص ٢٥ ، المطبعة الاميرية القاهرة سنة ١٩١٢م الطبعة الاولى .

(٧) كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين الترجمة العربية ص ١٣٠ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٥٧م . وساعتمد هذه الطبعة .

(٨) الطبري : ج٢ ص٤ الطبعة الحسينية وهو بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب الذي تولى الحكم بعد وفاة الملك كشتاسب الذي ظهر زمن زرادشت ـ انظر مروج الذهب ج١ ص ١٤٣ .

(٩) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية الترجمة العربية ط٣ دار المعارف القاهرة بلا تاريخ . وساعتمد هذه الطبعة .

وكانت أرض السواد من المناطق التي سيطرت عليها الدولة الايرانية فترة طويلة من الزمن كانت العلاقة فيها بين عرب العراق والدولة الايرانية علاقة يشوبها الاختلاف والتنافر فهي علاقة الحاكم المستعمر بالشعب المستعمر وكان العرب يشعرون بثقل هذه السيطرة ويتطلعون الى الخلاص منها لذلك استمرت المنازعات بين العرب والدولة الايرانية ولاسيما في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام[١٠] .

وكان للديانات الايرانية أثرها البعيد في حياة الشعب الايراني ، فالمعتقدات الدينية قبل زرادشت والزرادشتية والمرقونية والديصانية والمانوية والمزدكية كلها ديانات ثنوية ، ولما كان التوحيد هو الركن الاساسي في العقيدة الاسلامية فان اصطداما حادا ومستمرا وقع بين الثنوية الايرانية والتوحيد الاسلامي لذلك يحسن ان نقدم صورة واضحة للديانات الايرانية من حيث أثرها في نشر الوعي واثارة التحدي الذي وجه الى الاسلام .

في المصادر العربية اشارات صريحة الى وجود ديانة عند الفرس قبل الزرادشتية لان ظهور زرادشت في أيام الملك بشتاسف وقبوله الزرادشتية أثار غضب الفرس مما دفع عامله رستم الى التعبير عن غضبهم قائلا « ترك دين آبائنا الذي توارثوه آخرا عن أول وصبا الى دين محدث »[١١] ولم يوضح الدينوري دين هؤلاء الآباء قبل بشتاسف ، كما انه لم يبين الآراء والمعتقدات التي أثارت غضب الفرس وليس أدل على مدى تمسك الفرس بالمعتقدات القديمة فانهم نهوا « الناس عن السيرة بشيء مما ابتدع زرادشت .... وقتلوا بشرا كثيرا ثبتوا عليها »[١٢] ، ولم يشر الطبري بشيء الى المعتقدات التي انتشرت قبل الزرادشتية ولم يوضح أسباب الحملة عليها . ويشير ابن الجوزي الى وجود ديانات وأنبياء قبل زرادشت

(١٠) انظر الطبري ج ٢ ص ٧٠ ــ ٩٤ الطبعة الحسينية .
(١١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٥ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة سنة ١٩٦٠م . وسأعتمد هذه الطبعة .
(١٢) الطبري : ج١ ق٢ ص ٨٩٤ ، طبعة ليدن . سنة ١٨٨١ ــ ١٨٨٢م .

فيقول « وكان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تابع مدعو النبوة عليهم حتى اشتهر بها زرادشت »[١٣] الا ان ابن الجوزي لم يذكر شيئا عن آراء « كومرث » كما لم يذكر أسماء الانبياء الآخرين ولم يوضح آراءهم .

اما كريستنسين فيعتبر الديانة المترية هي الديانة السابقة للزرادشتية ويرى انها كانت متأثرة كثيرا بعلم النجوم الكلداني ، وعقيدتها ثنوية فيقول « ان الهي الخير والشر كانا أخوين توأمين وهما ولدا زوران الزمان اللامتناهي »[١٤] ويؤيد عباس العقاد كريستنسين من ان فكرة زوران متأثرة بالمعتقدات السامية اذ يقول « ان زوران هذا صنو لاله البابليين نون أو القدر الذي يتسلط على الآلهة كما يتسلط على المخلوقات »[١٥] . ويذكر كريستنسين الخرافة الدينية المتعلقة بخلق الدنيا وظهور العقيدة الثنوية وهي « ان زوران الاله الاقدم ظل يقدم القرابين زهاء ألف سنة لكي يكون له ولد يسميه اهورامزدا ولكنه في آخر الامر أخذ يشك في فائدة ما قدم من قرابين وحينئذ ظهر ولدان في بطنه احدهما « اهورامزدا » لانه قدم القرابين والثاني « اهرمن » لانه شك فيما يفعل »[١٦] فاهورامزدا اله الخير وأهرمن اله الشر وهكذا نشأت العقيدة الثنوية التي ظلت العلامة المميزة للديانات الايرانية التالية والصفة المشتركة لها .

والزرادشتية نسبة الى زرادشت ابن اسفيان الذي ظهر أيام الملك بشتاسف وادعى النبوة ووضع اسس الديانة الزرادشتية[١٧] في كتاب

---

(١٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٧٣ ، مطبعة المنيرية القاهرة ١٢٤٧هـ . وسأعتمد هذه الطبعة .
(١٤) ايران في عهد الساسانيين ص ٢٢ .
(١٥) العقاد : كتاب الله ص ٧٨ ، سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة بلا تاريخ .
(١٦) ايران في عهد الساسانيين ص ٢٢ .
(١٧) الطبري ج١ ص ٢٩٢ الطبعة الحسينية . المسعودي – مروج ج١ ص ١٤٢ .

الانــا الذي في يد المجوس »[١٨] .

لقد أمن الملك بشتاسف بما جاء به زرادشت ولم يعبأ بغضب الفرس مما شجع المواطنين على الايمان بهذه الديانة وقد تزايد عدد المعتنقين لها تدريجيا وثبتوا عليها ولم ينتهوا عنها[١٩] حتى اصبحت الزرادشتية هي الديانة السائدة وأصبح « الفرس يدينون بما اورده زرادشت في المجوسية »[٢٠] ، وامست الزرادشتية الديانة الرسمية أيام الساسانيين واستمرت حتى الفتح الاسلامي[٢١] .

والزرادشتية من الديانات الثنوية « اثبتوا اصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ... ويسمون احدهما النور والثاني الظلمة »[٢٢] .

وفي المجال الاجتماعي كانت الزرادشتية « يستحلون زواج الامهات وقالوا الابن احرى بتسكين شهوة امه واذا مات الزوج فابنه اولى بالمرأة »[٢٣] ويؤيد بارتولد ما ذهب اليه ابن الجوزي بقوله ان الزرادشتية « أباحت زواج الأب من البنت والابن من الأم والأخ من الاخت »[٢٤] ولم أجد ما يؤيد ابن الجوزي وبارتولد في المصادر التي رجعت اليها ولعلهما يخلطان بين الزرادشتية والمزدكية .

---

(١٨) انظر الاخبار الطوال ص ٢٥ و Browne, Vol. I. p. 96

(١٩) الطبري : ج١ ق٢ ص ٨٩٤ طبعة ليدن ١٨٨١-١٨٨٢م .

(٢٠) البيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٧ طبعة لايبزك سنة ١٩٢٣م وساشير له : الاثار الباقية ، وساعتمد هذه الطبعة في الصفحات القادمة .

(٢١) ايران في عهد الساسانيين ص ١٢٠ .

(٢٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ٧٢-٧٣ المطبعة الادبية القاهرة سنة ١٣٢٠هـ . وساشير له : الملل والنحل وساعتمد هذه الطبعة . الطبعة الاولى .

(٢٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٧٣ .

(٢٤) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ ط٣ .

والمرقونية تنسب الى مرقيون الذي وضع اسسها[٢٥] ، وعقيدتها ثنوية كغيرها من الديانات الايرانية[٢٦] ، وتختلف المرقونية عن الزرادشتية بوجود الكون الثالث فقد « زعمت ان الاصلين القديمين النور والظلمة وان ههنا كونا ثالثا مزجها وخالفها »[٢٧] ولم يوضح ابن النديم ولا ابن حزم كيف حدث الكون الثالث كما انهما لم يوضحا طبيعة هذا ويقول الشهرستاني « المرقونية اثبتوا اصلين قديمين متضادين احدهما النور والآخر الظلمة واثبتوا اصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج »[٢٨] وكذلك يذكر الشهرستاني أسباب وجود الكون الثالث على حد تعبير المرقونية « وقالوا وانما اثبتنا المعدل لأن النور هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان وأيضا فأن القديمين يتنافران طبعا ويتمانعان ذاتا وتفسا فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلابد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيرفع المزاج معه »[٢٩] .

والعقيدة المرقونية متأثرة بالزرادشتية والمسيحية وذلك « لأن مرقيون وابن ديصان سمعا كلام عيسى وأخذا منه الى جانب اخذهما من الزرادشتية »[٣٠] .

---

(٢٥) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ٢٠٠ طبعة باريس ، ١٨٦١م .
(٢٦) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٨٩ ، دار الصاوي للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٣٨م .
(٢٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٨ مطبعة الاستقامة القاهرة بلا تاريخ وساشير اليه : الفهرست وهي الطبعة التي ساعتمد عليها .
وابن حزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ج١ ص ٢٥–٢٦ القاهرة المطبعة الادبية سنة ١٢١٧هـ الطبعة الاولى وساشير اليه : الفصل في الملل وهي الطبعة التي ساعتمد عليها .
(٢٨) الملل والنحل ج١ ص ١٩٥–١٩٦ .
(٢٩) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٩٥–١٩٦ .
(٣٠) البيروني : الاثار الباقية ص ٢٠٧ .

واما الديصانية فانها تنسب الى ابن ديصان[31] الذي وضع مبادئها وسمى بذلك لانه ولد على نهر يقال له ديصان واليه انضيفت الديصانية[32] .

والديصانية من الديانات الثنوية ، فقد ادعى ابن ديصان « ان النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر ... وان النور حي حساس والظلمة موات »[33] الا ان ابن ديصان لم يوضح كيف ان الظلمة الموات خلقت الشر .

وذهب ابن ديصان الى ما ذهبت اليه المرقونية من وجود عالم ثالث فقال « ان الكونين النوري والظلامي قديمان ومعهما شيء قديم ثالث لم يزل خلافهما وخارجا عن خارجيهما وهو الذي حل الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المعدل بينهما لما كان في جوهرهما الا التباين والتنافر »[34] وعلى هذا فان الديصانية قالت بوجود ثلاثة عوالم ولم تحتج الى وضع تفسير لكيفية وجود العالم الثالث واعتبرت مهمته الفصل بين عالم النور وعالم الظلمة فقط .

وقد وضع ابن ديصان عدة مؤلفات منها « كتاب النور والظلمة ، وكتاب روحانية الحق ، وكتاب المتحرك والجماد وله كتب كثيرة »[35] ، ولم نقف على أي من هذه الكتب ولعلها فقدت ، ولاشك انها قد لعبت دورا في تثبيت العقيدة الثنوية . وابن ديصان أول من مهد لفكرة الحلول حيث انه « زعم .. ان نور الله قد حل قلبه »[36] .

---

(٣١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٨ .
(٣٢) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ٢٠٠ طبعة باريس .
(٣٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٨٩ .
(٣٤) المقدسي : البدء والتاريخ ج١ ص ١٤٢-١٤٣ ، باعتناء كلمان هوار باريس سنة ١٨٩٩م . وساعتمد هذه الطبعة . وهو لابي زيد البلخي .
(٣٥) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٨ .
(٣٦) البيروني : الاثار الباقية ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

والمانوية هي الديانة التي وضع اسـها ماني « بن فتق بن بابك بن أبي برزام »[٣٧] وهو « فارسي أظهر دين المانية وزعم انه نبي »[٣٨] ، وكان ظهور ماني زمن الملك سابور بن اردشير الذي تولى الملك[٣٩] سنة ٢٤٢م ٠

ولقد تأثر ماني بالزرادشتية والمسيحية والديصانية فقد « أخذ من ابن ديصان مذهبه وخالفه في المعدل »[٤٠] ، ووضع دينا بين المجوسية والنصرانية[٤١] . وادعى النبوة « وانه الفارقليط[٤٢] وانه خاتم النبيين »[٤٣] ٠

وركز ماني العقيدة الثنوية فأكد ان العالم مركب من أصلين قديمين احدهما نور والآخر ظلمة وانهما أزليان ٠٠ ولم يزالا قوتين حساستين سميعين بصيرين[٤٤] . ولم يذهب ماني الى ما ذهبت اليه المرقونية والديصانية من وجود عالم ثالث واكتفى بالقول « ان مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل عن الآخر ٠٠ وذلك الكون النير مجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما »[٤٥] ٠

---

(٣٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٠ .

(٣٨) ابن البطريق : نظم الجوهر ص ١١١ ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، سنة ١٩٠٥-١٩٠٩ .

(٣٩) انظر ايران في عهد الساسانيين ص ١٦٩ Browne, Vol. I, p. 154

(٤٠) الملل والنحل ج١ ص ١٩٥-١٩٦ .

(٤١) المصدر السابق ج١ ص ١٩٥-١٩٦ .

(٤٢) الفارقليط هو النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام ، انظر الفهرست : ص ٤٧٢ .

(٤٣) البيروني : الاثار الباقية ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٤٤) الشهرستاني : انظر الملل والنحل ج١ ص ١٨٨-١٩٠ ، والفهرست ص ٤٧٢-٤٧٣ .

(٤٥) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٢-٤٧٣ .

وثبت ماني في ديانته فكرة الحلول التي أخذها من الهند حين نفي اليها ، كما يقول البيروني[٤٦] ، ومن المحتمل انه أخذها من ابن ديصان الذي ادعى ان نور الله قد حل في قلبه كما ذكرنا ، وكذلك قال ماني بالتناسخ فزعم « ان النفوس لا تموت وانها في الترديد منقلبة الى شبه كل صورة هي لابسة ودابة قبلت فيها »[٤٧] ، وفرق ماني بين تناسخ أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلال ، ومن خلال هـذه التفرقة نسف فكرة المعاد فقال « فأرواح الصديقين اذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح الى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم ، وأرواح أهل الضلال اذا فارقت الاجساد وارادت اللحوق بالنور الاعلى ردت منعكسة الى الاسفل »[٤٨] .

ومن معتقدات المانوية « انهم لا يرون الذبيحة ولا يأكلون اللحم ولا شيئا من الحيوانات »[٤٩] ويحرمون من الماء الطهور ولا يقرون الغسل به[٥٠] ، كما وضع ماني عبادات منها الصلاة على أوقات تبدأ الصلاة الاولى منها عند الزوال والثانية بين الزوال وغروب الشمس ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات ، وكذلك فرض ماني صياما امده ستة وثلاثون يوما[٥١] .

---

(٤٦) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة ص ٢٧ ، طبعة لايبزك سنة ١٩٢٥ وسأشير اليه .

(٤٧) البيروني : تحقيق ما للهند ص ٢٧ .

(٤٨) البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ١٦٢ ، تحقيق الكوثري ونشر عزت العطار ، القاهرة ١٩٤٨ .
وسأشير اليه : الفرق بين الفرق ، وساعتمد هذه الطبعة .

(٤٩) ابن البطريق : نظم الجوهر ص ١٤٦ .

(٥٠) انظر المصدر السابق ص ١٤٦ والطبري ج١٠ ص ٤٢ الطبعة الحسينية .

(٥١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٠ .

لقد اضطهد الملوك الساسانيون المانوية اضطهادا شديدا ، فانه لما أظهر ماني ديانته في أيام الملك سابور طلبه فلم يظفر به[٥٢] ، وعندما تولى هرمز ابن سابور الملك القى القبض على ماني وجمع عددا كبيرا من الناس وقال : هذا الرجل اعلن ضرورة قتل الناس لخلاص العالم ولهذا فمن الضروري ان ابدأ بقتله من أجل خلاص العالم منه فقتله وعلق جسده على باب مدينة جند سابور التي تعرف الى الآن ببوابة ماني[٥٣] .

وبرغم هذا الاضطهاد استمرت المانوية وتحولت الى حركة سرية وبقيت كذلك في الفترة الاسلامية واستطاعت استقطاب عدد كبير من الفرس وكان لها أثر بعيد في تنشيط الحركة العلمية أبان القرن السابع الميلادي ـ القرن الاول الهجري حيث دونت آداب المانوية باللغة الايرانية[٥٤] ، ولم يقتصر نشاط المانوية على جهة واحدة بل شملت جهات مختلفة من البلاد الايرانية حتى غدا لها تأثير بعيد في ازدهار الحضارة الايرانية[٥٥] .

والمزدكية وضع اسمها مزدك الذي ظهر في أيام الملك قباذ[٥٦] بن فيروز وذلك في أواخر القرن الخامس الميلادي[٥٧] وهي من العقائد الثنوية « كقول كثير من المانوية في الكونين والاصلين »[٥٨] ، وتختلف المزدكية عن المانوية لانها اعتبرت « النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق . والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى »[٥٩] وحرمت المزدكية كالمانوية أكل لحم الحيوان[٦٠] .

(٥٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٤٩ .
(٥٣) انظر : الاخبار الطوال ص ٤٩ والآثار الباقية ص ٢٠٧ـ٢٠٨ و Browne, Vol. I p. 158.
(٥٤) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٤٨ .
(٥٥) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٠ .
(٥٦) الطبري : ج٢ ص ٨٨ . الطبعة الحسينية ، والفهرست ص ٤٩٣ .
(٥٧) كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ص ٣٢٠ .
(٥٨) Browne, Vol. I, pp. 166-171
(٥٩) الملل والنحل ج١ ص ٨٦ .
(٦٠) المصدر السابق ج١ ص ٨٦ .

ولقد احدثت المزدكية انقلابا عنيفا في النظام الاجتماعي الايراني وذلك لانها قالت « ان الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي .. ودعت .. انه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو باولى بها من غيره »[٦١] . وأضاف ابن النديم[٦٢] ان مزدك دعا الى « مشاركة في الحرم والاهل فلا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه » .

فقد أباح النساء لكل من شاء[٦٣] . والذي حدا مزدك الى وضع هذه الآراء ما كان لاحظه من التباين بين الناس في الاموال والنساء والامتعة[٦٤] . فدعا الى مساواة بدائية بان « تكون النساء والاموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلا »[٦٥] .

ولقد أخذ الملك قباذ بآراء مزدك وطبقها في السنوات العشر الاولى من ملكه[٦٦] ، ولاسيما ما يتعلق منها بالمشاركة في الاموال وكان يرمي من وراء ذلك الى تحطيم نفوذ رجال الدين والنبلاء[٦٧] . وقد أدرك هؤلاء خطورة هذه المبادىء فأعلنوا الثورة على قباذ وعزلوه عن العرش ونصبوا أخاه جا ماسب مكانه[٦٨] . وحبس قباذ ولكنه استطاع ان يفر من محبسه ويعود ثانية الى الملك ، ولم يتنكر قباذ للمزدكية ولم يندفع في تطبيق مبادئها ويبدو انه « تعهد ان يكون حذرا وأكثر حيطة مع المزدكية »[٦٩] ولم يعدل

---

(٦١) الطبري : ج٢ ص ٨٨ الطبعة الحسينية .
(٦٢) الفهرست ص ٤٩٣ .
(٦٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٧٢ .
(٦٤) ايران في عهد الساسانيين ص ٣٢٩ .
(٦٥) الملل والنحل ج١ ص ٨٦ .
(٦٦) الطبري : ج٢ ص ٨٨ ، الطبعة الحسينية .
(٦٧) انظر ايران في عهد الساسانيين ص ٣٢١ ؛ وبروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية الترجمة العربية ج١ ص ١٠٩ ، دار العلم للملايين ط٣ بيروت سنة ١٩٦٠ .
(٦٨) ايران في عهد الساسانيين ص ٣٣٤ .
(٦٩) المصدر السابق ص ٣٣٤ .

قباذ عن المزدكية الا بعد ان وقف على بطلان دعوة مزدك أثر مناقشة جرت بين مزدك والموبذ وفي ذلك يقول الفردوسي « فقال الموبذ لمزدك : ايها الرجل قد اتيت بدين جديد ابحت فيه النساء والاموال ويلزم في ذلك الا يعرف الوالد ولده ولا الولد والده ... واذ استووا فمن يتعين للرياسة ويترشح للسياسة ؟! وأخذوا في المناظرة والمباحثة حتى انقطع مزدك فرجع قباذ عن دينه »[٧٠] وانتهت هذه المناظرة التي وقعت في سنة ٥٢٩ ميلادية بقتل عدد كبير من أنصار المزدكية على يد الجند فتحولت المزدكية « الى جماعة سرية وعاشت على هذا النحو في أيام الدولة الساسانية ثم عادت الى الظهور من جديد في العصور الاسلامية »[٧١] .

لقد وجدت الطبقة العامة في المزدكية متنفسا فانتشر اتباعها بين هذه الطبقة وبهذا الصدد يقول الطبري « فافترص السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم »[٧٢] وهذا يفسر الالتفاف الواسع للموالي حول الفرق الغالية التي قالت بالاباحية وفي هذا يقول فلهاوزن « ان شيوعية الزوجات التي كان قد دعا اليها مزدك احيتها الخرمية والراوندية »[٧٣] فالخرمية التي ظهرت في دولة الاسلام هي لقب للمزدكية الذين أباحوا النساء والمحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم في نهاية المذهب وان خالفوهم في مقدماته[٧٤] .

كان لهذا كله أثره البعيد في اثارة الوعي في الشعب الايراني الذي ظهر بمظهر التحدي ووقف من الاسلام والدولة العربية موقفا يتسم بالمعارضة ، وهذا الوعي هو الذي اثار التحدي واجج روح الشعوبية في

---

(٧٠) الفردوسي : الشاهنامه ، الترجمة العربية ج٢ ص ١١٩ الطبعة الاولى مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م .

(٧١) ايران في عهد الساسانيين ص ٣٤٥ـ٣٤٦ .

(٧٢) الطبري : ج٢ ص ٨٨ الطبعة الحسينية .

(٧٣) فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، الترجمة ص ٤٠٨ ، ترجمة يوسف العش . مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٦م .

(٧٤) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١٠٢ .

الشعب الايراني . وكان للديانات الايرانية الاثر الاكبر في اثارة هذا الوعي وذلك لان هذه الديانات « أقوى مثل للذات الايرانية المجوسية وان الدعوة اليها تنطوي على وعي ايراني بين المجوس وعلى جهد لمكافحة الاسلام وحملته العرب »[٧٥] .

ثانيا ــ الاسلام واثره :

١ ــ الاسلام والصراع مع الثنوية :

كان لظهور الاسلام أثر بعيد في حياة العرب والشعوب الاخرى المجاورة وبخاصة الشعب الايراني ، فقد أدى هذا الظهور الى حدوث تصادم حاد ومتصل بين مبدأ التوحيد الاسلامي والثنوية الايرانية ، كما تسبب هذا الظهور في قيام الدولة العربية التي نشرت الاسلام وحررت البلاد العربية من النفوذ الاجنبي واخضعت شعوبا أخرى . فخلقت منازعات بين العرب والموالي عملت على ظهور الشعوبية وتغذيتها وتوسيعها واستطاعت من خلال تلك المنازعات ان تلعب دورا بعيد الاثر في حياة هؤلاء واولئك .

ان مبدأ التوحيد الذي يعتبر الركن الاول من العقيدة الاسلامية هو كما يقول الامام محمد عبدة « علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب ان يثبت له من صفات وما يجوز ان يوصف به وما يجب ان ينفى عنه وعن الرسل لاثبات رسالتهم وما يجب ان يكونوا عليه وما يجوز ان ينسب اليهم وما يمتنع ان يلحق بهم »[٧٦] .

ولقد اعتبر القرآن الكريم الشرك أكبر الكبائر التي لا تغتفر فذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون

(٧٥) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٧٣-٧٤ ، منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٢م .
(٧٦) محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٤ ، الطبعة السابعة القاهرة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .

ذلك لمن يشاء »[77] ولقد نزل كثير من الآيات مؤكدة أهمية التوحيد ومعللة صحته حيث يقول الله سبحانه وتعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »[78] ويضيف جل شأنه « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض »[79] ، ويعلل الله سبحانه ضرورة مبدأ الوحدانية بقوله « قل لو كان معه الهة اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا »[80] ونظرا لانتشار العقيدة الثنوية وخطورة نشاطها كانت الآيات تنزل مهددة ومحذرة أصحاب هذه العقيدة « لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون »[81] « يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم في السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون »[82] والى جانب آيات التحذير آيات للترغيب « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[83] ويكرر الله سبحانه وتعالى تحذيره « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا آله الا انا فاعبدون »[84] .

وتطالب الآيات القرآنية أصحاب العقائد الثنوية وغيرهم اثبات قدرة آلهتهم « قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا في الارض ام لهم شرك في السموات »[85] وكذلك يؤكد سبحانه وتعالى قدرته ووحدانيته « ذلك الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء

---

(٧٧) سورة النساء ٤ آية ٤ .
(٧٨) سورة الاحزاب ٣٣ آية ٤٠ .
(٧٩) سورة المؤمنون ٢٣ آية ٩١ .
(٨٠) سورة الاسراء ١٧ آية ٤٢ و٤٣ .
(٨١) سورة النحل ١٦ آية ٥١ .
(٨٢) سورة فاطر ٣٥ آية ٣ .
(٨٣) سورة الكهف ١٨ آية ١١٠ .
(٨٤) سورة الانبياء ٢١ آية ٢٥ .
(٨٥) سورة الاحقاف ٤٦ آية ٤

وكيل »[٨٦] .

هذه أمثلة من الآيات التي تكشف عن أهمية مبدأ التوحيد في الاسلام وقد ذكرنا من قبل ان كل الديانات الايرانية ثنوية لذلك نرى عقيدة التوحيد تصطدم بالعقيدة الثنوية اصطداما مباشرا منذ بعث محمد « صلى الله عليه وسلم » رسالته الى كسرى ابرويز يدعوه فيها الى الاسلام وقد بقي هذا التصادم طوال عهد الدولة العربية وكانت الشعوبية من أهم نتائج هذا التصادم .

٢ ـ القرآن واستغلال الشعوبية بعض آياته :

القرآن الكريم دستور الحركة الاسلامية والمصدر الاول والاهم لها وهو « خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ »[٨٧] ولهذا اختلف المفسرون في تفسير آياته واستند اليه المتخاصمون في اثبات معتقداتهم والرد على خصومهم . ولهذا نرى القرآن « يخاصم به المرجيء والقدري والزنديق »[٨٨] ويرى نلينو "Nallino" « ان المسائل الكلامية في القرنين الاول والثاني للهجرة نشأت كلها تقريبا عن اختلافات في تفسير عبارات والفاظ وردت في القرآن »[٨٩] .

وقد استغل الغلاة والزنادقة بعض آيات القرآن لدعم ارائهم وتثبيت معتقداتهم . ويبدو ان هؤلاء وأمثالهم كانوا قد ظهروا في حياة الرسول (ص) فأشار سبحانه وتعالى اليهم بقوله « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

---

(٨٦) سورة الانعام آية ١٠٢

(٨٧) الكليني : اصول الكافي ج ٥ القسم الاول ١٢١ تحقيق عبدالحسين المظفر ـ النجف ١٩٥٧م وسنعتمد هذه الطبعة .

(٨٨)المصدر السابق ج ٥ القسم الاول ص٩ ـ ١٠

(٨٩) عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامي ص٢٠١ ، مطبعة الاعتماد القاهرة سنة ١٩٤٠ .

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله »[90] .

ولما أراد المختار بن أبي عبيد الثقفي ان يبرر لانصاره عدم تحقيق ما وعدهم به من نصر الله تعالى اياهم قال « بالبداء » وادعى بأن الله قد وعده بالنصر فبدا له فعدل عن وعده ولم ينس المختار ان يدعم قوله هذا بآية من القرآن فادعى بأن الله قد وعده بالنصر الا انه قد عدل عن قراره وهـذا جائز عنـد الله بدليل قوله « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنـده ام الكتاب »[91] ، وان في قوله تعالى « قضى اجلا وأجل مسمى عنده »[92] تاكيدا لفكرة البداء .

ولمـا كانت العقـائد الثنوية تقـول بوجود الهين فان أصحابها ظلوا يتلمسون آية يستغلونها في تفسير دعواهم وتبرير رأيهم فادعى ابو شاكر الديصاني ان في القرآن آية هي قولنا وهي « وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله »[93] ، على انه ليس ثمة علاقة بين عقيدة الثنوية وهذه الآية « فان الله ربنـا في السماء اله وفي الارض اله وفي البحار اله وفي القفار اله وفي كل مكان اله »[94] على حد تعبير الامام الصادق (ع) .

وتلمس الغلاة والزنادقة آيات من القـرآن لتبرير قولهـم بالحلول والتناسخ فادعوا ان في قوله تعالى « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي »[95] وفي قوله تعالى « ثم سـواه ونفخ فيـه من روحه »[96] وقوله جل شـأنه « والتي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا »[97] وقوله عز وجل « ومريم ابنـة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا »[98] تاكيدا لفكرة

---

(٩٠) سورة ال عمران ٣ آية ٧
(٩١) سورة الرعد ١٣ آية ٤١
(٩٢) سورة الانعام ٦ آية ٢
(٩٣) سورة الزخرف ٤٣ آية ٨٤
(٩٤) الكليني : اصول الكافي ج٢ ص١٧٣ – ١٧٤
(٩٥) سورة الحجر ١٥ آية ٢٩
(٩٦) سورة السجدة ٣٢ آية ٩
(٩٧) سورة الانبياء ٢١ آية ٩١
(٩٨) سورة التحريم ٦٦ آية ١٢

الحلول والتناسخ وتبريرا للقول بها وعلى هذا تكون روح آدم وروح عيسى جزءا من روح الله[99] ومن ثم احلوا روح الله في الانبياء والائمة .

واستغل زنديق آخر قوله تعالى « ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى »[100] فجاء الى الامام أبي عبدالله جعفر الصادق فسأله « فله رضا وسخط ؟ فقال أبو عبدالله (ع) نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك ان الرضا حال تدخل عليه فتنقله من حال الى حال ، فرضاه ثوابه وسخطه عقابه »[101] وفي سؤال الزنديق وجواب الامام أبي عبدالله الصادق يتبين لنا ان هذا الزنديق كان يريد ان يقول ان الغضب حالة ينتقل اليها الله سبحانه وتعالى من أجل تشبيه الخالق عز وجل بالانسان .

والدهرية الذين جحدوا الصانع المدبر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع[102] ، هم الذين قال فيهم القرآن الكريم مصورا بدعتهم « ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر »[103] ارادت هي الاخرى ان تجد آية تدعم بها بدعتها فأدعت ان في قوله تعالى « ليس كمثله شيء » دعما لرأيها ، فقد حضر احد هؤلاء الدهرية مجلس أبي الحسن الامام علي (رضي الله عنه) فسأل عن ماهية الله « فقال : رحمك الله اوجدني كيف هو واين هو فقال أبو الحسن : ويلك ان الذي ذهبت اليه غلط هو اين الاين بلا اين وكيف الكيف بلا كيف ، فلا يعرف بالكيفوفية ولا بالاينونية ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء فقال الرجل الزنديق فاذا انه لا شيء اذا لم يدرك بحاسة من الحواس »[104] .

---

(٩٩) الكليني : اصول الكافي ج٢ ص١٨٥ الحاشية
(١٠٠) سورة طه ٢٠ آية ٨٤
(١٠١) الكليني : اصول الكافي ج٣ القسم الاول ص١٢٧
(١٠٢) الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ص١٧٣ ، ط١ ـ دار احياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ، تحقيق سليمان دنيا وسأشير له : فيصل التفرقة . وسأعتمد هذه الطبعة .
(١٠٣) سورة الجاثية ٤٥ آية ٢٤ .
(١٠٤) سورة الشورى ٤٢ آية ١١ .

وقد فسرت المشبهة والمجسمة آيات من القرآن وفقا لهواها وبدعها ففسروا قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »[١٠٥] وقوله عز وجل « ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار »[١٠٦] وقوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »[١٠٧] وقوله « وكان عرشه على الماء »[١٠٨] بأن العرش كان الماء والرب فوقه وجسوا الله وعرشه تجسيما يؤدي الى الوثنية وفسروا قوله تعالى « فلما اسفونا انتقمنا منهم »[١٠٩] بان الله سبحانه يأسف كأسفنا ويجري عليه من التغيير ما يجري على الانسان[١١٠] .
وفسر المشبهة قوله تعالى (وليس كمثله شيء وهو السميع البصير) بان هناك آلة يسمع بها ويبصر فجاء احدهم يسأل الامام ابا عبدالله جعفرا الصادق (ع) (أتقول انه سميع بصير ؟ فقال أبو عبدالله : هو سميع بصير ، سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي انه سميع بنفسه انه شيء والنفس شيء آخر)[١١١] ومن سؤال هذا الزنديق نرى انه كان يسأل عن آلة السمع والبصر عند الله وأراد أن يشير الى التجسيم والحكم بالتشبيه .

والجبرية التي لم تجعل للانسان أثرا في تصرفاته قد اعتمدت على آيات من القرآن الكريم دعمت بها أقوالها منها قوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها)[١١٢] وقوله (ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا كانما يصعد في السماء)[١١٣] وقوله تعالى

---

(١٠٥) الكليني : اصول الكافي ج٢ القسم الاول ص ٢١-٢٢ .
(١٠٦) سورة طه ٢٠ آية ٥ .
(١٠٧) سورة الاعراف ٧ آية ٥٤ .
(١٠٨) سورة الحاقة ٦٩ آية ١٧ .
(١٠٩) سورة هود ١١ آية ٧ .
(١١٠) سورة الزخرف ٤٣ آية ٥٥ .
(١١١) الكليني : اصول الكافي ج٢ ق١ ص ١٣٢ .
(١١٢) سورة الشمس ٩١ آية ٧ .
(١١٣) سورة الانعام ٦ آية ١٢٥ .

(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[114] وقوله عز وجل (ومن يضلل الله فلا هادي له)[115] وقوله سبحانه وتعالى (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)[116] .

والشعوبية العنصرية ابتدأت دعوتها بالتستر بالاسلام ورددت الآية الكريمة (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[117] وقد تظاهر الشعوبيون بالتمسك بهذه الآية فترات طويلة من حركتهم وتستروا خلفها وكانوا يرددون معها قوله تعالى (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[118] في كل مناسبة يفتخر بها العرب بمحمد باعتباره من العرب ويدعون احتجاجهم هذا بقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة)[119] وبقوله جل شأنه (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم)[120] .

من هذا يتبين لنا ان الشعوبية قد استغلت آيات القرآن استغلالا واسعا ووضعت آراءها ومعتقداتها على أساس تأويل تلك الآيات تأويلا يتفق وميولها السياسية ومعتقداتها الدينية وبذلك يمكن القول بان الاسلام اثار تحديا وحقدا لدى الشعوبيين كما اثار وعيهم وقدم مادة خصبة في في النزاع بين الشعوبية والعروبة .

٢ ــ الاسلام وقيام الدولة العربية

نزل القرآن الكريم على العرب وبلغتهم (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم

---

(١١٤) سورة البقرة ٢ آية ٧ .
(١١٥) سورة الاعراف ٧ آية ١٨٦ .
(١١٦) سورة القصص ٢٨ آية ٥٦ .
(١١٧) سورة الحجرات ٤٩ آية ١٣ .
(١١٨) سورة الاحزاب ٣٣ آية ٤٠ .
(١١٩) سورة الحجرات ٤٩ آية ١٠ .
(١٢٠) سورة الاحزاب ٣٣ آية ٥ .

تعقلون)[١٢١] وقوله تعالى (وهذا لسان عربي مبين)[١٢٢] وكان نزوله على العرب يعني بالبداهة اصطفاء الله سبحانه وتعالى العرب من بين شعوبه لحمل الرسالة فقال عز من قائل (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه)[١٢٣] .

واختيار العرب لحمل الرسالة لم يقع اعتباطا انما يرجع الى ان العرب كانوا على استعداد لقبول الرسالة وحملها والدفاع عنها فقال الله تعالى فيهم (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)[١٢٤] وقد توجه الله سبحانه الى العرب ليوضح اهميتهم ومسؤوليتهم في حمل اعباء الرسالة فقال مخاطبا اياهم (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[١٢٥] كذلك أكد القرآن الكريم مسؤولية العرب بقوله (وكذلك انزلنا حكما عربيا)[١٢٦] وقوله (وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تعلمون)[١٢٧] وقوله تعالى (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا)[١٢٨] ويبدو ان هذا الاختيار قد احدث رد فعل لدى الشعوب غير العربية فاخذت تبث شكوكها وتكشف عن استيائها فجاء جوابه تعالى الى هؤلاء قاطعا (الله اعلم حيث يجعل رسالته)[١٢٩] وقوله (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد)[١٣٠] .

وقد ادرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) أهمية العرب في حمل الرسالة . فقد روى الامامان البخاري ومسلم عن ابن عمر ان النبي قال

---

(١٢١) سورة يوسف ١٢ آية ٢ .
(١٢٢) سورة النحل ١٦ آية ١٠٣ .
(١٢٣) سورة ابراهيم ١٤ آية ٤
(١٢٤) سورة آل عمران ٣ آية ١١٠ .
(١٢٥) سورة البقرة ٢ آية ١٤٣ .
(١٢٦) سورة الرعد ١٣ آية ٣٧ .
(١٢٧) سورة الزخرف ٤٣ آية ٤٤ .
(١٢٨) سورة الاحقاف ٤٦ آية ١٢ .
(١٢٩) سورة الانعام ٦ آية ١٢٤ .
(١٣٠) سورة طه ٢٠ آية ١١٣ .

لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان ، وقريش من العرب واذا كان هذا الامر وقفا على قريش فهو وقف على العرب .

وكانت الامامة موضع اختلاف بين المسلمين الا ان معظم الفرق الاسلامية عدا فرقة الخوارج وبعض المعتزلة اكدت حصرها في العرب وفي قريش منهم ، وفي ذلك يقول الاشعري (واختلفوا اذا اجتمع قرشي واعجمي وتساويا في الفضل ايهما أولى على مقالتين فقال ضرار بن عمرو[١٣١] يولى الاعجمي لانه اقلهما عشيرة وقال سائر الناس يولى القرشي فهو اولى بها)[١٣٢] . وقال ابو حنيفة (لا تصلح الامامة الا في قريش وذلك للخبر الذي جاء عن النبي (ص) انه قال (الائمة من قريش)[١٣٣] ويضيف السيوطي شروطا على الامامة في قريش فيقول (الائمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا)[١٣٤] . ويفلسف ابن خلدون قول الرسول هذا بقوله (والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم .. لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة .. فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب .. ليكون ابلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة)[١٣٥] .

---

(١٣١) ضرار بن عمرو كان تلميذا لواصل بن العطاء انظر الفخر الرازي : اعتقادات المسلمين والمشركين . ص ٦٩ .

(١٣٢) الاشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ج٢ ص ١٢٥ـ ١٣٦ تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٢هـ وسأشير اليه : مقالات الاسلاميين ، وقد اعتمدت هذه الطبعة .

(١٣٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٠ تعليق محمد صادق بحر العلوم طبعة النجف ١٩٣٦م .

(١٣٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٩ . تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد . مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٥٩م الطبعة الثانية ، وسأشير اليه : تاريخ الخلفاء معتمدا هذه الطبعة .

(١٣٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٠ـ٢٥١ ، مطبعة مطابع دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦ .

وقد ادرك محمد (صلى الله عليه وسلم) اهمية العرب في حمل الرسالة فمنع استرقاق العربي واعتق الارقاء من العرب عند قيام الدولة الاسلامية وفي ذلك يقول ابن سلام (فهذه احكام الاسارى المن والفداء والقتل وكانت هذه في العرب خاصة لانه لا رق على رجالهم وبذلك مضت سنة رسول الله انه لم يسترق احدا من ذكورهم وكذلك حكم عمر فيهم ايضا)[١٣٦] .

وقد ادرك عمر بن الخطاب هذه الاهمية للعرب فكان يوصي (ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تحجروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها)[١٣٧] ، وقد ذهب عمر (رض) الى ابعد من ذلك فقال (اوصه بالاعراب فانهم اصل العرب ومادة الاسلام)[١٣٨] .

ولاهمية العرب في الحركة الاسلامية لم يقبل الرسول الجزية منهم فاما الاسلام واما القتل وقد أوضح ابو يوسف هذه المسالة بقوله (او لا ترى ان العرب من عبدة الاوثان حكمهم القتل او الاسلام ولا تقبل منهم الجزية وهذا خلاف الحكم في غيرهم فكذلك ارض العرب)[١٣٩] ، وقال الامام ابو حنيفة (لا اخذها من العرب لئلا يجرى عليهم صغار)[١٤٠] ويضيف الماوردي (فاخذها ابو حنيفة من عبدة الاوثان اذا كانوا عجما ولم يأخذها منهم اذا كانوا عربا)[١٤١] .

ولما كانت اللغة أهم مقومات الامة نجد الاهتمام بها واضحا ملموسا فالرسول الاكرم يقوم (رحم الله امرءا اصلح من لسانه)[١٤٢] وقد أوصى

---

(١٣٦) ابن سلام : كتاب الاموال ص ١٢٣ ، تصحيح محمد حامد الفقي ، مطبعة عبداللطيف حجازي . القاهرة ، سنة ١٣٥٣هـ ، وساشير اليه الاموال . وساعتمد هذه الطبعة .

(١٣٧) الطبري : ج١ ص ٢٧٤١ (طبعة دي غويه) .

(١٣٨) و (١٣٩) ابو يوسف : الخراج ص ١٦ ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٦هـ وساعتمد هذه الطبعة .

(١٤٠) و (١٤١) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٢٨ ، مطبعة البابي الحلبي – ١٣٥٧هـ وساشير اليه : الاحكام السلطانية ، وساعتمد هذه الطبعة .

(١٤٢) ياقوت : معجم الادباء ج١ ص ٦٧ مطبعة دار المامون القاهرة ١٣٥٧هـ – ١٩٢٨م .

عمر بن الخطاب بتعلم العربية فقال (تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد في المروءة)[١٤٣] وفي هذا المعنى قال الزهري (ما احدث الناس مروءة احب من تعلم النحو)[١٤٤] وكان الخطأ في اللغة يعتبر اثما يستوجب المغفرة فقد روي (كان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء في اللحن فيقول استغفر الله)[١٤٥] ولم يقف الاهتمام باللغة العربية عند هذا الحد بل ذهبوا الى ابعد من هذا حتى انهم اعتبروها لغة الآخرة ورددوا قول الرسول (ص) حين قال (احب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي)[١٤٦] .

ان هذا التكامل بين العروبة والاسلام استمر في أيام الامويين وان تعريب الدواوين واعتبار العربية اللغة الرسمية في جميع المعاملات وسك النقود العربية ليدل على هذا التكامل[١٤٧] ، وقد تداخل الامر بين العروبة والاسلام حتى اصبحت كلمة عربي تعني كلمة مسلم فقد اعتذر دهاقين بخارى من قلة الضرائب فكتبوا الى الوالي اشرس يقولون له (ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا)[١٤٨] اي اصبحوا مسلمين .

الا ان هذا التداخل بين العروبة والاسلام قد اختل في أيام العباسيين حتى اننا نجد عددا من هؤلاء الذين عرفوا بعدائهم للعرب كعلان الوراق وسهل بن هارون يتولون مناصب هامة ويشرفون على دار الحكمة في أيام الرشيد والمأمون[١٤٩] .

---

(١٤٣) ياقوت : معجم الادباء ج١ ص ٦٨ مطبعة دار المأمون .
(١٤٤) المصدر السابق ج١ ص ٧٨ .
(١٤٥) المصدر السابق ج١ ص ٦٨ .
(١٤٦) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ١٦٦ ـ الطبعة الاولى . مطبعة دار السلام بغداد ١٣١٤هـ وساعتمد هذه الطبعة .
(١٤٧) انظر الاحكام السلطانية ص ٢٢٣ . وتراث فارس الترجمة العربية ص ٩٢-٩٤ ، وهو مقالات مترجمة لاساتذة مستشرقين باشراف اربرى ترجمة محمد كفافي وجماعته . مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة سنة ١٩٥٩ وساعتمد هذه الطبعة .
(١٤٨) الطبري : ج ٨ ص ١٩٦ الطبعة الحسينية .
(١٤٩) انظر الفهرست ص ١٦٠ ، ١٨٠ .

ان هذا الترابط بين العروبة والاسلام الذي تؤيده بعض الآيات القرآنية وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثار الثقة عند العرب وربما أثار الغرور عند بعضهم وكان لهذا الترابط أثره البعيد في اثارة الحسد والحقد في نفوس بعض الشعوب غير العربية وقد صور الجاحظ ذلك الحقد أبلغ تصوير في هذه العبارة (فان عامة من ارتاب بالاسلام انما جاءه ذلك من الشعوبية فاذا أبغض شيئا أبغض أهله وان أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام اذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف[١٥٠] .

الدولة العربية ، ونشر الاسلام

لقد تولى العرب حمل الرسالة ونشرها وقد استجاب محمد (صلى الله عليه وسلم) لنداء ربه (انذر عشيرتك الاقربين)[١٥١] فاتصل بقومه وعمل على ايجاد نواة لحركته واستطاع ان يدخل فريقا منهم في حضيرة الاسلام وأعدهم اعدادا خاصا ليكونوا بناة الحركة الاسلامية وقادتها .

بدأ محمد (ص) دعوته في مكة واستطاع ان يعد طليعة واعية هاجر بها الى المدينة ودخل مع قريش معركة انتهت بنصر الحديبية الذي كان بداية الانطلاق لحمل الرسالة ونشرها في الحجاز وفي خارجه .

كان العراق في هذه المرحلة خاضعا للنفوذ الايراني ، ومصر وبلاد الشام وشمالي أفريقيا خاضعة للنفوذ الروماني ، فقرر الرسول تحرير هذه البلاد ونشر الاسلام فيها واتبع في ذلك اسلوبا مسالما في دعوة حكامها فارسل اليهم كتبا يدعوهم فيها الى الاسلام جاء فيها (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله (ص) الى كسرى وقيصر والنجاشي أما بعد تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا

(١٥٠) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٧ ص ٦٨ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م تحقيق محمد بدرالدين النعساني الحلبي .
(١٥١) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٢١٤ .

اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهد بانا مسلمون)[152] ولما وصل كتاب الرسول الى كسرى غضب ومزق الكتاب ولم ينظر فيه ولم يقف الرسول عند هذه الرسالة بل ارسل رسائل اخرى وضح فيها العلاقة بين المسلمين وما يحققه الدخول في الاسلام من حقوق وما يترتب عليه من واجبات فكتب الى كسرى والى امبراطور الروم كتبا جاء فيها (من محمد رسول الله .. اني ادعوك الى الاسلام فان اسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فان لم تدخل فاعط الجزية)[153] ولم يستجب الامبراطور لهذه الدعوة كما لم يستجب كسرى اليها ولم يقف كسرى عند حد الرفض بل كتب الى باذان عامله على اليمن كتابا يقول فيه (ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به)[154] . وكان محمد مكلفا بنشر الرسالة بالاقناع والحجة اذ كانت قاعدة الجهاد (ان يعرض المسلمون فكرة الدين الحنيف على الناس عرضا سلميا فان اجابوا دخلوا الاسلام وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فان أبوا عرض المسلمون عليهم قبول الجزية فان اطاعوا كانوا اهل ذمة .. فان ابوا كان معنى هذا انهم يفضلون اشهار السيف في وجه المسلمين)[155] فعلى المسلمين قتالهم التزاما بقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[156] فأوفد المسلمون الوفود المبشرة والجيوش منذرة فتقدمت هذه الجيوش وحررت الوطن العربي من النفوذ الاجنبي وانتصرت على دولتي الفرس والروم . فتحررت الشام ومصر وشمالي افريقيا

(١٥٢) ابن سلام : الاموال ص ٢٣ .

(١٥٣) المصدر السابق ص ١٩ .

(١٥٤) الطبري : ج٣ ص ٩٠ الطبعة الحسينية والمسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٢٥ .

(١٥٥) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في افريقيا ص ٤٠ ط ٢ القاهرة ١٩٦٤ .

(١٥٦) سورة التوبة ٩ الاية ٢٩ .

من حكم الرومان ، وتحرر العراق وبلاد اليمن من حكم الفرس ، وتقدمت الجيوش العربية تحمل رسالة الاسلام حتى وصلت الى حدود الصين شرقا والى اسيا الصغرى شمالا والى اوربا غربا .

ولقد احدث انتصار الدولة العربية هذا رد فعـــل لدى الشعوب المغلوبة وكان رد هذا الفعل يتناسب طرديا مع وعي تلك الشعوب ولهذا نجد هذا التحدي لدى الشعب الايراني قويا لان « ايران كانت في سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في نفسها بحيث كانوا يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب .. تعاظم الامر وتضاعفت لديهم المحنة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى »[157] . ويؤيد « فان فلوتن » المقريزي فيما ذهب اليه فيقول « لم تكن المسألة مسألة دين انتشر وبسط نفوذه فحسب على بلاد سوريا وجزء عظيم من مملكة فارس القديمة ، فقد كان هناك امر اخر ذا شأن شعبا .. قد استطاع بما له من قوة وبأس ان ينفذ الى الولايات المسيحية وان يوطد سلطانه بين انصار دين رزادشت »[158] .

والموالي « هم المسلمون من غير العرب »[159] . وقد ساوى الاسلام بينهم وبين المسلمين العرب في الحقوق والواجبات « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـــعوبا وقبـــائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »[160] .

وكانت سياسة الرسول (ص) تقوم على مبدأ المساواة فكان يؤكد انه « لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى » ويستشهد دائما في معاملته

(١٥٧) المقريزي : كتاب الخطط والاثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من اخبار ج٢ ص ٣٦١ طبعة بولاق ١٣٢٤-١٣٢٦هـ وساشير اليه : الخطط وساعتمد هذه الطبعة .

(١٥٨) فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ١٥ .

(١٥٩) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ص ٢٢١ .

(١٦٠) سورة الحجرات ٤٩ آية ١٣ .

للموالي بقوله تعالى « فان لـــم تعلمــوا اباءهــم فاخوانكم في الدين ومواليكم »[161] وقد ثبت الرسول المساواة بين المسلمين في اسمى الدرجات فكان يؤكد « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وكذلك التزم ابو بكر (رض) بمبدأ المساواة وقد تجلى ذلك في توزيع العطاء بالتساوي « وقد سوى بين الناس في القسم »[162] .

وكذلك سوى عمر بن الخطاب بين المسلمين في الحقوق والواجبات وجعل التمايز في العطاء بينهم على قدر اهميتهم في الدفاع عن الاسلام وسبقهم الدخول فيه فكان يقول « لا أجعل من قاتل رسول الله (ص) كمن قاتل معه »[163] .

ولما قسم عمر العطاء جعل حصة العربي المسلم وحصة مولاه واحدة فعد فرض « لكل رجل منهم .. في كل سنة حليفهم ومولاهم معهم بالسواء »[164] .

وكان عدد الموالي في هذا الوقت محدودا[165] ، وقد اتبع عمر بن الخطاب هذه السياسة التي تقوم على العدالة والمساواة فانه لما جاءت بنو عدي وهم عشيرته وقالوا له « انت خليفة رسول الله (ص) وخليفة ابي بكر وابو بكر خليفة رسول الله (ص) فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا »[166] غضب عمر وقال لهم « بخ بخ بني عدي اردتم الاكل من ظهري وان أهب حسناتي لكم ... والله لئن جاءت الاعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لهم اولى بمحمد منا يوم القيامة فان من قصر به عمله لم يسرع

(١٦١) سورة الاحزاب ٣٣ آية ٥ .
(١٦٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢٧ ، تعليق رضوان محمد رضوان المطبعة المصرية القاهرة ١٣٥٠هـ ١٩٣١م وساعتمد هذه الطبعة وهي الاولى .
(١٦٣) المصدر السابق ص ٤٣٧ وابو يوسف : الخراج ص ٥٠ المطبعة السلفية .
(١٦٤) فتوح البلدان : ص ٤٣٧ .
(١٦٥) انظر السيادة العربية ص ٣٨-٣٩ .
(١٦٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٦ .

به نسيه »[١٦٧] .

وقد عمل عمر بن الخطاب من اجل تثبيت المساواة واحترام المسلمين من غير العرب فقد « قدم صهيب الرومي على المهاجرين والانصار فصلى بالناس »[١٦٨] وقال موضحا رغبته في ترشيح سالم وهو مولى للخلافة بقوله « لو ادرك سالما مولى ابى حذيفة لما شككت فيه »[١٦٩] . وكان عمر (رض) يكتب الى الولاة وامراء الاجناد لتطبيق المساواة بين المسلمين فكتب مرة « من اعتقتم من الحمراء[١٧٠] فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم وان احبوا ان يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم اسوتهم في العطاء »[١٧١] وقد وافق عمر (رض) على ادخال فريق من الموالي في الجيش كما وافق على شروطهم التي قالوا فيها « ان نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الامر الذي بعثكم »[١٧٢] .

وكانت معاملة عثمان بن عفان (رض) امتدادا لمعاملة عمر واستمرت هذه المعاملة الطيبة بل زادت في خلافة الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وقد اخذت مشكلة الموالي تظهر في عهد الدولة الاموية حيث تزايد عددهم واستقروا في المدن ، وكان معظمهم لا يأخذون العطاء[١٧٣] مع انهم « كانوا يرون ان العطاء انما هو حق لجميع المسلمين »[١٧٤] ، وكانت حالة الموالي الاقتصادية والاجتماعية متباينة فهناك اصحاب المهن وهي على انواع ودرجات وهناك الدهاقين « الذين اصبح العطاء وقفا عليهم »[١٧٥] وكتاب

---

(١٦٧) المصدر السابق ص ٤٢٦ .
(١٦٨) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ١٧١ .
(١٦٩) المصدر السابق ج١ ص ١٧١ .
(١٧٠) الحمراء هم الموالي وغير العرب بوجه عام وكان العرب يسمونهم الموالي الحمراء ، انظر دائرة المعارف الاسلامية المجلد العاشر ص ٤٤١ .
(١٧١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .
(١٧٢) المصدر السابق ص ٤٦٦ .
(١٧٣) صالح احمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٦٤–٦٥ ، مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٣ .
(١٧٤) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٣٨–٣٩ .
(١٧٥) المصدر السابق ص ٣٨–٣٩ .

الدواوين حيث « ظلت الاعمال الكتابية بايدي العمال المحليين وفي اللغتين الفارسية واليونانية ولم يبدأ استعمال اللغة العربية الا في نهاية القرن الاول الهجري »[١٧٦] والى جانب هؤلاء المحدثون والفقهاء والشعراء ، وكانت نظرة الدولة اليهم لا تتناسب واهميتهم الثقافية والدينية والاقتصادية[١٧٧] ، فلم تكن نظرة الدولة الاموية الى الموالي واحدة وعلى هذا لا يمكن قبول احكام بعض المؤرخين التي ذهبت الى القول بان موقف الدولة كان قاسيا تجاه الموالي وانهم كانوا ينظرون اليهم نظرة احتقار »[١٧٨] فان اطلاق مثل هذه الاحكام العامة يحتاج الى اعادة النظر ويعتبر بعيدا عن الواقع .

وفي العصر العباسي الاول تحسنت حالة الموالي واصبحت مساوية لمكانة العرب وقد تزيد أحيانا[١٧٩] ، واعلن الخلفاء العباسيون بانهم جاءوا لاحياء سنة الرسول وان حكمهم ديني لا ملك دنيوي[١٨٠] .

واما ما يتعلق بالضرائب فاننا نستطيع ان نقرر حقيقة اولية هي ان الجزية والخراج قد فرضتا على غير المسلمين ، ولم تفرض على الموالي ، الا انه قد اسيء استعمالها في فترات معينة محدودة .

لقد نظم عمر بن الخطاب الضرائب ووقف على ما كان متبعا من الانظمة المحلية فجعلها اساسا لتنظيماته . ففي العراق وايران (لم يخالف عمر .. وضائع كسرى على جربان[١٨١] الارض .. والجماجم والغى ما كان كسرى الغاه من معايش الناس)[١٨٢] ولهذا اعتبر دانيت نظام الضرائب العربي

---

(١٧٦) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٦٦ .

(١٧٧) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ٧٧ الطبعة الاولى .

(١٧٨) O'Leary, Arabic Thought and its place History, p. 89 "New York,1936".

(١٧٩) انظر الاثار الباقية ص ٢١٣ والجذور التاريخية للشعوبية ص ٢٨-٣٦ .

(١٨٠) Hitti, History of the Arabs, p. 288 (London, 1937).

(١٨١) جربان جمع جريب وهو مساحة من الارض تبلغ ٣٦٠٠ ذراع انظر الاحكام السلطانية ص ١٧٩ .

(١٨٢) الطبري : ج٢ ص ١٢٣ الطبعة الحسينية .

(في جوهره هو نفسه ما كان من نظام الضرائب عند الفرس)[١٨٣] ويؤيد ليفي ... "Levy" ذلك بقوله (وقد والى عمر العمل بنظام كسرى انوشروان بصفة عامة)[١٨٤] .

ولم تفرض الضرائب في منطقة خراسان بطريقة منظمة حيث لم يفرق بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية بل كانت قد عقدت معاهدات صلح تدفع بموجبها كل مدينة القدر المتفق عليه الى الدولة فأهل طبسين[١٨٥] مثلا صالحوا عمر بن الخطاب على ستين الفا ويقال خمسة وسبعين الفا[١٨٦] ، واستمرت هذه الطريقة متبعة في منطقة خراسان ابان خلافة عثمان (الذي أقر صلح الطبسين)[١٨٧] وصالح مدينة نسا[١٨٨] على ثلاثمائة ألف درهم ويقال على احتمال الارض من الخراج)[١٨٩] والطبري يذكر معاهدات الصلح هذه التي استمرت طوال ايام الراشدين والامويين والعباسيين[١٩٠] ، وقد حاول نصر بن سيار والي الامويين على خراسان معالجة مشكلة الضرائب فعمد الى التفريق بين ضريبتي الجزية والخراج وجرد الدهاقين من كثير من امتيازاتهم[١٩١] ، الا ان اصلاحات نصر كانت موقتة حيث عادت مشكلة الضرائب الى ما كانت عليه سابقا[١٩٢] .

---

(١٨٣) دانيت : الجزية والاسلام الترجمة العربية ص ٤٦ .
(١٨٤) تراث فارس : مقالة فارس والعرب ص ٩٥ .
(١٨٥) طبسين مدينة من مدن خراسان ، انظر الاعلاق النفيسة ص١٠٥ طبعة ليدن سنة ١٨٩١
(١٨٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٩٤ .
(١٨٧) المصدر السابق ص ٣٩٤ .
(١٨٨) نسا مدينة من مدن خراسان ، انظر الاعلاق النفيسة ص ١٠٥ ، طبعة ليدن .
(١٨٩) فتوح البلدان ص ٣٩٤ .
(١٩٠) انظر الطبري ج٤ ص ١٥٠ـ١٥٢ الطبعة الحسينية .
(١٩١) Wellhausen, Arabi Kingdom and its Fall, p. 283 (Calcutta University Press, 1927).
(١٩٢) انظر الخراج لابي يوسف ص ٢٢ـ٥٠ .

ومما زاد في مشكلة الضرائب في خراسان تعقيدا ان الدهاقين قد تولوا أمر جبايتها وكان المفروض ان المبالغ المتصالح عليها مع المدن تجمع من غير المسلمين الا ان الدهاقين كانوا يجبونها من جميع السكان مسلمين وغير مسلمين من اجل جمع اكبر مقدار ممكن من المال واداء المبلغ المتفق عليه والتصرف بالزيادات المتجمعة[١٩٣] . ولقد ولدت هذه الاجراءات رد فعل عند الموالي في خراسان وكانت عاملا لاثارة الاستياء والحقد على الحكم العربي استغلته الشعوبية استغلالا كبيرا .

اما في العراق والشام فقد استمرت تنظيمات عمر بن الخطاب على ما كانت عليه من قبل ولم يطرأ عليهما تغيير الا في خلافة عبدالملك بن مروان حيث وضع عامله الحجاج بن يوسف الثقفي (الخراج على العرب الذين اقتنوا اراضي خراجية وفرض الجزية والخراج على الاعاجم الذين اسلموا[١٩٤] ، وطلب الحجاج من جميع الذين نزحوا من قراهم العودة اليها (فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له اصل في قرية فليخرج اليها) [١٩٥] ، لقد اثارت هذه الاجراءات رد فعل عند العرب والموالي الذين مستهم ونادوا بانها اجراءات تنافي الاسلام[١٩٦] .

وقد عالج عمر بن عبدالعزيز هذه الناحية معالجة سلمية فقرر (ان الخراج ايجار للارض وقال بان الارض الخراج كانت أولا ملكا مشتركا بين المسلمين وانها تركت بيد المغلوبين يزرعونها لقاء ايجار يدفعونه للامة وهو الخراج)[١٩٧] والغى عمر الثاني (الجزية عمن اسلم من اهل الذمة)[١٩٨] .

(١٩٣) انظر الجزية والاسلام الترجمة ص ١٩٠-١٩١ .
(١٩٤) الدوري : النظم الاسلامية ص ١٤٦ الطبعة الاولى بغداد ١٩٥٠م .
(١٩٥) الطبري : ج٢ ص ٣٥ الطبعة الحسينية .
(١٩٦) الدوري : النظم الاسلامية ص ١٤٦ .
(١٩٧) المصدر السابق ص ١٤٧ .
(١٩٨) المقريزي : الخطط ج٢ ص ٢٢٦-٢٢٧ طبعة بولاق .

وإذا نظرنا الى الضرائب فاننا نرى انها لم تكن منظمة تنظيما دقيقا فان عمر بن الخطاب لم يضع نظاما ثابتا لها[199] فالخراج فرض على غير المسلمين فترة ثم أصبح ايجارا للارض يدفعه المسلم وغير المسلم ، والجزية فرضت على غير المسلمين الا ان الحجاج فرضها فترة على الموالي . وفي خراسان لم تكن سوى ضريبة واحدة تدفع نقدا[200] فاعطت هذه الوضعية مجالا لاثارة التذمر والحقد على الدولة العربية ، واذا ذكرنا ان الضرائب في أيام آل ساسان كانت رمزا للهوان والذلة وانها كانت ترفع عن الطبقات العليا من (أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة[201] والكتاب ومن كان في خدمة الملك)[202] . وانها كانت تفرض على طبقة العامة فهي لهذا (سمة للذل وعنوان للوضاعة الاجتماعية)[204] . اذا ذكرنا هذا كله ادركنا ما كانت مولده الضرائب غير المحدودة في خراسان من استياء وكيف ان الشعوبيين وجدوا في اجراءات الحجاج مادة لاثارة الحقد واذكاء روح التحدى عند الموالي في وجه النفوذ العربي .

ان نظرة الى ما ذكرنا لترينا ان هناك عوامل عدة قد تفاعلت مع بعضها البعض في اثارة الحركة الشعوبية ، ولما كانت الشعوبية تمثل التحدي في اجلى مظاهره فاننا نستطيع ان نميز بين نوعين من عوامل هذا التحدي ، نوع يثير وعيا وثقة وآخر يثير حقدا وكراهية وعلى هذا فالشعوبية هي مجموعة لهذه المواقف التي تقوم على العداء والتحدي والتي كان يثيرها الوعي حينا فتراها منظمة تسلك سبيلا مدروسا فهي على حد تعبير احد الشعوبيين

---

(١٩٩) فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٢٧ .
(٢٠٠) فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٤٩ .
(٢٠١) الطبري : ج٢ ص ١٥٠٧ (طبعة ليدن) سنة ١٨٧٩-١٨٨١م .
(٢٠٢) الهرابذة جمع هربذ والهربذ رئيس سدنة بيت النار عند المجوس وقد يكون من حكامهم ، انظر البيان والتبيين ج٣ ص ١٠ الحاشية تحقيق السندوبي .
(٢٠٣) الطبري : ج٢ ص ١٢٣ الطبعة الحسينية .
(٢٠٤) دانيت : الجزية والاسلام ص ٤٦-٤٧ .

(نرفض في الظاهر ما بيننا من العداوة ونظهر موافقتهم ومساعدتهم وندخل في دين محمد ونؤمن به ثم نفسد عليهم دينهم بلطيف الحيل وندرك منهم ما لم يمكن ادراكه بالقهر والغلبة)[٢٠٥] ، ومواقف يثيرها الحقد والكراهية فتراها مواقف منفعلة متعصبة غير منظمة تكيل التهم جزافا (وتدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بهم كل رذيلة وتغلو في القول وتسرف في الذم وتبهت في الكفر وتكابر العيان)[٢٠٦] .

---

(٢٠٥) العراقي : الفرق المفترقة بين اهل الزيغ والزندقة ص ١٠٠ ، تحقيق بشار نوتلواي ، انقرة ، مطبعي ١٩٦١م وسأشير اليه : الفرق المفترقة وساعتمد هذه الطبعة .

(٢٠٦) كرد علي : رسائل البلغاء ، كتاب العرب ص ٣٤٤ الطبعة الرابعة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م . وسأشير اليه : رسائل البلغاء وساعتمد هذه الطبعة .

الفَصْل الثاني
مَظَاهِرُ الشعُوبيَة

ظهرت الشعوبية كحركة معادية للعروبة والاسلام بمظاهر متعددة ومن ملاحظة تلك المظاهر يمكن حصرها في مجموعتين ، مظاهر معادية للاسلام كعقيدة ونظام وهي التي سنطلق عليها ـ الشعوبية الدينية ـ ، ومظاهر ناوأت العرب العداء وتناولتهم بالطعن وشوهت حضارتهم واشادت بحضارة غيرهم وهذه سنطلق عليها ـ الشعوبية العنصرية ـ .

اولا ـ الشعوبية الدينية :

وقد تمثلت هذه في حركتين أساسيتين هما الغلو والزندقة وتظاهرت بالاسلام ستارا لنشاطها .

أ ـ والغلو تجاوز الحد في الدين والغلاة (هم الذين غلوا في حق ائمتهم حتى اخرجوهم عن حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الآلهة)[1] . وبداية الغلو مرتبطة بابن سبأ فهو (أول من كفر : وقال علي رب العالمين)[2] ، وقد ظهر الغلو في حياة الامام علي (كرم الله وجهه) فقد عثر الامام (على قوم استحوذ الشيطان عليهم الى ان كفروا بربهم .. فاتخذوه ربا وادعوه الها وقالوا له انت خالقنا ورازقنا)[3] ويعتبر البغدادي السبئية

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٠ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ ، الطبعة الاولى تحقيق محمد اسماعيل عبدالله الصاوي ، المطبعة الاسلامية القاهرة سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م . وسانشير اليه : المعارف وساعتمد هذه الطبعة .

(٣) كتاب نهج البلاغة : المجلد الثاني ص ٣٠٨ ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى .

كفرقة هي التي ابتدأت الغلو فقال (والسبئية اظهروا بدعتهم في زمان علي (رض) فقال بعضهم انت الاله)[٤] دون ان يعين شخصا مسؤولا عن هذا الغلو ، وسواء أكان عبدالله بن سبأ هو الذي ابتدأ القول بالغلو أم انصاره من السبئية فان ابتداء الغلو مرتبط بعبدالله بن سبأ لذلك نرى من المفيد ان نقف على حياته وعلى آرائه لنقف على جذور الغلو ومدى تأثر ابن سبأ بآراء ومعتقدات البلاد التي تجول فيها ومن أجل الوقوف على اثر السبئية في الفرق الغالية الاخرى .

فعبدالله بن سبأ يهودي يماني عاش في اليمن يوم كانت تحت النفوذ الفارسي ، فقد سيطر الفرس عليها يوم استعان سيف بن ذي يزن بكسرى انو شروان واستمرت هذه السيطرة حتى ظهور الاسلام[٥] ، ولا يبعد ان يكون ابن سبأ قد وقف على آراء في الحلول والتناسخ من هؤلاء الفرس ولاسيما اذا ذكرنا ان هؤلاء كانوا من السجناء الذين اتهموا بجرائم مختلفة كان منها اعتناقهم المانوية والمزدكية[٦] . والى اعتقاد ابن سبأ اليهودية وتأثره بالمعتقدات الثنوية نرى انه بعد اسلامه لم يستقر في مكان واحد ، فقد (تنقل في الحجاز ثم في البصرة ثم بالكوفة ثم بالشام ... فاخرجه أهل الشام فأتى مصر)[٧] ، ولما كانت هذه البلاد قد انتشرت فيها اليهودية والمسيحية والصابئة والزرادشتية والمانوية فمن المحتمل ان ابن سبأ قد وقف على معتقدات هذه الديانات التي كان لها تأثير في آرائه ، واذا ذكرنا ان ابن سبأ كان يقول (وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى (ع) بهذه المقالة)[٨] مقالة الغلو يتبين لنا ان الغلو عند ابن سبأ يتصل بجذور يهودية وأخرى ثنوية .

---

(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٨ .

(٥) انظر ابن هشام سيرة النبي ج١ ص ٦٥ ، مطبعة حجازي القاهرة سنة ١٢٥٦هـ ١٩٢٧م ، تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد .

(٦) الطبري : ج٢ ص ١١٥-١١٦ . الطبعة الحسينية .

(٧) ابن الاثير : الكامل ج٣ ص ٥٩ ، مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٢هـ .

(٨) النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٢ طبعة النجف ١٩٣٦م .

ويؤكد الاستاذ جولد تسيهر اثر اليهودية في حركة الغلو فيقول (ان مصادر غلو الغلاة في الائمة يجب ان لا يبحث عنها في الميدان الفارسي فحسب فان الهجاداه[٩] تقول في احدى الروايات التي ترويها ان صورة الانسان الموجود بالجزء الاعلى من العرش السماوي ... هي صورة يعقوب التي رفعت الى عرش الله)[١٠] .

ويظهر اثر المسيحية واضحا في آراء بعض الفرق الغالية حيث قال (قوم من الغالية ان الله اقدر علي بن أبي طالب (رض) على فعل الاجسام وفوض اليه الامور والتدبيرات وقال قوم منهم ان الله سبحانه قد اقدر نبيه عليه السلام على فعل الاجسام واختراع الانام وهذا كقول من قال من النصارى ان الله خص عيسى عليه السلام بلطيفة يخترع بها الاجرام وينشيء بها الاجسام)[١١] . ويوضح الديلمي علاقة المسيحية بآراء الغلاة بقوله (وفي الجملة مذهبهم في علي يقرب الى مذهب النصارى في عيسى في اتحاده بالله فقالوا ان الاله اتحد بعلي)[١٢] .

والفكرة الغالية القائلة بانه لا خلاف بين الانبياء الا في المظهر الخارجي اما في الحقيقة فانه رسول واحد بعث الى العالمين في ازمنة مختلفة وفي مظاهر جسمية متباينة هذه الفكرة ترجع الى الغنوصية المسيحية التي عبرت عنها المواعظ المنسوبة الى القديس كليمانس فقال في الموعظة (١٨) الفقرة (٢١٣) (ليس ثمة غير نبي صادق واحد هو انسان خلقه الله وزوده بروح القدس يمر خلال عصور العالم منذ البدء باسماء وصور متغيرة حتى يشمله الله برحمته فيبلغ الراحة الابدية بعد انقضاء الاعصر التي حددت له كي يؤدي

---

(٩) الهجاداه من الفعل هجيد اي شرح وهي تشمل قصصا تكمل وتوضح الكتاب المقدس ، انظر التراث اليوناني الحاشية ص ٢٢٧ .

(١٠) بدوي : التراث اليوناني ، مقالة العناصر الافلاطونية والغنوصية في الحديث للاستاذ جولد تسيهر ص ٢٢٧ .

(١١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص ١١٤ .

(١٢) محمد بن الحسن الديلمي : من كتاب قواعد عقائد آل محمد ص ٢-٣ تحقيق وتصحيح ر. شترطهان مطبعة اسطنبول سنة ١٩٣٨ .

الرسالة التي أخذ على عاتقه اداءها)[13] . كما كان للافلاطونية اثرها في الاسماعيلية[14] .

وكان للمعتقدات الهندية القديمة اثر في اراء الغلاة ففكرة التناسخ التي هي (علم النحلة الهندية)[15] قد نقلها ماني الى عقيدته عندما (نفي ... فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منها الى نحلته)[16] . وكان للمزدكية اثر في آراء بعض الفرق الغالية ففرقة الحلمانية[17] قالت (ان من عرف الاله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه)[18] يشبه قول المزدكية الذين (استباحوا المحرمات وزعموا ان الناس شركاء في الاموال والنساء)[19] ، ومن هذا يتبين لنا ان الفرق الغالية قد تاثرت بمعتقدات البلاد التي ظهرت فيها وفي ذلك يقول الشهرستاني (وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى)[20] .

(١٣) بدوي : التراث اليوناني ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(١٤) المصدر السابق ص٢٢٠ .
(١٥) البيروني : الفلسفة الهندية ص ٥٢ مراجعة وتقديم عبدالحليم محمود وعثمان عبدالمنعم يوسف ، مطبعة احمد علي مخيمر بلا تاريخ .
(١٦) المصدر السابق ص ٢٧ .
(١٧) الحلمانية : من الفرق الغالية وضع مبادئها (ابو حلمان الدمشقي واصله من فارس اظهر بدعته بدمشق) (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) ، وادعى ابو حلمان (حلول الاله في الاشخاص الحسنة وكان مع اصحابه اذا راوا صورة حسنة سجدوا لها) . « الفرق بين الفرق ص ١٥٦ » واباح المحرمات وفلسف ذلك بقوله ان من عرف الاله على الوصف الذي يعتقده زال عنه الحظر .. (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) .
(١٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٦ .
(١٩) الرسيعني : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ١٢٦ . حرره فليب حتى ، مطبعة الهلال القاهرة سنة ١٩٢٤ ، وساشير اليه : مختصر الفرق وساعتمد هذه الطبعة .
(٢٠) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٠ .

ولم تنس بعض الفرق الغالية ان تستغل آيات من القرآن وتفسرها وفقا لهواها لدعم آرائها وغلوها فالبيانية[٢١] فسرت قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)[٢٢] ان الله يفنى جميعه الا وجهه[٢٣] ، وفسرت قوله تعالى (هذا بيان للناس)[٢٤] ان المقصود بهذه الآية هو بيان بن سمعان صاحب البيانية[٢٥] .

وزعمت فرقة المنصورية[٢٦] ان المقصود بقوله تعالى (وان يروا كسفا

---

(٢١) البيانية : فرقة غالية وهم اتباع بيان بن سمعان (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) الذي ادعى الامامة على اساس التعيين والوصية فقال ان الامامة سارت في محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم عبدالله بن محمد ثم سارت من ابي هاشم الى بيان بن سمعان بوصيته اليه) (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) وادعى بيان النبوة والالوهية (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) ونسب بيان الى الامام علي (رض) الربوبية على اساس الحلول (الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢) وادعى انه المقصود بقوله تعالى هذا بيان للناس (ابن الاثير الكامل ج٥ ص ١٥٥) وقد قتله خالد بن عبدالله القسرى حرقا مع المغيرة بن سعيد (الطبري ج٨ ص ٢٤١ الطبعة الحسينية) .

(٢٢) سورة الرحمن ٥٥ آية ٢٧ .

(٢٣) ابن الاثير : الكامل ج٥ ص ٧٧ طبعة ليدن .

(٢٤) سورة آل عمران ٣ آية ١٢٨ .

(٢٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ .

(٢٦) المنصورية : من الفرق الغالية تنسب الى ابي منصور العجلي (المعارف ص ٢٦٧) وكان ابو منصور اميا (الفرق بين الفرق ص ١٥٢ والملل والنحل ج٢ ص ١٤) وادعى الامامة وان ابا جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) فوض اليه امره وجعله وصيه (فرق الشيعة ص ٦٠) وقال ابو منصور بالتأويل وزعم ان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه بالتاويل (فرق الشيعة ص ٦٠) وزعم ان جبريل يأتيه بالوحي من عند الله (فرق الشيعة ص ٦٠) وانكر الجنة والنار واولهما على ان (الجنة نعيم الدنيا والنار محن الناس في الدنيا) (مختصر الفرق ص ١٥٢) وادعى ابو منصور على اساس التاويل ان الجنة رجل امرنا بموالاته وهو امام الوقت وان النار رجل امرنا بمعاداته وهو خصم الامام (الملل والنحل ج٢ ص ١٤) وكانت حركة المنصورية هذه خطرة مما دفعت والي العراق يوسف بن عمر ان يلقي القبض على زعيمها ابي منصور ويصلبه (الملل والنحل ج٢ ص ١٤) وذلك في خلافة هشام بن عبدالملك .

من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم)[٢٧] هو ابو منصور العجلي زعيم المنصورية .

واعتمدت فرقة الكيسانية[٢٨] في القول بالبداء على تاويل قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب)[٢٩] .

ولما كانت مسالة الامامة من المسائل الهامة في الاسلام فقد استغلت من قبل الغلاة استغلالا واسعا لوضع آراء غالية فادعت فرقة الهاشمية[٣٠] (ان الامام عالم يعلم كل شيء وهو بمنزلة النبي في جميع أموره ومن لم يعرفه لم يعرف الله وليس بمؤمن بل هو كافر مشرك)[٣١] .

واستغلت فرقة الابو مسلمية[٣٢] موضوع الامامة وغالت فيه فقالت

---

(٢٧) سورة الطور ٥٢ آية ٤٤ .

(٢٨) الكيسانية : من الفرق الغالية تنسب الى المختار بن ابي عبيد الثقفي لانه (كان يقال له كيسان) فرق الشيعة ص ٤٥ ويرى الاشعري ان كيسان هو مولى الامام علي بن ابي طالب (مقالات الاسلاميين ج١ ص ٨١) وانقسمت الكيسانية الى عدة فرق يميزها شيئان (قولهم بامامة ابن الحنفية والثاني قولهم بجواز البداء على الله (الفرق بين الفرق ص ٢١-٢٢) كما وضع مبدأ البداء ليبرر لنفسه التحدث باسم الله (التبصير في الدين ص ٢٧) ويبرر مواقفه السياسية اذ كان (خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا) (الملل والنحل ج١ ص ١٩٧ والخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٢٥) .

(٢٩) سورة الرعد ١٣ آية ٣٩ .

(٣٠) الهاشمية : نسبة الى ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية (فرق الشيعة ص ٧٢) ولم تذكر المصادر زعيما اخر لهذه الفرقة ، وقد غالت بحق الامام فادعت ان الامام عالم بكل شيء وهو الله (فرق الشيعة ص ٧٢) وهذه الفرقة نقلت الامامة من ابي هاشم الى ولد العباس (فرق الشيعة ص ٧٢) وقالت الهاشمية بالتاويل فساعدت على (تسرب الكثير من العقائد غير الاسلامية الى الغلاة تلك العقائد التي انتقلت اليها عن المجوسية والمانوية والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في اسيا قبل الاسلام) (فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٨٢-٨٣) .

(٣١) النوبختي : فرق الشيعة طبعة النجف ص ٧٢ .

(٣٢) الابومسلمية : اصحاب ابي مسلم الخراساني (فرق الشيعة ص٦٧) ادعت ان ابا مسلم نبي (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص٢٥) وقالت بالحلول واستغلته لاضافة صفة الالوهية الى ابي مسلم الذى (صارالها بحلول روح الله فيه) (الفرق بين الفرق ص ١٥٥) كما قالت بالتاويل فاباحت =

ان ابا مسلم نبي[٣٣] وزادت على هذا فادعت انه حي لم يمت[٣٤] .

من هذا العرض يتبين لنا ان بداية الغلو قد ظهرت على يد عبدالله بن سبأ في حياة الامام علي (رض) ولما كان ابن سبأ يهوديا ثم اسلم ، وكان على اتصال بالمعتقدات الثنوية فان الغلو يتصل بجذور يهودية وثنوية (زرادشتية ومانوية ومزدكية) كما كان للمسيحية أثرها في آراء الغلاة الى جانب آراء النحلة الهندية . ولما كان ظهور الغلو بعد ظهور الاسلام فان الفرق الغالية استغلت آيات من القرآن لوضع آرائها كما استغلت الاختلاف على الامامة لوضع آراء غالية من أجل الطعن في الاسلام .

مبادىء الغلو :

لقد ظهرت الفرق الغالية تحمل آراء غريبة ومن أجل التستر عليها اتخذت من الاسلام شعارا وستارا ومن آل البيت محورا لبدعها فوضعت آراء مناهضة للاسلام أخطرها الحلول والتناسخ والبداء والتأويل ، واستطاعت من خلال هذه المبادىء توجيه ضربات قوية الى الدين الاسلامي فأحاطوه بمعتقدات غريبة عملت على هدمه من الداخل وخنقه من الخارج .

اولا ـ الحلول والتناسخ :

الحلول والتناسخ من الافكار المتشابهة وفيه يقول أبو العلاء المعري (والحلولية قريبة من مذهب التناسخ)[٣٥] وهناك من يستعمل التناسخ بمعنى الحلول والعكس فالبغدادي يقول (واما أهل التناسخ في دولة

= المحرمات وترك الفرائض وجعلت الايمان المعرفة لامامهم فقط (فرق الشيعة ص ٦٧) .

(٣٣) الفاطمي ذو النسبين : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٢٥ ، تحقيق عباس العزاوي مطبعة المعارف بغداد سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م ، وساشير اليه : النبراس .

(٣٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة النجف .

(٣٥) ابو العلاء : رسالة الغفران ص ٤٤٩ تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطىء الطبعة الثانية .

الاسلام ... من الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الاله في الائمة بزعمهم)[36] وكذلك يستعمل الشهرستاني لفظة التناسخ بمعنى الحلول فيقول (وقال روح الاله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه ولدعى الالوهية)[37] .

واذا تتبعنا الحالات التي استعمل فيها لفظا الحلول والتناسخ فاننا نرى ان الحلول استعمل في الاغلب بخصوص انتقال روح الاله في الاشخاص والتناسخ خاص بانتقال الارواح عامة من شخص الى آخر او من شخص الى حيوان أو من حيوان الى انسان .

وفكرة الحلول من الافكار القديمة وهي تعني حلول الله روحه أو نوره في الاشخاص وقديما قال ابن ديصان (ان نور الله قد حل قلبه) وقال ماني بالحلول وثبته في عقيدته ، وقد ظهرت فكرة الحلول في الاسلام وقصد بها (حلول الله في أشخاص الائمة)[38] ، وكان عبدالله بن سبأ أول من قال بالحلول لاضفاء صفة الالوهية على الامام علي وعلى الائمة من بعده فقال (ان الجزء الالهي يحل في الائمة)[39] .

وقد رفض المستشرقان فريد لندر وكايتاني مانسب الى ابن سبأ من انه أول من قال بالغلو وادعى الوهية الامام علي والائمة من بعده ، وردد ذلك برنارد لويس وفلهاوزن وكانت حجة كايتاني هي (ان مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن ان يتصورها العالم العربي عام ٣٥ هجرية بنظامه القبلي القائم على سلطان الابوة وانها تعكس أحوال العصر العباسي الاول بجلاء)[40] ونظرة الى ما ذكره كايتاني ترينا انه قد افترض ان المجتمع العربي كان في عام ٣٥هـ مجتمعا قبليا وان هذا المجتمع لا يتحمل

---

(٣٦) الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .
(٣٧) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٣٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٢٨ .
(٣٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ .
(٤٠) انظر : The Origins of Ismailism, p. 25.

مثل اراء ابن سبأ الغالية دون ان يقدم دليلا على صحة ما ذهب اليه من ان المجتمع العربي كان مجتمعا قبليا ، واذا ذكرنا ان الحلول من الافكار القديمة وانه كان عند الهنود وقالت به المانوية وادعاه فرعون موسى وتردد في المسيحية فليس غريبا ظهوره في الفترة موضوعة البحث لاسيما وهناك آيات من القرآن يمكن ان تؤول على معنى الحلول منها قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي)[41] .

ويذهب الاشعري الى القول بان الغلاة قد احلوا روح الاله في النبي اولا وفي آل البيت من بعده فقد قالت الغالية (ان روح القدس هو الله عز وجل كانت في النبي (ص) ثم في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي بن الحسين ثم في محمد بن علي ... وهؤلاء آلهة)[42] .

وذهبت الخطابية[43] الى ان (النور الذي هو الله كان في عبدالمطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد ثم صار في علي بن أبي طالب (ع) فهم آلهة كلهم)[44] .

ويرى ابن خلدون ان القول بالحلول كان على مذهبين فيقول (والايمان في القول بالوهية هؤلاء الائمة اما على انهم بشر اتصفوا بصفات الالوهية

---

(41) سورة الحجر ١٥ آية ٢٩ .

(42) مقالات الاسلاميين ج١ ص ٨١ .

(43) الخطابية : من الفرق الغالية وتنسب الى ابي الخطاب (المعارف ص ٢٦٧) وهو محمد بن ابي الخطاب (الفرق بين الفرق ص ١٢٨) وادعى ابو الخطاب ان الائمة انبياء ثم الهة (الملل والنحل ج٢ ص ١١) ولما اعلن ابو الخطاب غلوه هذا تبرأ منه الامام الصادق (ع) ولعنه ونفاه (الملل والنحل ج٢ ص ١٦ ومختصر الفرق ص ١٥٥) وتوجه ابو الخطاب الى المجتمع وعمل به هدما فاباح شهادة الزور على من خالفه (مختصر الفرق ص ١٥٥) ولما لم يجد من آل البيت حماية وتاييدا ادعى من نفسه انه الاله (مختصر الفرق ص ١٥٥) كما قال بالبداء على الله (ابن الاثير الكامل ج٨ ص ٢١) وقد توسعت هذه الفرقة واشتد خطرها فبعث ابو جعفر المنصور عيسى بن موسى في جيش كثيف فقتل ابا الخطاب في كناسة الكوفة وقضى على هذه الفتنة (مختصر الفرق ص ١٥٥) .

(44) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٦ طبعة النجف سنة ١٩٣٦م .

أو ان الاله حل في ذاته البشرية)[٤٥] الا ان ابن خلدون لم يذكر أمثلة توضح ما ذهب اليه .

لقد وضع الغلاة مبدأ الحلول لضرب الاسلام في أهم ركن من أركانه الا وهو التوحيد وفي ذلك يقول النوبختي (وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق ... واثباتها في بدن مخلوق على ان البدن مسكن لله وان الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الابدان)[٤٦] . ويؤكد الاسفراييني ذلك بقوله (الحلولية وهم فرق ظهرت في دولة الاسلام كان غرضهم افساد التوحيد على المسلمين)[٤٧] . والى جانب محاربة الغلاة مبدأ التوحيد عملوا على الطعن في النبي والصحابة وآل البيت فالبيانية قالت (وان روح الاله تناسخت في الانبياء والائمة حتى صارت الى ابي هاشم ثم انتقلت اليه فادعى لنفسه الربوبية)[٤٨] ، ويبدو ان الفرق الغالية قد أدركت اثر بيت الرسول في الاسلام فتظاهرت بالولاء لواحد منهم وغالت في هذا التظاهر من أجل ضرب مبدأ التوحيد والطعن في آل البيت ومن هذا قول فرقة الذمية[٤٩] (ان عليا هو الله ويكذبون النبي ويشتمونه ويقولون ان عليا وجه به ليبين امره فادعى الامر لنفسه)[٥٠] .

---

(٤٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦ طبعة النجف سنة ١٩٣٦م .
(٤٥) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٨ . دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦م .
(٤٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤-٤٦ .
(٤٧) الاسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ص ١١٢ ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، الناشر : مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥ . وساشير اليه : التبصير في الدين وساعتمد هذه الطبعة .
(٤٨) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٤٥ .
(٤٩) اللمية : وهم اصحاب العليا بن ذراع الدوسي وقال قوم الاسدي (الملل والنحل ج٢ ص ١٢) وسموا باللمية لان العليا كان يقول بذم محمد (الملل والنحل ج٢ ص ١٢-١٣) ونسب فريق من اللمية الالوهية الى خمسة اشخاص .. محمد وعلي .. الخ (الملل والنحل ٢ ١٢-١٣) .
(٥٠) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص ٨٣-٨٤ .

وفرقة الشريعية[٥١] ادعت (ان الله حل في خمسة أشخاص محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا لهذه الاشخاص الخمسة خمسة أضداد ابو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص)[٥٢] .

وكذلك استغلت فرقة الحربية[٥٣] الحلول لضرب التوحيد والنبوة فقالت (ان روح الاله تناسخت في الانبياء والائمة الى ان انتهت الى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ... وانتقلت منه الى عبدالله بن عمرو بن حرب)[٥٤] وبذلك طعنت الحربية في مبدأ التوحيد وانكرت النبوة كما انكرت اختتامها بمحمد وطعنت في الائمة وفقا لهواها .

واستغلت الراوندية[٥٥] الحلول لنقل الامامة من البيت العلوي الفرع الحسيني الى الفرع الحنفي ومنه الى البيت العباسي ثم الى أبي مسلم

---

(٥١) الشريعية : اتباع رجل يعرف بالشريعي . (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) ولم تذكر المصادر شيئا اخر عن اسمه ، وقد غالت هذه الفرقة بحق الرسول وال البيت ونسبت اليهم الالوهية على اساس الحلول (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) وعن طريق الحلول هاجمت الرسول والصحابة (مقالات الاسلاميين ١ج ص ٨٢) وادعى الشريعي الالوهية وذلك على اساس الحلول حيث ان الاله قد حل فيه (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) .

(٥٢) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص ٨٢–٨٣ .

(٥٣) الحربية : وهي من الفرق الغالية وضع اسسها عبدالله بن عمرو ابن حرب الكندي (الفرق بين الفرق ص ١٤٩) وقالت بالحلول وطعنت من خلاله مبدأ التوحيد وانكرت فكرة النبوة واختتامها (الفرق بين الفرق ص ١٤٩) .

(٥٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٤٩ .

(٥٥) الراوندية : وهي من الفرق الغالية ويسميهم النوبختي الروندية (فرق الشيعة ص ٦٧) ويعتبر الطبري ان (الابلق تكلم بالغلو ودعا بالراوندية فزعم ان الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن ابي طالب ثم في الائمة .. واستحلوا الحرمات) الطبري ج٢ ص ١٣٠ طبعة ليدن) وقالت الراوندية بالتناسخ وزعموا (ان روح آدم انتقلت الى رجل من كبارهم وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور) (ابن الاثير : الكامل ج٥ ص ١٨٧ م التحرير القاهرة) وقالت بالهية ابي جعفر المنصور (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٢٥) . وتفرقت الراوندية الى عدة فرق منها الابو مسلمية والرزامية والمقنعية والهريرية والجريانية (النوبختي فرق الشيعة ص ٦٧–٦٨ ومروج الذهب ج٣ ص ٢٥٤) .

الخراساني فقالت (ان الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الائمة في واحد واحد الى ابراهيم بن محمد ... وانهم آلهة)[٥٦] .

ولما ادركت الراوندية أهمية أبي جعفر المنصور واثره في محاربتهم قرروا الطعن فيه فقالوا بالوهية أبي جعفر المنصور على أساس الحلول وان (روح آدم حلت في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور)[٥٧] .

واستغلت الراوندية الحلول للطعن في صحة خلافة الخلفاء الراشدين وذلك من خلال التظاهر بالولاء للعباسيين فقالت (ان النبي (ص) نص على العباس بن عبدالمطلب ونصبه اماما ثم نص العباس على امامة ابنه عبدالله ... ثم ساقوا الامامة الى ان انتهوا الى أبي جعفر المنصور)[٥٨] وتبرأوا من أبي بكر[٥٩] وعمر (رض) .

كما استغلت فرقة الابو مسلمية الحلول لاضفاء صفة الربوبية على أبي مسلم فادعت انه صار الها بحلول روح الاله فيه[٦٠] ولتأكيد الثقة عند العاملين لاعادة الملك الى الفرس قالت الابو مسلمية (ان ابا مسلم حي وان روح الاله انتقلت اليه وهم على انتظاره ويقولون ان الذي قتله أبو جعفر كان شيطانا بصورة ابي مسلم)[٦١] .

وقد استغل بعض الفرق الغالية الحلول لهدم المجتمع باباحة المحرمات وترك الفرائض وفي ذلك يقول البغدادي (ومنهم الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور على مذاهب الحلولية في دعواها حلول روح الاله

---

(٥٦) الطبري : ج٣ ص ٤١٨ طبعة ليدن .
(٥٧) ابن الاثير : الكامل ج٥ ص ١٨٧ مطبعة التحرير القاهرة .
(٥٨) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص ٩٢ .
(٥٩) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ٢٥٢ ط٣ مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد .
(٦٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٥ .
(٦١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج١ ص ١١٤ .

بزعمهم في الصور الحسنة)[٦٢] ، ويذهب ابن الجوزي كما ذهب البغدادي فيقول في الحلولية انهم (زعموا ان الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية ومنهم من قال هو حال في المستحسنات)[٦٣] . ومن هذه الفرق التي ذهبت في استغلال الحلول لهدم المجتمع فرقة الحلمانية فقد ادعى أبو حلمان حلول الاله في الاشخاص الحسنة وكان مع اصحابه اذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها[٦٤] ولتبرير استباحة المحرمات قال ابو حلمان (ان من عرف الاله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه)[٦٥] ، ولما كان الاله يحل في الصور الحسنة على رأي الحلمانية فان معرفة الاله سهلة لا تحتاج الا جهدا قليلا للبحث عنه في الصور الجميلة . واعلن ابو حلمان بعد هذا (ان كل من كان اعتقاده مثل اعتقادي فلا تكليف عليه وكل ما يشتهيه فهو حلال)[٦٦] .

والتناسخ هو رد الروح الى بدن غير البدن الاول[٦٧] وهذه الكلمة هي الاصطلاح الصحيح الخاص بفكرة انتقال الارواح من شخص الى شخص[٦٨] ، والتناسخ من الافكار القديمة فهو (علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها[٦٩] . ويرى ابو العلاء المعري (ان فرعون كان على هذا المذهب[٧٠] ، ويؤيد ابن الجوزي ما ذهب اليه أبو العلاء من ان هذا المذهب ظهر في زمن فرعون وموسى[٧١] .

(٦٢) الفرق بين الفرق ص ٢١٢ .
(٦٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٢٥٦ .
(٦٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٦ .
(٦٥) المصدر السابق ص ١٥٦ .
(٦٦) المصدر السابق ص ١٥٦ .
(٦٧) ابن سينا : رسالة اضحوية في امر المعاد ص ٤١ الطبعة الاولى سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م مطبعة الاعتماد بمصر ، تحقيق سليمان دنيا ، وساشير اليه : رسالة اضحوية .
(٦٨) بدوي : التراث اليوناني ص ٢٢٤-٢٢٥ .
(٦٩) البيروني : الفلسفة الهندية ص ٥٢ .
(٧٠) رسالة الغفران ص ٤٤٩ الطبعة الثانية .
(٧١) تلبيس ابليس ص ٧٧ .

وقد ذهب القائلون بالتناسخ مذاهب شتى (فرقة يجوزون كرور النفس في جميع الاجساد البالية نباتية كانت أو حيوانية ... وفرقة يقصرون ذلك على الابدان الحيوانية ، وفرقة لا يجوزون دخول نفس انسانية في نوع غير الانسان أصلا)[٧٢] .

وانتقال الروح الانسانية على ضوء مبدأ التناسخ يتم بعد مفارقتها أجسادها وذلك على مقالتين (فرقة ذهبت الى ان الارواح تنتقل بعد مفارقتها الاجساد الى أجساد اخر وان لم تكن من نوع الاجساد التي فارقت ... والفرقة الثانية ذهبت الى ان منعت من انتقال الارواح الى غير أنواع أجسادها التي فارقتها)[٧٣] .

وقالت معظم الفرق الغالية بالتناسخ ولم تقف عند حد انتقال الارواح من جسد الى آخر بل ذهبت الى القول بتناسخ روح الاله وفي ذلك يقول البغدادي (واما أهل التناسخ في دولة الاسلام ... فقالت بتناسخ روح الاله في الائمة)[٧٤] والشهرستاني يذهب الى ما ذهب اليه البغدادي فيقول حكاية عن أحد الغلاة (... وقال روح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه)[٧٥] .

ولقد استغلت الفرق الغالية التناسخ لمحاربة مبادىء الاسلام ولما كان مبدا التوحيد هو المبدأ الاساسي فقد وجهوا اليه حملتهم المركزة فقالت فرقة البيانية (ان روح الاله تناسخت في الانبياء والائمة)[٧٦] وبذلك اوجدت عددا من الالهة وطعنت مبدأ التوحيد كما قللت من شأن النبوة والامامة .

---

(٧٢) رسالة اضحوية : ص ٤١ .
(٧٣) ابن حزم : الفصل في الملل ج١ ص ٦٠-٦١ .
(٧٤) الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .
(٧٥) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٧٦) الرسعني : مختصر الفرق ص ١٤٥ .

وقد استغل عبدالله بن معاوية صاحب فرقة الجناحية[٧٧] التناسخ وادعى الالوهية بسوجيه فقال (وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه وادعى الالوهية والنبوة معا[٧٨] .

ويوضح فلهاوزن كيف استغلت الفرق الغالية مبدأ التناسخ للطعن في النبوة فيقول (وقالوا ان روح الله التي تحل في نفوس الانبياء تنتقل من نبي الى نبي آخر بعد وفاة السابق ، ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد أو يتابعون حتى يبلغوا الف نبي وتبعا لهذا فان الانبياء جميعا واحد بما يبعث في كل منهم من روح الله والحق ان النبي الصادق واحد يعود ابدا من جديد)[٧٩] . وذهبت فرقة الكاملية[٨٠] في استعمال التناسخ للطعن في النبوة والامامة معا فقالت (الامامة نور يتناسخ من شخص يكون

---

(٧٧) الجناحية من الفرق الغالية سميت بذلك لان مؤسسها هو عبدالله ابن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذي الجناحين (انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١١) وقالت بالحلول (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) وادعى عبدالله النبوة والالوهية على اساس التناسخ (الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢) وقد الغى امر المعاد واعتبر الثواب والعقاب في الارواح المتناسخة (الملل والنحل ج١ ص ٢٠٣) .

(٧٨) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٧٩) الخوارج والشيعة الترجمة العربية ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٨٠) الكاملية : من الفرق الغالية اتباع ابي كامل (الملل والنحل ج١ ص ١٧) ولم تذكر المصادر شيئا اخر عن اسمه ، وقد فضل ابو كامل النار على الطين والتراب (العراقي : الفرق المفترقة ص ٣١) وصوب موقف ابليس في امتناعه عن السجود لادم (الفرق بين الفرق ص ٣٥) ، وكان الشاعر بشار ابن برد يقول بمقالة الكاملية حيث قال (بالرجعة وتفضيل النار على الارض) وانشد :

الارض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

(انظر الملل والنحل ج٢ ص ١١) وقالت هذه الفرقة بالتناسخ (الملل والنحل ج٢ ص ١١) وبالوهية الانبياء على اساس تناسخ روح الله فيهم (التحفة الاثنى عشرية ص ١٠) كما طعنت في الصحابة جميعا فقالت (ان الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي بتركه قتالهم) (الفرق بين الفرق ص ٣٥).

نبوة ومن شخص يكون امامة وربما تتناسخ الامامة فتصير نبوة)[٨١] وهكذا أصبحت النبوة والامامة أمرا يتناقله الغلاة من شخص الى آخر فاوجدوا عددا من الانبياء والائمة وفقا لاهوائهم . ولم تقف الكاملية عند هذا الحد بل ذهبت الى الطعن في مبدأ التوحيد فقالت بتناسخ روح الله تعالى التي (كانت في آدم ثم في شيت ثم صارت الى الانبياء)[٨٢] .

واستعملت فرقة البشرية[٨٣] التناسخ للطعن في الامامة فاعتبروا (الامامة قائمة على التناسخ فقالوا .. ان الائمة واحد وانما هم منتقلون من بدن الى آخر)[٨٤] .

وقد استغلت الفرق الغالية التناسخ لنسخ مبدأ المعاد وانكار الجنة والنار والطعن بالفرائض واباحة المحرمات فجعلوا الثواب والعقاب في الارواح المتناسخة فقالوا (ان الارواح تتناسخ من شخص الى شخص وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص)[٨٥] وقد فرقت الفرق الغالية بين أرواح الصالحين والاشرار فقالوا (فأرواح الابرار والصالحين تنتقل الى أجساد الصالحين والابرار وأرواح الاشرار والفاسقين تنتقل الى أجساد الفاسقين والاشرار وكل جسد ينتقل اليه روح صالح يكون عيشه رضيا

---

(٨١) الدهلوي : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٠ نقله من الفارسية الى العربية غلام محمد واختصره محمود شكري الالوسي وحققه وعلق عليه محب‌الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٧٣هـ وقد اعتمدت هذه الطبعة .

(٨٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١١-١٢ .

(٨٣) البشرية : وهم اصحاب محمد بن بشر مولى بني اسد من اهل الكوفة (فرق الشيعة ص ١٠٤) وغلت هذه الفرقة في الامام موسى بن جعفر (ع) فادعت انه (لم يمت ولم يحبس وانه حي غائب وانه القائم المهدي) (فرق الشيعة ص ١٠٢) وكذلك انكرت البشرية جانبا من الفرائض (فزعموا ان الفرض من الله عليهم اقامة الصلوات الخمس وصوم رمضان وانكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض) (فرق الشيعة ص ١٠٥) وقالت بالتناسخ ولا سيما تناسخ الامامة (فرق الشيعة ص ١٠٥) .

(٨٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ١٠٤-١٠٥ .

(٨٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .

ضيا هنيئا وكل جسد ينتقل اليه روح فاسق شرير يكون عيشه متعصبا مكدرا)[٨٦] ويذهب ابن الجوزي الى ما ذهب اليه العراقي فيقول في أهل التناسخ (وقالوا بالتناسخ وان أرواح أهل الخير اذا خرجت دخلت في ابدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر اذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق)[٨٧] .

وهكذا جعلت هذه الفرق الثواب والعقاب في الاجساد التي يقع عليها التناسخ وبذلك أنكروا الجنة والنار ويعلق الشهرستاني على بدعتهم بقوله (وكفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص)[٨٨] .

وعلى هذا انكر الغلاة القائلون بالتناسخ البعث وقالوا بدوام الحياة الدنيا وفي ذلك يقول فلهاوزن حكاية عنهم (فالارواح تنتقل بالموت من جسم الى جسم وثمة بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا)[٨٩] .

ويرى ابن سينا ان القائلين بالتناسخ انقسموا الى فرق (فرقة توجب التناسخ للنفس الشقية وحدها حتى تستكمل وتسعد فتخلص من المادة ... وفرقة توجب ذلك للنفسين جميعا الشقية والسعيدة .. الشقية في ابدان تعبة والسعيدة في ابدان ذات نعمة وراحة)[٩٠] .

ومن خلال مبدأ التناسخ انكرت الفرق الغالية الفرائض واباحت المحرمات من أجل هدم المجتمع وبذلك يسهل عليهم التسلل لهدم الاسلام فقد أباحت فرقة الجناحية المحرمات فكانوا (يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه[٩١] ودعت فرقة الحارثية الى اباحة المحرمات على

(٨٦) العراقي : الفرق المفترقة ص ٢٨-٣٩ .
(٨٧) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٧٦-٧٧ .
(٨٨) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٨٩) فلهاوزن : الخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٤٨ .
(٩٠) ابن سينا : رسالة اضحوية ص ٤١ .
(٩١) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ .

أنواعها[٩٢] . واستغلت الراوندية التناسخ للطعن في الفرائض واشاعة الموبقات فقالت (ان الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن ابي طالب ثم في الأئمة ... وانهم الهة واستحلوا الحرمات)[٩٣] وكذلك اشاعت الفرق الغالية المحرمات فهم (يستحلون شرب الخمر ومباشرة الاخوات ومباشرة نساء بعضهم بعضا فيجمعون النساء في موضع واحد ثم يهجمون عليهن دفعة واحدة فيأخذ كل واحد من الرجال من شاء منهن ويقولون هذا صيد والصيد حلال)[٩٤] .

واستغلت بعض الفرق التناسخ للطعن في الصحابة فجوز بعض الفرق في أول الامر (كرور النفس في جميع الاجساد البالية نباتية كانت أو حيوانية)[٩٥] وقد فلسفت هذه الفرق ذلك بقولها ان (النفس اذا قدرت على تهيئة مسكن لها مثل بدن الانسان فهي قادرة على تهيئة مساكن لها دونه ... فالابدان الانسانية والحيوانية .. داخلة في ذلك التقدير والتدبير فلا يمتنع ان تسكن النفس في الابدان غير الانسانية)[٩٦] ولم ينس هؤلاء الغلاة ان يؤلوا آيات من القرآن في سبيل تثبيت فكرة تناسخ أرواح بني الانسان في الحيوانات فقالوا (ان في قوله تعالى ـ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم أي انهم مشاركون لنا في نفوسهم بالقوة)[٩٧] وعلى هذا نجد فرقة الجناحية تقول (ان الارواح تتناسخ من شخص الى شخص ... اما أشخاص بني آدم واما أشخاص الحيوانات)[٩٨] كما أجازوا (تناسخ الارواح في الصور المختلفة وأجازوا ان ينقل روح الانسان الى كلب وروح الكلب الى انسان)[٩٩] وبذلك اخذوا في الهجوم

---

(٩٢) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ . ومختصر الفرق ص ١٥٣-١٥٤ .
(٩٣) الطبري : ج٣ ص ٤١٨ الطبعة الحسينية .
(٩٤) العراقي : الفرق المفترقة ص ٢٨-٢٩ .
(٩٥) رسالة اضحوية : ص ٤١ .
(٨٦) ابن سينا : رسالة اضحوية ص ٨٦ .
(٩٧) المصدر السابق ص ٤٢ .
(٩٨) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٩٩) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .

على الصحابة من خلال القول بالتناسخ فكان بعض الغلاة يأخذ (البغل أو الحمار فيعذبونه ويضربونه ويعطشونه ... على ان روح ابي بكر وعمر قد حلت فيه)[١٠٠] . ولم يقف الامر عند هذين الشيخين الجليلين بل تجاوزهما الى عائشة زوجة الرسول (ص) وذلك (بان كانوا يأخذون عنزة تضرب وتعذب لان روح عائشة قد حلت في هذا الحيوان)[١٠١] .

البـــداء

ومن الاراء الغالية القول بالبداء وهو لغة مصدر بدا يبدو اذا عدل عن راي كان يراه الى رأي آخر[١٠٢] حيث يبدو للانسان رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي من قبل بأن يتبدل عزمه من العمل الذي كان يريد ان يقوم به اذ يحدث ما يغير رأيه فيبدو له تركه بعد ان كان يريد عمله[١٠٣] .

والبداء من المبادىء التي قال بها بعض الفرق الغالية وقصد به ان الله يخبر ان يفعل الامر ثم يبدو له فلا يفعله فهو لهذا تغير الارادة الالهية لقرار قد قرر قبلا[١٠٤] . وفي ذلك يقول الخياط المعتزلي على لسان الغلاة بشأن البداء (فاذا فعل فعلا وخبر بخبر ثم تبين له انه ليس بصواب بدا له فيه وانتقل عنه الى غيره)[١٠٥] ويرى الاسفراييني ان المختار بن ابي عبيد الثقفي اول من قال بالبداء على أثر ادعائه علم الغيب وان الله سبحانه وتعالى يخبره عما سيقع فحينما بعث جيشا بقيادة أحمد بن شميط لمقاتلة مصعب بن

---

(١٠٠) ابن حزم : الفصل في الملل ج٤ ص ١٨٢ .

(١٠١) فريد لندر : The Journal of the American Oriental Society, Vol. 28 A, p. 58.

(١٠٢) انظر مختصر الفرق الحاشية ص ٣٥ .

(١٠٣) انظر اصول الكافي ج٢ ق١ ص ٢١١ .

(١٠٤) محمد جابر عبدالعال : حركات الشيعة المتطرفين ص ٧٩ ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .

(١٠٥) الخياط المعتزلي : الانتصار ص ٩٥ المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ١٩٥٧م .

الزبير قال لقائده (اوحي الي ان الظفر لكم ، فهزم ابن شميط ... فعاد اليه فقال اين الظفر الذي وعدتنا فقال له المختار هكذا قد وعدني الله ثم بدا)[١٠٦]، ولم ينس المختار ان يؤيد قوله هذا بآية من القرآن الكريم ويفسرها وفقا لما يريد فقال انه سبحانه وتعالى قال (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب)[١٠٧] .

ويرى النوبختي ان ابا الخطاب صاحب الخطابية هو الآخر قال بالبداء فيقول (فحينما أرسل أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى لمقاتلته قال أبو الخطاب .. قاتلوهم فان قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضركم ولا تعمل فيكم . فقدمهم عشرة عشرة للمحاربة فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلا قالوا له ما ترى يحل بنا من القوم ... قال لهم ان كان قد بدا لله فيكم فما ذنبي)[١٠٨] .

ويؤيد الطبري ما ذهب اليه النوبختي فيقول ان (عبدالله بن نوف .. حين خرج الناس الى حروراء .. والتقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين ولقيه عبدالله بن شريك وكان قد سمع مقالته فقال ألم تزعم لنا يا ابن نوف انا سنهزمهم قال اوما قرأت في كتاب الله ـ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ـ واخذها ابن نوف من الخطابية)[١٠٩] .

ويؤيد ابن الاثير ما ذهب اليه النوبختي والطبري فيقول على لسان أحد أنصار أبي الخطاب (الم تقل ان سيوفهم لا تعمل فينا ؟ فقال .. اذا كان قد بدا لله فما حيلتي)[١١٠] .

---

(١٠٦) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٢٢ .
(١٠٧) سورة الرعد ١٣ آية ٣٩ .
(١٠٨) النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٩ـ٦٠ . تصحيح هـ . ريتر مطبعة الدولة اسطنبول سنة ١٩٣١م .
(١٠٩) الطبري : ج٢ ص ٧٠٦ و٧٢٢ . طبعة اوربا .
(١١٠) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص ٢١ .

وعلى الرغم من هـذا فان فكـرة البداء أصـبحت صفة ملازمة لفرقة الكيـانية وفي ذلك يقول البغدادي (وان القول بالبداء من وضع الكيـانية وقد توزعت الى عدة فرق وظهر لها مجموعة آراء الا ان الكيـانية يميزها عن بقيـة الفرق امران احدهما قولهـم بامامة ابن الحنفية والثاني قولهـم بجواز البداء على الله)[111] .

ولقد استغلت الفرق الغالية فكرة البداء للطعن في ذات الله وقدرته كما استغلت هـذه الفكرة في افسـاح المجال لادعاء النبوة والطعن بها وفي ذلك يقول النوبختي (فأما البداء فان أئمتهم لما احلوا انفسـهم محل الانبياء في رعيتها في العلم فيما كان ويكون ... قالوا ... انه سيكون في غد وفي غابر الايام كذا وكذا فان جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم الم نعلمكم ان هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الانبياء ... وان لم يكـن ذلـك الشـيء الذي قـالوا انـه يكـون قالوا بدا لله في ذلـك بكونه)[112] . والقول بالبداء فيه طعن في مبدأ التوحيد وقدرة الله وفي ذلك يقول الخياط (ولا شك ان الموصوف بهـذا منقوص والنقصان من أعلام الحدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[113] .

وفي مبـدأ البداء خطورة على الدين وعلى المجتمع ، فمن اليسـير ان يستغل البـداء أكثر من مدع فيدعي العلم عن الله والتحدث عن الغيب ويعتمد على البداء لتبرير الحالات التي يعد بها المدعي ولا تتحقق . كما وان البداء قـد استغل لتبرير التلون السياسي والتقلب في المذاهب فالمختـار الثقفي صاحب هذه الفكرة (كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيـانيا)[114] ويبدو ان المختار قـد برر لنفسـه ولانصاره هـذا التلون بالكذب على الله بانه سبحانه وتعالى كان يبدو له فيتحول هو بحسـب ذلك

(١١١) الفرق بين الفرق ص ٢٦ .
(١١٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٤-٨٥ . طبعة استانبول .
(١١٣) الخياط : الانتصار ص ٩٥ .
(١١٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٩٧ .

ويعلق نلهاوزن على تقلب المختار بقوله (ابتدع القول بالبداء في الله لكي يبرر تقلبه هو من مذهب الى مذهب)[115] .

التـاويل :

والتأويل من المبادىء الاساسية التي وضعتها الفرق الغالية لمحاربة الاسلام وهـو (الرجوع الى المآل ومآل الكلام مفـاده وفحواه)[116] ، ومنشأ هـذه الفكرة قولهم (انه لابد لكل محسوس من ظاهـر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بانه فيه وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه)[117] .

وقـد استغل الغلاة هذه الفكرة وطبقوها على القرآن الكريم فقالوا (ان القرآن له ظاهـر وباطن وتنزيل وتأويل)[118] وتلـمـوا آيات من القرآن لدعم فكرتهم فقالوا ان في قوله تعالى (واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)[119] وقوله عز وجل (وذروا ظاهـر الاثم وباطنـه)[120] وقوله سبحانه (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم)[121] وقوله تعالى (هل ينظرون الى تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قـد جاءت رسل ربنا بالحق)[122] تأييدا لما ذهبوا اليه من القول بالتأويل ..

ولمـا كان التأويل يبحث في مآل الكلام وفحواه فان معظم الفـرق الغالية قد أخذت بتأويل آيات القرآن وفقا لاغراضها واستغلت ذلك في

---

(١١٥) الخوارج والشيعة ص ٢٣٥ .

(١١٦) ابن حيون : أساس التاويل ص ٥ تحقيق عارف تامر ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م .

(١١٧) المصدر السابق ص ٢٨ .

(١١٨) عبدالجبار الاسد ابادى : المغني في ابواب التوحيد والعدل ج١٦ ص ٣٦٣-٣٦٤ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٠ .

(١١٩) سورة لقمان ٣١ آية ٢٠ .

(١٢٠) سورة الانعام ٦ آية ١٢٠ .

(١٢١) سورة آل عمران ٣ آية ٧ .

(١٢٢) سورة الاعراف ٧ آية ٥٣ .

محاربة مبادىء الاسلام ، فتوجهوا الى مبدأ التوحيد فاولت فرقة البيانية من أجل الطعن فيه قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ان الله يفنى جميعه الا وجهه[١٢٣] اما فرقة المقنعية[١٢٤] فقد ادعى مؤسسها لنفسه الالهية[١٢٥] وصور هذه الالهية تصويرا خاصا معتمدا على التأويل فقال (انه هو الاله وانه يظهر مرة بصورة آدم وكان يظهر بعده في صورة كل واحد من الانبياء ... وظهر في صورة علي ثم في صورة أولاده على الترتيب ثم في صورة أبي مسلم وقد ظهر الآن في صورة هشام بن الحكم يعني به نفسه)[١٢٦] .

وقد استعمل الغلاة التأويل للطعن في النبوة واولوا الآيات القرآنية في سبيل ذلك فادعت فرقة المنصورية على لسان مؤسسها النبوة على أساس التأويل فقال (ان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه بالتأويل)[١٢٧] ولم يقف أبو منصور عند هذا الحد بل ادعى (ان الرسل لا تنقطع والرسالة لا تنقطع)[١٢٨] وبذلك طعن في نبوة محمد وانكر انه خاتم الانبياء ولكي يؤيد ادعاءه النبوة أول أبو منصور قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم)[١٢٩] انه الكسف الساقط من السماء وانكرت

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل جـ٥ ص ٧٧ . مطبعة التحرير القاهرة سنة ١٣٠٢هـ .

(١٢٤) المقنعية : من الفرق الغالية ينسبها النوبختي الى (هاشم بن حكيم المروزي الملقب بالمقنع) (فرق الشيعة ص ٦٨) ويسميه الاسفرايني ـ هشام بن الحكم ـ التبصير في الدين ص ١١٤ ، وقد ادعى المقنع لنفسه الالوهية (الفرق بين الفرق ص ١٥٥) وذلك على اساس تأويل الربوبية وانها تظهر بصور مختلفة (التبصير في الدين ص ١١٤ـ١١٥) وقد اباحت المقنعية المحرمات واسقطوا الصلاة والصيام وسائر العبادات (الفرق بين الفرق ص ١٥٥) .

(١٢٥) الفرق بين الفرق ص ١٥٥ .

(١٢٦) التبصير في الدين ص ١١٤ـ١١٥ .

(١٢٧) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٠ .

(١٢٨) الملل والنحل ج ٢ ص ١٤ .

(١٢٩) سورة الطور ٥٢ آية ٤٤ .

الباطنية[130] النبوة واستعملت التأويل دليلا على انكارها فقالوا (ان الانبياء قوم احبوا الزعامة .. واذا ذكروا النبي والوحي قالوا ان النبي هو الناطق والوحي اساسه الفاتق[131] والى الفاتق تأويل نطق الناطق)[132] وهكذا ضاعت النبوة بين الناطق والفاتق وامست حبا للزعامة .

وقد استغلت الفرق الغالية التأويل لضرب مبدأ المعاد وما يتعلق به من بعث الموتى والجنة والنار فاولت المنصورية (الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس في الدنيا)[133] وذهبت في تشويه صورة الجنة من خلال قولها بالتأويل فادعت (ان الجنة رجل امرنا بموالاته وهو أمام الوقت وان النار رجل امرنا بمعاداته وهو خصم الامام)[134] ومن اجل تأكيد فكرة خلود الحياة قالت فرقة المعمرية[135] (ان الدنيا لا تفنى وان الجنة

---

(١٣٠) الباطنية : وسبب تسميتهم بالباطنية لقولهم بالامام الباطن (مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١) واعتبروا (ان كل من عمل بالباطن دون الظاهر فليس هو مؤمن ومن عمل بالباطن والظاهر فهو الموثق) (خمس رسائل اسماعيلية الرسالة الثانية ص ١٢٦) وقالت الباطنية بامامة محمد بن اسماعيل (التبصير في الدين ص ٤١) ويحدد الاسفراييني بدايتها في زمن المامون (المصدر السابق ص ٤١) وكان مؤسس هذه الفرقة ميمون بن ديصان المجوسي (الفرق بين الفرق ص ١٧٠) وقالت هذه الفرقة بالتاويل وانكرت النبوة (المصدر السابق ص ١٧٧) .

(١٣١) الناطق والفاتق من تأويلات الباطنية بخصوص النبي والامام والعالم ، فقد ادعوا ان معجزة النبي الصادق ليست غير اشياء تنتظم بها سياسة الجمهور فينتظم بذلك النبي شريعة يتبعها الناس .. والعالم عندهم ناطق الشريعة والامام ناطق الحقيقة وهو المبدع الكلي انظر ذلك مفصلا في الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ط٢ القاهرة ١٩٦٤ .

(١٣٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٧ .

(١٣٣) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٥٢ .

(١٣٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٥٢ .

(١٣٥) المعمرية : فرقة غالية تفرعت عن الخطابية وزعمت ان الامام بعد ابي الخطاب هو معمر (الملل والنحل ج٢ ص ١٦) ولم تذكر المصادر شيئا اخر عن بقية اسمه ، وقد غالت في الامام الصادق وادعت نبوته (مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٣) ونقلت النبوة من الصادق الى ابي الخطاب ومنه الى معمر =

(المصدر السابق ص ١٢) وانكر مصر الجنة والنار على اساس التأويل مرعم هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وان النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية)[١٣٦] ولتوكيد الغاء فكرة المعاد والحساب اباحت المصرية شرب الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركوا الصلاة والفرائض[١٣٧] كما استعملوا التأويل لالغاء الفرائض واباحة المحرمات فقالت فرقة الخطابية (ان الزنا رجل وان الخمر رجل وان الصلاة رجل والصيام رجل والفواحش رجل)[١٣٨] وكذلك اولت فرقة الابو مسلمية في الامامة والفرائض فقالوا (بالاباحات وترك جميع الفرائض وجعلوا الايمان المعرفة لامامهم فقط)[١٣٩] والجناحية (استحلوا .. المحرمات واسقطوا وجوب العبادات وتأولوا العبادات على انها كنايات عن تجب موالاتهم)[١٤٠] وانكرت الباطنية الفرائض على أساس التأويل فقالت (والصلاة موالاة امامهم والحج زيارته والصوم عدم افشاء سره)[١٤١] . وقد اولت فرقة البشرية الفرائض فقالت (ان الفرض من الله عليهم اقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وانكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض)[١٤٢] وتحولت البشرية بعد ذلك الى المجتمع فعملت به هدما فقالت (باباحة المحارم في الفروج والغلمان)[١٤٣] .

= ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير .. وان النار هي ما يصيب الناس من شر .. واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركوا الفرائض (الملل والنحل ج٢ ص ١٦) .

(١٣٦) الملل والنحل ج٢ ص ١٦ .

(١٣٧) المصدر السابق ج٢ ص ١٦ .

(١٣٨) الكشي : معرفة اخبار الرجال ج٢ ص ١٨٨ المطبعة المصطفوية بمباى سنة ١٣١٧هـ .

(١٣٩) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة النجف ١٩٣٦ .

(١٤٠) الرسعني : مختصر الفرق ص ١٥٢ .

(١٤١) البشبيشي : الفرق ص ٥٩ .

(١٤٢) فرق الشيعة ص ١٠٤ .

(١٤٣) انظر فرق الشيعة ص ١٠٥ ومعرفة اخبار الرجال ج٥ ص ٢٩٨ .

وذهبت القرامطة[١٤٤] الى تأويل الفرائض وشروطها وفقا لهواها فقالت (ان الجنة نعيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد)[١٤٥] وادعت (ان الصلاة اربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها •• والقبلة الى بيت المقدس والحج الى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين والصوم يومان في السنة همـا المهرجان والنوروز)[١٤٦] •

وقد استغلت الفرق الغالية التأويل للهجوم على الامامة وصحابة الرسول وآل بيته فقالت فرقة المغيرية[١٤٧] في تأويل قوله تعالى (انا عرضنا

(١٤٤) القرامطة : هي من الفرق الباطنية وضع اسسها (حمدان قرمط وعبدالله بن ميمون القداح) (التبصير في الدين ص ٢٩) . وقد اختلف المؤرخون في اصل كلمة قرمط فالطبري يرى (ان ابتداء امرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف وقد تمرض هذا فاعتنى به رجل يعمل على اثوار احمر العينين وكان اهل القرية يسمونه كرميته •• وهو بالنبطيه احمر العينين) (الطبري ج١١ ص ٢٢٧) وخففت كرميته حتى اصبحت قرمطية ؛ ويذهب الطبري في تفسير هذه الكلمة مذهبا اخر فيقول (قرمط رجل من سواد الكوفة كان يحمل غلات السواد على اثوار له يسمى حمدان ويلقب بقرمط) (الطبري ج١١ ص ٢٢٧) ويذهب ابن الجوزي الى ما ذهب اليه الطبري في معنى وابتداء القرامطة (تلبيس ابليس ص ١١٠) ويأتي الدهلوي برأي اخر فيقول (وقيل ان قرمط اسم لقرية من قرى واسط منها حمدان المخترع وهو قرمطي واتباعه قرامطة وقيل غير ذلك) (انظر مختصر التحفه الاثنى عشرية ص ١٧) . ونالت القرامطة بالتأويل ومن خلاله انكرت المحرمات فقالت (وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له اخت او بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي . . وما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذي يزعمون) (الفرق بين الفرق ص ١٧٨-١٧٩) .

(١٤٥) المصدر السابق ص ١٧٧ .

(١٤٦) الطبري : ج١١ ص ٢٢٧ . الطبعة الحسينية .

(١٤٧) المغيرية : من الفرق الغالية مؤسسها المغيرة بن سعيد مولى بجيلة (التبصير في الدين ص ١٠٨) وكان المغيرة ساحرا (الطبري ج٨ ص ٢٤٠) وكان سبئيا (التبصير في الدين ص ١٠٨) وقال المغيرة (بالهية علي) (ابن الاثير الكامل ج٥ ص ١٥٥ ط ليدن) وقال بالتشبيه فادعى (ان معبوده ذو اعضاء وان اعضاءه على صورة حروف الهجاء) (الفرق بين الفرق ص ١٣٨) كما قال =

الامـانة على السـماوات والارض فأبين ان يحملنها واشفقن منهـا فحملهـا الانسـان انـه كان ظلوما جهولا)[148] ان الظلوم الجهول أبو بكـر[149] واولت المغيرية قوله تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسـان ان اكفر فلما كفر قال اني برىء منك)[150] فالشيطان عندهم عمر بن الخطاب .

واولت المقنعية الدين بكـل مقـوماته فقالت (الدين معـرفة الامـام فقط)[151] واي امام هذا الذي معرفته تعني معرفة الدين واي دين هذا الذي معرفته تكون في معرفة الامام . ولما ارادت فرقة الهاشمية الطعن في النبوة والامامة قالت بالتأويل فادعت (ان الامام عالم يعلم كل شيء وهو بمنزلة النبي في جميع أموره ومن لم يعرفه لم يعرف الله وليس بمؤمن بل هو كافر مشرك)[152] .

واولت فرقة الحفصـية[153] قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما قلبه وهو الد الخصـام[154] انها نزلت في حق الامام علي وانه المقصـود بقوله وهو الد الخصـوم . وذهبت الحفصـية

= بالتأويل (مختصر الفرق ص ١٤٧) وقد استنكر الامام الصادق دعوة المغيرة وتعوذ منها ولعنه لانه كان يكذب على الامام الصادق (الكشي : معرفة اخبار الرجال ج٢ ص ١٤٦ و١٤٧) وقد قتله خالد بن عبدالله القـسرى حرقا مع بيان ابن سمعان صاحب البيانية (انظر الطبري ج ٨ ص ٢٤١ الطبعة الحسينية والمعارف ٢٦٧ .

(١٤٨) سورة الاحزاب ٣٣ آية ٧٢ .

(١٤٩) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٤٧ .

(١٥٠) سورة الحشر ٥٩ آية ١٤٧ .

(١٥١) مختصر الفرق ص ١٤٧ .

(١٥٢) المصدر السابق ص ١٤٧ .

(١٥٣) الحفصـية : وهي من فرق الخوارج نسـبة الى حفص بن ابي المقدام (الملل والنحل ج١ ص ١٨٣) ومن آرائه الغالية قوله ان بين الايمان والشرك معرفة الله .. (مختصر الفرق ص ٦٦) وقالت الحفصية بالتاويل واستعملته للطعن في شخصـية الامام علي (كرم الله وجهه) (انظر مختصر الفرق ص ٦٦) واستعملت التأويل للاشادة بعبدالرحمن بن ملجم (المصدر السابق ص ٦٦) .

(١٥٤) سورة البقرة ٢ آية ٢٠٤ .

في تأويل الايمان فقالت (ان بين الايمان والشرك معرفة الله فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا فهو كافر بريء من الشرك ومن جهل بالله وانكره فهو مشرك)[155] ولم تنس فرقة الحفصية ان تمتدح ابن ملجم مستغلة التأويل فقالت (انه هو الذي انزل فيه ـ ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله)[156] .

من هذا يتبين ان الفرق الغالية قالت بالتأويل واستعملته لمقاومة الاسلام وهدم مبادئه وتوجهت الى القرآن وهو دستور الاسلام والمرجع الاول والاهم في الحركة الاسلامية فعمدت الى التأويل فيه فقالوا (من معجزات وغرائب تأليفه انه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه فجعل عزوجل ظاهره معجزة رسوله وباطنه معجزة الائمة من أهل بيته لا يوجد الا عندهم ولا يستطيع أحد ان يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله جدهم ولا ان يأتي بباطنه غير الائمة من ذريته وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ويعطون كل احد منهم ما يستحقون ويمنعون من يجب منعه ويدفعون عنه من استحق دفعه)[157] وهذا التقسيم للقرآن الى ظاهر وباطن وجعل الظاهر معجزة الرسول والباطن معجزة الائمة وان فهمه وقف عليهم تقييد للمسلمين وتضييق على حريتهم الفكرية وابعاد للقرآن عن المهمة التي انزل من اجلها وتحويله اثرا جامدا لا حياة فيه وفي ذلك هدم للاسلام وتجميد للحضارة العربية ويعلق القاضي عبدالجبار الاسد ابادي على تأويلهم هذا بقوله (فجعلوا ذلك طريقا الى القدح بالاسلام .. لانه مبني على القرآن والسنة فاذا اخرجوا من القرآن ان يعرف به شيء .. وجعلوا المرجع الى الباطن الذي لا يعلم الا من جهة الحجة .. وذلك متعذر فقد سدوا باب معرفة

---

(١٥٥) مختصر الفرق ص ٦٦ .
(١٥٦) سورة البقرة ٢ آية ١٠٢ .
(١٥٧) ابن حيون : اساس التاويل ص ٣٠-٣١ .

الاسلام وطعنوا فيه)[158] فلا شك ان القول بالتأويل كان ابرع واخطر وسيلة استغلها الغلاة للهجوم على الاسلام وهدم مقوماته من الداخل وفي ذلك يقول البغدادي (ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة)[159] .

ب – الزندقة :

١ – الزندقة في الحضارة الايرانية :

لفظ الزنديق فارسي معرب[160] فليس (في كلام العرب زنديق ، فاذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملحد ودهري)[161] وقد عرب لفظ الزنديق (في العراق أخذا من المصطلحات الايرانية ايام حكم الساسانيين)[162] لذلك وجب ان نقف على معنى الزندقة واستعمالها في الحضارة الايرانية .

ماني والزندقة :

كانت الزرادشتية الديانة الرسمية طوال فترة الساسانيين التي امتدت من سنة ٢٢٦ الى سنة ٦٥١م[163] ومرت فترات محدودة اعتنق خلالها الملك سابور المانوية بضعة عشر سنة واعتنق الملك قباذ المزدكية حقبة من الزمن[164] .

---

(١٥٨) المغني في ابواب التوحيد والعدل ج١٦ ص ٣٦٣ .
(١٥٩) الفرق بين الفرق ص ١٧٠ .
(١٦٠) ابن كمال باشا : رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص ١ .
(١٦١) احمد امين : فجر الاسلام ص ١٠٨–١٠٩ الطبعة السابعة مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م .
(١٦٢) دائرة المعارف الاسلامية المجلد العاشر ص ٤٤٠–٤٤١ ، مطبعة الاعتماد القاهرة سنة .
(١٦٣) فجر الاسلام ص ٩٨–٩٩ ، الطبعة السابعة ، وساعتمد هذه الطبعة .
(١٦٤) انظر الاخبار الطوال ص ٢٥ وتاريخ اليعقوبي ج١ ص ١٢٩ طبعة النجف سنة ١٣٥٨هـ والطبري ج٢ ص ٨٨ الطبعة الحسينية وايران في عهد الساسانيين ص ٣٢٤ .

لقد ارتبطت الزندقة بماني ارتباطا زمنيا وفكريا ، والدينوري أول المؤرخين المسلمين الذين اطلقوا على ماني صفة زنديق في معرض الذم حيث قال (في زمن سابور ظهر ماني الزنديق واغوى الناس)[١٦٥] ولم يوضح الدينوري اسباب الحكم على ماني بالزندقة وكيف انه اغوى الناس ، ويفسر الطبري أسباب قتل ماني من قبل الملك هرمز فيقول كان (يدعوه الى دينه فوجده داعية للشيطان)[١٦٦] الا ان الطبري لم يبين ماهية الدين الذي دعا اليه ماني كما لم يوضح المقصود بالشيطان الذي ذهب هرمز الى القول بان ماني يدعو اليه .

والمسعودي أكثر المؤرخين وضوحا واقدمهم في ربط الزندقة بماني زمنيا اذ يقول (وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة)[١٦٦] كما انه أول المؤرخين الذين اوضحوا العلاقة الفكرية بين ماني والزندقة وبين الزندقة والزرادشتية حيث قال (ان الفرس حين اتاهم زرادشت .. بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الاولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند .. وكان الزند بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من اورد في شريعتهم شيئا بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندى اضافة له)[١٦٧] الا ان المسعودي لم يذكر من هو الذي وضع الزند تفسيرا لكتاب زرادشت (الافستا) ولو ان ما ذكره عن ماني وقوله ان الزندقة قد ظهرت في أيامه يوحي بان ماني هو الذي وضع الزند ، ومما يؤيد ذلك ان عددا من المؤرخين قد وضحوا العلاقة بين ماني والزندقة وأكدوا انه أول من وضع الزند تفسيرا

---

(١٦٥) الاخبار الطوال ص ٤٩ .
(١٦٦) الطبري : ج٢ ص ٨٢٤ طبعة دى غويه .
(١٦٦) مروج الذهب ج٢ ص ١٦٧ ، طبعة باريس سنة ١٨٦٣م .
(١٦٧) المصدر السابق ج٢ ص ١٦٧–١٦٨ .

للافستا[168] . والنسبة الى الزند زندي وهي صفة للمؤمن بالتفسير دون الاصل وفي ذلك يقول براون (زنديق صفة فارسية معناها متبع الزند أو الشرح القديم للافستا .. وان المانوية سموا بالزناديق لميلهم الى تأويل وشرح الكتب المقدسة حسب آرائهم)[169] .

مزدك والزندقة :

لقد ظهر مزدك أيام الملك قباذ وزين للناس ركوب المحارم[170] ودعا الى (اشتراك الناس في الاموال والحرم)[171] مما سبب غضب الزرادشتية على قباذ فعزلته عن العرش وحبسته[172] وحملت الملك انو شروان على قتل مزدك ومن كان في ملته[173] .

(١٦٨) فالمقدسي يقول وفي زمانه ــ اي شابور بن اردشير ــ ظهر ماني الزنديق وذلك ان اول ماظهر في الارض من امر الزندقة (البدء والتاريخ ج٣ ص ١٥٧) . ويقول ابو الفرج الاصفهاني على لسان حماد عجرد في حديثه عن بشار بن برد (انما يغيضني من بشار تجاهله بالزندقة وهو والله اعلم بالزندقة من ماني) (الاغاني ج٢ ص ٦٢) ويؤيد ذلك السمعاني اذ يقول (ان زندي هذه النسبة الى كتاب جمعه ماني سماه الزند من الزندية .. والزنديق نسبة الى ذلك واول من سمي بهذا الاسم ماني) (كتاب الانساب ص ٢٨٠ طبعة ليدن) . ويوضح ابن بدرون علاقة ماني بالزندقة كما ذهب الى ذلك السمعاني (كمامة الزهر وفريدة الدهر ص ٣٦ــ٣٧ طبعة القاهرة) ويؤيد ما ذهبنا اليه ابن الاثير فيقول (الزندى : .. هذه النسبة الى كتاب وضعه ماني المجوسي سماه الزند والنسبة اليه زندي واليه ينسب الزنديق) (اللباب في تهذيب الانساب ج١ ص ٥١١) ويذكر النويرى علاقة ماني بالزندقة فيقول ان ماني (زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت) (نهاية الارب في فنون الادب ج١٥ ص ١٦٨ــ١٦٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م . الا ان النويرى لم يشر الى الاراء والمعتقدات التي زادها ماني على الزرادشتية ويؤكد النويرى ان زندين اطلقت على ماني وسموا اصحابه الزنادقة (المصدر السابق ج١٥ ص ١٦٨ــ١٦٩) .

(١٦٩) انظر Browne, Vol. I, p. 159

والدوري : العصر العباسي الاول ص ١١٠ .

(١٧٠) الاخبار الطوال ص ٦٥ .

(١٧١) البيروني : الاثار الباقية ص ٢٠٩ .

(١٧٢) الاخبار الطوال ص ٦٥ .

(١٧٣) المصدر السابق ص ٦٥ .

وعلى الرغم من دعوة مزدك الاباحية وموقف انو شروان الصارم منه فأن الدينوري لم يطلق عليه صفة الزنديق كما اطلقها على ماني ، والمسعودي أول من أطلق على مزدك صفة الزنديق حيث قال (ثم ملك قباذ بن فيروز وفي أيامه ظهر مزدق الزنديق)[١٧٤] دون ان يذكر المسعودي أسباب الحكم بالزندقة على مزدك ، والخوارزمي أول المؤرخين الذين اوضحوا أسباب تسمية مزدك زنديقا فقال (واظهر كتابا سماه زند وزعم ان فيه تأويل الابستا وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت .. فنسب أصحاب مزدك الى زند فقيل زندى)[١٧٥] ويذهب التفتازاني[١٧٦] وابن كمال باشا[١٧٧] الى ما ذهب اليه الخوارزمي في سبب تسمية مزدك زنديقا .

ونظرا لتزيين مزدك ركوب المحارم ودعوته الى اشاعة المرأة فان العباسي يعتبر الزنديق (معرب زن دين اي دين المرأة)[١٧٨] .

من هذا يتبين لنا ان الملوك الساسانين قد اضطهدوا المانوية والمزدكية ، وان المؤرخين القدامى والمحدثين اطلقوا على ماني ومزدك لفظ الزنديق في معرض الذم لان كلا منهما وضع تفسيرا لكتاب زرادشت « الافستا » ومن هنا أصبح من اليسير علينا ان نوضح سبب اختلاف المؤرخين في نسبة الزندقة الى ماني تارة والى مزدك تارة أخرى فالواقع ان كلا منهما استحق الحكم بالزندقة وعليه أصبحت لفظة زنديق تطلق على من وضع تفسيرا للافستا ، وعلى من أخذ بتفسير ماني ومزدك او بتفسيرهما وفي ذلك يقول بروكلمان (ان هذه الكلمة ـ زنديق ـ كانت على عهد

---

(١٧٤) مروج الذهب ج١ ص ١٦٤ .

(١٧٥) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٢٥ مطبعة الشرق القاهرة .

(١٧٦) انظر شرح مقاصد الطالبين في حكم اصول الدين ج٢ ص ٢٦٩ ، طبعة استانبول سنة ١٣٠٥هـ .

(١٧٧) انظر رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص ١ .

(١٧٨) العباسي : معاهد التنصيص ج١ ص ٧١ دار الطباعة المصرية ، القاهرة سنة ١٢٧٤هـ .

الساسانيين صفة ينبز بها كل من يجرأ على تفسير الابستا تفسيرا غير رشيد)[١٧٩] .

ولم تذكر المصادر شيئا عن علاقة الزندقة بنبي آخر غير ماني ومزدك على الرغم من ان (كلا من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان له انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل)[١٨٠] ويتناقض مع الافستا .

ويشير المسعودي في حديثه عن ابن المقفع وانتشار الزندقة فيقول (.. مما نقله عبدالله بن المقفع وغيره من الفارسية والفهلوية الى العربية تأييدا لمذاهب المانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة)[١٨١] ، ولم أقف على مؤرخ اطلق على المرقونية أو الديصانية الحكم بالزندقة على الرغم من قول ابن ديصان ومرقيون بآراء تتناقض والزرادشتية وهناك عبارة واحدة لابن حجر العسقلاني يعتبر فيها (ان أصل الزنادقة اتباع ديصان وماني ومزدك)[١٨٢] دون ان يوضح ابن حجر العلاقة بين ديصان والزندقة والدور الذي قام به فاستحق اتباعه ان يكونوا من الزنادقة كما هم اتباع ماني ومزدك .

الدهرية والزندقة :

والدهرية تنكر الخالق وتعتقد بالقدم وعدم حدوث العالم ، ولم تشر المصادر الى وجود هذه العقيدة في الحضارة الايرانية لان العقيدة الثنوية هي الصفة المشتركة للديانات الايرانية كافة والثنوية تؤمن بوجود الهين اما الدهرية فانها تنكر الالوهية أساسا ، وعلى الرغم من ذلك نجد معظم قواميس اللغة العربية تفسر لفظ زنديق على انه (فارسي معرب كان أصله ... زنده كرد ، زنده الحياة ، وكرد العمل أي يقول بدوام الدهر)[١٨٣] وذهب

---

(١٧٩) تاريخ الشعوب الاسلامية الترجمة العربية ج٢ ص ١٦ .
(١٨٠) البيروني : الاثار الباقية ص ٢٣ .
(١٨١) مروج الذهب ج٨ ٢٩٢-٢٩٣ طبعة باريس سنة ١٨٧٤م .
(١٨٢) العسقلاني : فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى ج١٢ ص ١١٩-٢٢٠ .
(١٨٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ج٢ ص ٥٠٤ ط١ حيدر آباد ١٣٤٥هـ .

ابن سيده الى هذا التفسير فقال (الزنديق فارسي معرب كان اصله عندهم زندكر أي يقولون ببقاء الدهر)[١٨٤] ويردد ذات العبارة ابن منظور في لسان العرب[١٨٥] . ويبدو ان تغييرات جرت على زنده كرد عند تعريبها فاصبحت زنديقا والذي يظهر ان اللغويين حينما ادركوا ان لفظ زنديق فارسي بحثوا عن اصله في اللغة الفارسية فقالوا ان أصله (زنده كرد) ولما كانت زنده كرد تعني بقاء الدهر حكموا على ان الدهرية هي الزندقة على الرغم من عدم وجود معتقدات دهرية في المنطقة الايرانية وليس ثمة علاقة بين الديانات الايرانية الثنوية والدهرية الملحدة .

٢ ـ الزندقة في الحضارة الاسلامية :

الزندقة في ايام الرسول والخلفاء الراشدين :

الزندقة مظهر من مظاهر الشعوبية الدينية اطلق على معان عدة مختلفة تدخل معظمها في اطار الحركة الشعوبية[١٨٦] ، وعليه من الضروري الوقوف على الحالات التي اطلق عليها هذا الحكم في الفترة موضوع بحثنا .

لم ترد كلمة زنديق في القرآن الكريم[١٨٧] ، كما لم ترد في أحاديث الرسول (ص) الا مرات قليلة فقد اوردها ابن حنبل في مسنده مرتين بمعنى واحد (.. قال سمعت رسول الله (ص) يقول سيكون في هذه الامة مسخ الا وذلك من المكذبين بالقدر والزنديقية)[١٨٨] وقال (ص) (.. انه سيكون

---

(١٨٤) ابن سيده : كتاب المخصص ج ١٤ ص ٤٢ ط١ المطبعة الكبرى بولاق سنة ١٣١٩هـ .

(١٨٥) ابن منظور : لسان العرب ج ١٢ ص ١٢ الطبعة الاولى بولاق ١٣٠٢هـ .

(١٨٦) عبدالرحمن بدوى : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٢٢ـ٢٤ ، القاهرة ١٩٤٥م .

(١٨٧) ابن تيمية : بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦٢ـ٦٣ ، القاهرة ١٣٢٩هـ ١٨٩١م .

(١٨٨) ابن حنبل : المسند ج٢ ص ١٠٨ القاهرة ١٣١٣هـ .

في أمتي مسخ وقذف وهو من الزنديقية والقدرية)[189] ، ولم يوضح ابن حنبل ما قصده الرسول من امر هؤلاء الزنديقية ، كما لم يحدثنا عن آرائهم ومعتقداتهم ، ويبدو ان هؤلاء الزنادقة كانوا يمثلون معتقدات قائمة بنفسها حيث ورد اسمهم باعتبارهم ديانة لها مقوماتها الخاصة بها .

ويروى الامام الغزالي حديثا آخر للرسول (ص) ترد فيه كلمة الزناقة وهو قوله (ص) (ستفترق امتي بضعا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة)[190] ولم يوضح الغزالي المقصود بهؤلاء الزنادقة كما لم يذكر آراءهم التي حرمت عليهم الدخول في الجنة ، وقد فسر الغزالي معنى الزندقة فقال الزندقة (ان تنكر اصل المعاد عقليا وحسيا وتنكر الصانع للعالم أصلا ورأسا)[191] الا ان الغزالي لم يشر الى العلاقة بين الزنادقة التي وردت في حديث الرسول وهذا المعنى للزندقة الذي ذهب اليه ، ومن المحتمل ان هذا المعنى يمثل مفهوم الزندقة المتعارف عليه في أيام الغزالي دون ان تكون له علاقة في معنى الزنادقة التي جاءت في حديث الرسول .

ولم ترد كلمة زنديق في كتب الحديث الاخرى ، كما لم أقف على استعمال لهذه الكلمة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضوان الله تعالى عليهم) وهذا مما يشكك في صحة الاحاديث التي اوردها ابن حنبل والغزالي ويؤكد استنتاج ابن تيمية حين قال (فلفظ زنديق لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم)[192] .

ويذكر ابن حنبل لفظ الزنادقة في حديثه عن الامام علي (رض) فيقول (ان عليا ـ رضي الله عنه ـ أتي بقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب فأمر بنار فاججت ثم احرقهم وكتبهم)[193] ولم يشر ابن حنبل الى ما في كتب هؤلاء الزنادقة من آراء ، كما لم يوضح المقصود بزندقتهم ، الا ان ابن

---

(١٨٩) المصدر السابق ج٢ ص ١٣٦ .
(١٩٠) الغزالي : فيصل التفرقة ص ١٩٢ .
(١٩١) المصدر السابق ص ١٩٣ .
(١٩٢) بغية المرتاد ص ٦١-٦٢ .
(١٩٣) ابن حنبل : المسند ج١ ص ٢٨٢ .

حنبل يذكر تعقيب ابن عباس على اجراء الامام علي حيث قال (لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه)(١٩٤) ومن هذا يتبين لنا ان هؤلاء الزنادقة قد استحقوا هذا الحكم لانهم بدلوا دينهم الاسلامي بدين آخر ، ومن الجدير ذكره ان اجراء الامام علي هذا كان في شأن السبئية حين غلت في صفات الامام علي وغيره من الائمة وقالت في علي انت الاله وادعت بتناسخ الجزء الالهي في الائمة(١٩٥) ، وعلى هذا فان اراء السبئية الغالية تعتبر تبديلا في الدين وان هذا التبديل يعتبر زندقة .

ويورد الطبرسي (١٩٦) لفظ الزنادقة في معرض حديثه عن الامام علي (ع) فيقول (جاء بعض الزنادقة الى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له ـ لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم)(١٩٧) ولا نستطيع الجزم من نص الطبرسي ان هذه التسمية اطلقت أيام الامام علي أو ان الطبرسي اطلقها بناء على اجتهاده هو وأراد بها مفهوما يتناسب والمرحلة التي كان يعيش فيها ، واذا فرضنا انها اطلقت في أيام الامام علي فيكون اطلاق الزندقة على من طعن في القرآن وادعى ان فيه تناقضا واختلافا .

ومن هذا يمكن القول ان الزندقة اطلقت أيام الرسول والخلفاء الراشدين على الذين بدلوا دينهم الاسلامي بدين آخر وعلى الذين طعنوا في القرآن الكريم .

ـ الزندقة في ايام الامويين :

يعتبر الامام جعفر الصادق (ع) (٨٠ ـ ١٤٨هـ) من اشهر المفكرين العرب الذين دافعوا عن الاسلام وردوا على خصومه ، الا انه لم يستعمل

---

(١٩٤) المصدر السابق ج١ ص ٢٨٢ .

(١٩٥) انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٣ والملل والنحل ج٢ ص ١١ .

(١٩٦) هو ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي المتوفى في اواخر القرن الخامس الهجري .

(١٩٧) الطبرسي : الاحتجاج على اهل اللجاج ص ١١٩ طهران ١٣٠٢هـ .

لفظة الزندقة في كتابه (توحيد المفضل) الذي رد فيه على المانوية واكتفى بالقول فيها (كالذي اقدمت عليه المانية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة)[198] وقال في ماني (•• بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الاسرار وعمى عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه الى الخطأ)[199] فانه على الرغم من شهرة ماني بالزندقة وادعائه علم الاسرار وطعنه في ذات الله فان الامام الصادق اكتفى بوصفه بالمخذول •

ويذكر الكليني ان الصادق استعمل لفظ زنديق بصدد أبي شاكر الديصاني الذي ادعى (ان في القرآن آية هي قولنا ـ هو الذي في السماء اله وفي الارض اله ـ فقال الصادق هذا كلام زنديق خبيث)[200] فاذا صح هذا القول عن الامام الصادق فتكون الزندقة قد اطلقت في مرحلة من مراحل حياته على من انكر التوحيد وقال بوجود الهين كما نرى ذلك واضحا في قول الديصاني •

وألف القاسم بن ابراهيم المتوفى ٢٤٦هـ[201] وهو من الزيدية (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) تناول فيه آراء ابن المقفع وناقشها ورد عليها فقال في ابن المقفع (ثم خلف من بعد ماني خلف سوء ابن المقفع فورث عن ماني في كفره ميراثه وحاز عن أبيه ماني فيه تراثه)[202] ، وفند القاسم معتقدات ابن المقفع المانوية فقال (وزعم ابن المقفع انه لا يرى في الاشياء كلها الا مزاجا مختلطا كذلك زعم ان النور والظلمة اللذين هما عنده الجهل والحكمة)[203] ومن هذه الاقوال التي رد بها القاسم نستطيع ان

---

(١٩٨) الصادق : توحيد المفضل ص ٥ـ٦ . النجف ١٢٦٩هـ •
(١٩٩) المصدر السابق ص ٥ـ٦ •
(٢٠٠) الكليني : اصول الكافي ج٣ ق٢ ص ١٧٣ـ١٩٤٧ •
(٢٠١) انظر : ماني ودين او ص ٧٧ •
(٢٠٢) القاسم : كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع ص ٤ ، طبعة روما ١٩٢٧م •
(٢٠٣) المصدر السابق ص ٥١ •

نستنتج ان الزندقة التي أشار فيها الى ابن المقفع كانت تعني المانوية وان ابن المقفع استحق الحكم بالزنديق لايمانه بها .

وفي حديث أبي الفرج الاصفهاني عن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك قال (كان فاسقا خليعا متهما في دينه مرميا بالزندقة)[٢٠٤] ووضح الاصفهاني سبب الحكم على الوليد بالزندقة فقال (كان الوليد زنديقا وكان رجل من كلب يقول بمقالته مقالة الثنوية .. فدخلت على الوليد يوما وذلك الكلبي عنده واذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه فاذا ما يبدو لي منه حرير أخضر .. فقال يا علاء هذا ماني لم يبعث الله نبيا قبله ولم يبعث نبيا بعده)[٢٠٥] وسواء أكانت هذه التهمة بحق الوليد صحيحة أم غير صحيحة أو انها متأخرة فان اتهام الوليد بالزندقة كان بسبب ايمانه بالمانوية والقول بنبوة ماني ونكرانه الانبياء من قبل ماني ومن بعده .

وذكر الاصفهاني (كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون ، حماد عجرد وحماد الزبرقان وحماد الراوية يتنادمون على الشراب ويتناشدون الاشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكانهم نفس واحدة وكانوا يرمون بالزندقة)[٢٠٦] ، الا ان الاصفهاني لم يوضح المراد بالزندقة التي كان الحمادون يرمون بها .

وقد اعتبر ابن النديم المانوية هم الزنادقة وقد اطلق على عدد من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية حكم الزندقة فقال تحت عنوان ـ اسماء ذكر رؤساء المنانية ـ[٢٠٧] (ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة ابن طالوت وأبو شاكر ابن اخي شاكر بن الاعدى الحريزي

---

(٢٠٤) الاصفهاني : الاغاني ج٦ ص ٩٩ ، طبعة ساسي وساعتمد هذه الطبعة .
(٢٠٥) المصدر السابق ج٦ ص ١٣١-١٣٢ .
(٢٠٦) الاغاني ج١٥ ص ١٥٧ .
(٢٠٧) ابن النديم : الفهرست ص ٨٦) .

وابن أبي العوجا وصالح بن عبدالقدوس ولهؤلاء كتب مصنفة في نصرة الاثنين ومذاهب اهلها)[٢٠٨] .

ويؤكد البيروني عند حديثه على بعض من عرف بالزندقة ان المانوية هي الزندقة فيقول (ثم جاءت طامة أخرى من جهة الزندقة أصحاب ماني كابن المقفع وكعبدالكريم بن ابي العوجاء فشككوا ضعاف الغرائز في الواحد الاول من جهة التعديل واما لوهم الى التثنية وزينوا عندهم سيرة ماني)[٢٠٩] .

وقد اعتبر ابن نباته المصري غيلان الدمشقي زنديقا فقال فيه (غيلان اول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الاسلام)[٢١٠] ثم قال مخاطبا اياه (... ثم تحولت بعد ذلك قدريا زنديقا)[٢١١] وقد ذكر الذهبي ان أبا الحسن المدائني قد حكم على الجعد بن درهم بالزندقة ويوضح الذهبي أسباب الحكم على الجعد بالزندقة فيقول انه كان يقول (ان الله لا يتكلم .. وزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما)[٢١٢] ويضيف السيد المرتضى ان الجعد (جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام فقال لاصحابه انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه)[٢١٣] .

ومن هذا يتضح ان الزندقة اطلقت في الفترة الاموية على المانوية ، وعلى القائلين بخلق القرآن ونكران بعض آياته وعلى المدعين الربوبية ، وكل هذه الآراء والمعتقدات مناهضة للاسلام وعملت على محاربته .

---

(٢٠٨) المصدر السابق ص ٤٨٧ .
(٢٠٩) البيروني : تحقيق ما للهند ص ١٣٢ .
(٢١٠) ابن نباته : سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ص ٢٨٩ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة المدني القاهرة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .
(٢١١) المصدر السابق ص ٢٩٠ .
(٢١٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ج٤ ص ٢٣٩ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٦٩هـ .
(٢١٣) المرتضى : امالي المرتضى ج ١ ص ٢٨٤ .

٢ - الزندقة في العصر العباسي الاول :

لقد قويت حركة الزندقة في هذا العصر واستفحل خطرها مما حمل المسؤولين على مقاومتها بشدة فاضطر الزنادقة ان يتظاهروا بمظاهر متعددة ويسلكوا أساليب مختلفة من أجل التستر على حركتهم فاتسع اطلاق لفظ الزندقة في هذه الفترة اتساعا كبيرا[٢١٤] .

لقد اطلقت الزندقة على المانوية في نطاق واسع فالجاحظ في حديثه عن التشابه بين معتقدات المسيحية والزندقة (وانت اذا سمعت كلامهم في العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزرايتهم على كل من أكل اللحمان ورغبتهم في أكل الحبوب وترك الحيوان وتزهيدهم في النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم للجاثليق والمطران والاسقف والرهبان وتعظيمهم الرؤساء علمت ان بين دينهم وبين الزندقة نسبا)[٢١٥] ان هذه الآراء والمعتقدات التي اعتبر الجاحظ ان بينها وبين المسيحية نسبا هي آراء ومعتقدات المانوية .

وقد اطلق الجاحظ الحكم بالزندقة على عدد من الاشخاص فقال (وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد الزبرقان ويونس بن فروة وعلي بن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم بن زنقطة ومطيع ووالبة ابن الحباب وابان بن عبدالحميد وعمارة بن حربية يتواصلون وكانهم نفس واحدة)[٢١٦] ويبدو ان سبب الحكم على هؤلاء بالزندقة كان لايمانهم بالمانوية ومما يؤكد ذلك ما قاله ابو نواس في واحد منهم وهو ابان بن عبدالحميد حيث قال فيه :

جالست يوما ابانا لا در در ابان

---

(٢١٤) انظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج٢ ص ١١٥ ط٧ ومقالة الاستاذ فيدا : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٢١-٢٢ .

(٢١٥) الجاحظ : المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٦ ، القاهرة ١٩٢٦م .

(٢١٦) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٤٧-٤٤٨ تحقيق عبدالسلام هارون القاهرة ١٩٤٠م .

فقلت سبحان ربي فقال سبحان ماني[217]

وعلى اثر وقوف الخليفة المهدي على مقالة أحد الزنادقة توجه الى ابنه الهادي يوصيه بضرورة محاربة الزنادقة فقال (يا بني ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة ـ يعني أصحاب ماني ـ فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ثم تخرجها الى عبادة اثنين احدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد ذلك نكاح الاخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الاطفال)[218] فهذه الوصية توضح ان الزندقة في مفهوم المهدي كانت المانوية وفي ذلك يقول الاستاذ فيدا (ان الزندقة التي حاربها المهدي والهادي في شخص هؤلاء الزنادقة هي المانوية أولا وبالذات)[219] . ويفسر الاستاذ ييفن معنى كلمة زندقة فيقول (ان الزندقة مأخوذة من كلمة صديق حيث كان يطلق على زهاد المانوية « الصديقون » لان هؤلاء كانوا يفرضون على انفسهم ايثار المسكنة وقمع الحرص والشهوة ورفض الدنيا والزهد فيها ومواصلة الصوم والتصدق بما امكن وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم ولباس سنة وقد تحولت كلمة صديق الارامية الى « زنديك » في اللغة الفارسية ثم عربت هذه الى زنديق وعلى هذا فان أصل الكلمة اطلق على زهاد المانوية)[220] وسواء أكانت الزندقة قد اطلقت على المانوية ام على زهادها فان الزندقة في رأي ييفن لا زالت مرتبطة بالمانوية .

---

(٢١٧) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٤٧ـ٤٤٨ تحقيق عبدالسلام هارون .
(٢١٨) الطبري : ج١٠ ص ٤٢ الطبعة الحسينية .
(٢١٩) عبدالرحمن بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٣١ـ٣٢ .
(٢٢٠) انظر من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٣١ و
Browne, Vol. I. p. 100

وقد تحدث ابن النديم عن عدد من الزنادقة بسبب ايمانهم بالمانوية وهم (ابن ابي العوجاء وصالح بن عبدالقدوس .. وبشار بن برد واسحاق بن برد واسحاق بن خلف بن سابه وسلم الخاسر وعلي بن الخليل وعلي بن ثابت .. وابو عيسى الوراق وابو العباس الناشيء والجيهاني محمد ابن احمد .. وان البرامكة باسرها الا محمد بن خالد البرمكي كانت زنادقة وقيل في الفضل واخيه الحسن مثل ذلك وكان محمد بن عبيدالله كاتب المهدي زنديقا)[٢٢١] .

وقد أصبحت للمانوية كتب خاصة بها يدل اقتناؤها والايمان بها على زندقة الشخص فقد احضر الرشيد بنت مطيع بن اياس ـ الذي اتهم بالزندقة لمانويته فقالت (فقرأت كتابهم واعترفت به وقالت هذا دين علمنيه أبي)[٢٢٢].

وقد استمر الحكم بالزندقة يطلق على المانوية طوال العصر العباسي الاول حتى أصبح الحكم على الشخص بالزندقة أو عدمها التبرؤ من ماني وشتمه ، فانه لما اتهم ابو نواس بالزندقة جيء به الى صاحب الزنادقة فخط له صورة ماني وقال ابصق عليه فاهوى ابو نواس بيده الى فيه وقاء عليها فخلى سبيله[٢٢٣] ، وحاكم المأمون عشرة من الزنادقة (بضروب المحن منها اظهار صورة ماني والامر بالتفل عليها والتبرؤ منها)[٢٢٤] .

وعلى الرغم من ان الديانة الزرادشتية كانت الديانة الرسمية في الدولة الايرانية طوال العصر الساساني وعلى الرغم من انها ديانة ثنوية اصطدمت بالاسلام الموحد فانه لم ترد اشارة أو حكم على شخص اتهم بالزندقة بسبب ايمانه بالزرادشتية ، كما لم أقف على زنديق اطلقت عليه الزندقة بسبب ايمانه

---

(٢٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٦-٤٨٧ .

(٢٢٢) انظر الاغاني ج١٢ ص ٨٥ و :
Bukhsh, Islamic Civilization (Calcutta) 1929, Vol. I. p. 100

(٢٢٣) ابو عبدالله الاصفهاني : شرح ديوان ابي نواس ج ٢ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ طبعة باريس ١٩٢٥ .

(٢٢٤) المسعودي : مروج الذهب ج٧ ص ١٥ طبعة باريس ١٨٧٤م .

بالمزدكية على الرغم من ان الخوارزمي ومن جاء بعده كالتفتازاني وابن كمال باشا قرروا (ان المزدكية من الفرق الثنوية .. وهم الزنادقة)[٢٢٥] .

ويبدو ان المانوية استطاعت ان تضم الى صفوفها معظم أصحاب الديانات الثنوية الاخرى وان تستوعب نشاطهم وتوجهه وفقا لخططها ، ويظهر ان اتباع هذه الديانات وجدوا في المانوية مجالا للتستر لان اراءها (تجمع آراء مسيحية وزرادشتية)[٢٢٦] ولم تكن المسيحية مضطهدة آنذاك كما ان في طقوس المانوية تشابها مع الطقوس الاسلامية لا سيما بخصوص الصلاة والصوم والوضوء بحيث يمكن التظاهر بهذه الشعائر للتستر على الزندقة[٢٢٧] كما وجدوا في المانوية تراثا قوميا يجب الحرص عليه ارضاء للنعرة القومية واشباعا للنزعة الشعوبية[٢٢٨] .

وقد اطلق المؤرخون الزندقة على الدهرية ومن الذين اتهموا بالزندقة لقولهم بالدهر ابو نواس الشاعر فقد ذكر انه وجد هذان البيتان في بيته بعد موته :

باح لساني بمضمر السر   وذاك اني أقول بالدهر

وليس بعد الممات حادثة   وانما الموت بيضة العقر[٢٢٩]

وبهذين البيتين حكم أبو سعيد نشوان على ابي نواس بالزندقة ولم أقف على مصدر آخر يؤيد ما ذهب اليه أبو سعيد نشوان ، فهناك من يقول بزندقة ابي نواس ولكن ليس لايمانه بالدهرية .

وقد انتشر اطلاق الزندقة على الدهرية حتى أصبح لا يختلف عن اطلاقه على الثنوية فالمسعودي يرى (الثنوية هم الزنادقة والحق بهؤلاء سائر من اعتقد

(٢٢٥) ابن كمال باشا : رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص ١ .
(٢٢٦) الدوري : العصر العباسي الاول ص ١١١ .
(٢٢٧) الدوري : الجذور التاريخية الشعوبية ص ٧٢–٧٤ .
(٢٢٨) عبدالرحمن بدوى : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٣٤ .
(٢٢٩) ابو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٩٢–١٩٣ القاهرة ١٣٦٧هـ .

القدم وابى حدوث العالم)[٢٣٠] ولا ريب ان الاعتقاد بالقدم وانكار حدوث العالم هو قول الدهرية . ويذهب أبو العلاء المعري الى أبعد مما ذهب اليه المسعودي فيقول (الزنادقة هم الذين يسمون الدهرية لا يقولون بنبوة ولا كتاب)[٢٣١] وابن قيم الجوزية يذهب الى ما ذهب اليه المعري فيقول (زنادقة العالم الذين لا يؤمنون بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر)[٢٣٢] ، وابن تيمية يجعل الزندقة وقفا على الدهرية فيقول (واما الزندقة المطلقة فهو ان ينكر اصل المعاد عقليا وحسيا وينكر الصانع للعالم)[٢٣٣] ، ومما يؤكد انتشار اطلاق الزندقة على الدهرية ان معظم معاجم اللغة العربية فسرت لفظ الزنديق على معنى الدهرية ، فابن دريد يقول (زنديق فارسي معرب كأن اصله زنده كرد ، زنده الحياة وكرد العمل أي يقول بدوام الدهر)[٢٣٤] ويذهب ابن سيده في المخصص[٢٣٥] وابن منظور في لسان العرب[٢٣٦] الى ما ذهب اليه ابن دريد .

وعلى الرغم من انتشار اطلاق الزندقة على الدهرية لم تعين المصادر الفترة التي اطلقت فيها الزندقة عليهم كما لم تذكر أسماء الذين حكم عليهم بالزندقة لايمانهم بالدهرية ، كما لم تشر الى نشاطهم ولا الى مواقف السلطة والشعب منهم على الرغم من هذا الاتساع في اطلاق الزندقة على الدهرية لم أقف على أسمائهم أو أسماء قادتهم ولا على كتبهم وطبيعة عملهم ولم أستطع ان أجد لهذه الظاهرة تفسيرا .

وقد اطلق الحكم بالزندقة على المجون والمجان ففي مناقشة المهدي مع

---

(٢٣٠) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ١٦٧–١٦٨ ، طبعة باريس .

(٢٣١) المعري : رسالة الغفران ص ٢٦١–٢٦٢ ، القاهرة ١٩٥٠م .

(٢٣٢) ابن قيم الجوزية : اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ج٢ ص ٢٤٦ القاهرة ١٢٥٧–١٢٥٨هـ .

(٢٣٣) ابن تيمية : كتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦١–٦٢ .

(٢٣٤) ابن دريد : جمهرة اللغة ج٢ ص ٥٠٤–٥٠٥ .

(٢٣٥) انظر المخصص ج١٤ ص ٤٢ ، الطبعة الاولى بولاق ١٣٢٠هـ .

(٢٣٦) انظر لسان العرب ج١٢ ص ١٢ ، الطبعة الاولى بولاق ١٣٠٢هـ .

شريك بن عبدالله القاضي قال المهدي لشريك (يا زنديق لاقتلنك فضحك شريك فقال يا أمير المؤمنين ان للزنادقة علامات يعرفون بها شربهم القهوات واتخاذهم القينات)[٢٣٧] ففي جواب شريك دليل على ان هناك علامات للزندقة ومن تدقيق النظر فيما ذكره شريك نجد ان شرب القهوات[٢٣٨] واتخاذ القينات من علامات الزندقة . ويؤيد صحة ما ذهبنا اليه من ان الزندقة كانت تطلق بسبب المجون ما قاله ابو نواس في حماد عجرد (كنت اتوهم ان حماد عجرد انما يرمي بالزندقة لمجونه في شعره حتى حبست في حبس الزنادقة فاذا حماد عجرد امام من ائمتهم واذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرأون به في صلاتهم)[٢٣٩] . ويؤيد الاستاذ جب من ان الزندقة اطلقت على المجون فيقول (وتجلت الزندقة بصورة اوضح في الاستهتار والاستخفاف بجميع المذاهب الخلقية التي تنضوي تحت اسم المجون)[٢٤٠] .

وقد اطلقت الزندقة على الظرف والظرفاء ومن الذين اطلقت عليهم الزندقة بسبب ذلك محمد بن زياد الحاركي فقد كان يظهر الزندقة تظارفا فقال فيه ابن مناذر :

يا ابن زياد يا ابا جعفر	اظهرت دينا غير ما تخفي
مزندق الظاهر باللفظ في	باطن اسلام فتى عف
لست بزنديق ولكنما	اردت ان توسم بالظرف[٢٤١]

وكان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة وكان من أظرف الناس وانظفهم فكان

---

(٢٣٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ ص ١٥٢ ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥٨هـ .

(٢٣٨) المقصود بالقهوات ليست القهوة المعروفة بل كناية عن شراب مسكر وقد وردت قهوة بهذا المعنى في شعر الوليد بن يزيد :

ما لعيش الا سماع محسنة   وقهوة تترك الفتى ثملا

انظر رسالة الغفران ص ٣٧٨ .

(٢٣٩) الاصفهاني : الاغاني ج١٣ ص ٧١ .

(٢٤٠) جب : دراسات في حضارة الاسلام الترجمة ص ٩١ .

(٢٤١) الاغاني ج١٧ ص ١٥ .

يقال اظرف من الزنديق[242] ، والى هـذا المعنى قال ابو نواس (تيه مغن وظرف زنديق)[243] .

من هذا العرض يتبين لنا ان الزندقة اطلقت على أشخاص وآراء ومواقف استهدفت محاربة الاسلام ، فقد اطلقت على من بدل دينـه الاسلامي بدين آخر وعلى من طعن في القرآن وانكر بعض آياته وعلى من قال بالقدر وادعى الربوبية كما اطلقت على من انكـر التوحيد وقال بوجود الهين واطلقت على المانوية والدهرية وعلى المجون والظرف ، وعلى هذا فالزندقة مظهر اساسي من مظاهر الشعوبية وهي أعلى مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للاسلام[244] التي استهدفت هـدم الاسلام من الداخل لان الشعوبية قـد أدركت العلاقة العضوية بين العروبة والاسلام وادركت ان هدم الاسلام هو السـبيل لتحقيق أهدافهم الاخرى[245] لان ضـياع ملكهم كان على يد العرب ولم يكن يتأتى للعرب ذلك لولا دينهم الجديد وهو الاسلام فكرهوا العرب وكرهوا الاسلام[246] .

ثانيا ـ الشعوبية العنصرية

١ ـ الاشخاص والمواقف التي اطلق عليها الحكم بالشعوبية ..

لم ترد كلمـة الشعوبية في القـرآن الكريم ، كمـا لم ترد في حـديث الرسول (ص) وقد وردت كلمة شعوب في الآية الكريمة « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عنـد الله اتقاكم »[247] ولم تفـسر كلمة شعوب بمعنى الشعوبية أو بانها تعني شعبا

(٢٤٢) المصدر السـابق ج١٧ ص ١٥ .
(٢٤٣) المرتضى : امالي المرتضى ج١ ص ١٤٣ ، الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٤م .
(٢٤٤) جب : دراسـات في حضارة الاسلام الترجمة ص ٩٢ .
(٢٤٥) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٤٧ .
(٢٤٦) احمد امين : ضحى الاسـلام ج١ ص ١٦٥ ، الطبعة الخامسـة . وسأعتمد هذه الطبعة .
(٢٤٧) سورة الحجرات ٤٩ آية ١٣ .

معينـا في أيام الرسول أو في أيام الراشدين أو الامويين ، وذلك لان لفظ الشعوبية (لم يستعمل الا في العصر العباسي الاول واقدم ما وصل الينا من الكتب التي استعملت لفظ الشعوبية كتاب البيان والتبيين للجاحظ)[248] وفي العصر العباسي استغلت الشعوبية هـذه الآية وكلمة شعوب منها وفي ذلك يقول الكردي : « الشعوبية لتعلقهم بقوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[249] وادعت الشعوبية ان لفظ الشعوبية مشتق من الشعوب مفرد شعب وهـو اوسع من القبيلة واعتبرت القبائل للعرب والشعوب للعجم[250] .

وعلى الرغم من قيام مؤامرات استهدفت الكيان العربي وظهور عدد من الشعراء والكتاب بنشاط معاد للعرب أيام الراشدين والامويين فان معاصريهم لم يطلقوا عليهم الحكم بالشعوبية ، فقد انشد اسماعيل بن يسار قصيدة في حضرة هشام بن عبدالملك افتخر فيها بقومه الفرس وذم العرب فغضب هشام وقال له (اعلي تفخر واياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك واعلاج قومك)[251] فلم يسم هشام اسماعيل بن يسار شعوبيا كما لم يسمه غيره بذلك مما يدل على ان استعمال لفظ الشعوبية لم يبدأ بعد ، الا ان عدم استعماله في هذه الفترة لا يعني عـدم وجـود مواقف وآراء وأشخاص تدخل في نطـاق الشعوبية .

وفي العصر العباسي استعمل الجاحظ لفظ الشعوبية واطلقها على اراء ومواقف متعددة فقال مرة (ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية)[252] وذلك حينما رفع بعض الشعوبيين شعار المساواة

(٢٤٨) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص ٥٧ـ٥٩ .
(٢٤٩) الكردري : حاشية على كتاب مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة لابي المؤيد الامام الموفق ابن احمد ج١ ص ٦٤ـ٦٥ الطبعة الاولى القاهرة ١٣٢١هـ .
(٢٥٠) انظر : رسائل البلغاء كتا بالعرب ص ٢٤٤ـ٢٤٦ وابن منظور : لسان العرب ج١ ص ٤٨٢ والالوسي بلوغ الارب ج١ ص ١٦١ـ١٦٢ .
(٢٥١) الاصفهاني : الاغاني ج٤ ص ١٢٤ .
(٢٥٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ٤ـ٥ تحقيق السندوبي ، المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٣٢م .

بين العرب وغيرهم ، وقد اطلق الجاحظ هذا الحكم على مواقف معادية للرسول والصحابة فقال (والشعوبية .. المبغضون لآل النبي وأصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالاسلام)[٢٥٣] وكذلك استعمل هذا اللفظ باعتبار الشعوبية حركة معادية للعرب ودينهم فقال (واعلم انك لم تر قوما اشقى من هؤلاء الشعوبية ولا اعدى على دينه ولا اشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة)[٢٥٤] .

وعلى الرغم من اهتمام الجاحظ بالشعوبية وتأليفه عددا من الكتب في الرد عليها ومعاصرته فريقا من مشاهير الشعوبيين فانه لم يطلق على أي منهم لفظ الشعوبية ، فهو في حديثه عن أبي عبيدة معمر بن المثنى مع ما عرف من معاداة للعرب اكتفى بالقول فيه (.. وهذا التأويل اخرجه من أبي عبيدة سوء الرأي في القوم)[٢٥٥] ويبدو ان الجاحظ قد ركز اهتمامه على الشعوبية كحركة معادية للعرب والاسلام ورد عليها دون الاهتمام بأشخاصها .

وقد اطلق ابو الفرج الاصفهاني الحكم بالشعوبية على الشاعر اسماعيل ابن يسار مولى تيم بن مرة[٢٥٦] فقال فيه (كان شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالاعاجم)[٢٥٧] وأضاف قائلا (كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم)[٢٥٨] ، ومن أشعاره التي أشاد بها بقومه الفرس وذم العرب قوله :

انما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر يا امام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب

---

(٢٥٣) الجاحظ : البخلاء ص ٢٢٨ تحقيق طه الحاجري مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٨م .
(٢٥٤) البيان والتبيين ج٣ ص ٢٢ .
(٢٥٥) المصدر السابق ج١ ص ١٦٤-١٦٥ .
(٢٥٦) العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم - انظر :
(٢٥٧) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤ .
(٢٥٨) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤ .

واسالي ان جهلت عنا وعنكم　　كيف كنا في سالف الاحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسو　　ن سفاها بناتكم في التراب[٢٥٩]

وقد انشد اسماعيل بن يسار في حضرة الخليفة هشام بن عبدالملك مفتخرا بقومه على حساب العرب فقال :

اني وجدك ما عودى بذي خور　　عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
اصلي كريم ومجدي لا يقاس به　　ولي لسان كحد السيف مسموم
احمي به مجد اقوام ذوي حسب　　من كل قرم بتاج الملك معموم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا　　والهرمزان لفخر او لتعظيم
هناك ان تسألي تنبي بان لنا　　جرثومة قهرت عز الجراثيم[٢٦٠]

وقال ياقوت الحموي في أبي عبيدة معمر بن المثنى مولى بني تيم قريش[٢٦١] (كان عالما بالشعر والغريب والنسب •• قيل عنه كان شعوبيا)[٢٦٢] الا ان ياقوت لم يذكر من الذي وصف أبا عبيدة بانه كان شعوبيا كما لم يذكر أسباب الحكم عليه بالشعوبية ، وقال ابن خلكان في أبي عبيدة (وكان يكره العرب والف في مثالبها كتبا)[٢٦٣] الا ان ابن خلكان لم يطلق على أبي عبيدة صفة شعوبي •

ولقد ألف أبو عبيدة في ذم العرب ولم ينج من ذمه حتى النبي فقد (وضع كتابا للمثالب يطعن فيه على بعض أسباب النبي صلى الله عليه وسلم)[٢٦٤] ، ومن كتبه في مثالب العرب وذمهم (كتاب مرج راهط وكتاب المنافرات وكتاب العققة وكتاب ادعياء العرب وكتاب لصوص العرب وكتاب

(٢٥٩) المصدر السابق ج٤ ص ١١٩ •
(٢٦٠) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤ •
(٢٦١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج٧ ص ١٦٤ ، الطبعة الاولى تصحيح د. س. مرجليوث القاهرة ١٩٢٥م •
(٢٦٢) المصدر السابق ج٧ ص ١٦٥ •
(٢٦٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٤ ص ٣٢٣ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الاولى مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٨م •
(٢٦٤) ابن النديم : الفهرست ص ٨٥ •

فضائل الفرس وكتاب النقائض بين جرير والفرزدق)[٢٦٥] ومن أسماء هذه الكتب يتبين لنا ان أبا عبيدة كان معاديا للعرب وانه كان يعمل على الحط منهم ويفخر بالفرس وكان أبو عبيدة يضع الشروح التي تنطوي على ذم العرب ويختلق القصص اختلاقا للطعن فيهم ومن شروحه المقذعة التي وضعها تفسيرا لبعض أبيات كتابه النقائض بين جرير والفرزدق قوله (ورأوا ام درداء السليطية عريانة تعدو فألقى قعنب بن عصمة عصابة كانت فوق بيضته عليها [٢٦٦] ومنها قوله (ان عمرو بن المنذر أخذ امرأة زرارة وهي حبلى فبقر بطنها وانصرف وانه اخذ الحمراء بنت ضمرة النهشلي فقذف بها في النار)[٢٦٧] وقال في تشويه موقف العربي من جاره (ان طوائف من بني تيم اللات بن ثعلبة نزلت في جوار رجلين من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة يقال لهما كدام والمساور فاكل هذان من نزل عليهما منهم وجعلا يتعبثان بنسائهم)[٢٦٨] ويعلق الدكتور محمود غناوي الزهيري على هذه القصص والشروح بقوله (فكيف يتفق وطبيعة الاشياء ان تعرى امرأة من ثيابها في الصحراء دونما سبب وكيف يعقل ان يجاهر عربي بالغدر في جيرانه والعبث بنسائهم •• بل كيف يعقل ان تقتل المرأة السبي وتحرق مع ان طبيعة التقاليد العربية في الحروب لا تجيز ذلك ، فلا شك عندي من ان هذا التصوير يراد به الطعن في العرب وتشويه سمعتهم وتاريخهم •• فأبو عبيدة كان يبغض العرب ويؤلف كتبا في مثالبها)[٢٦٩] ، وفي أبي عبيدة يقول الاستاذ أحمد أمين (وليس للعرب حرمة في نفسه •• بل في نفسه الكراهية لهم فهو يطلق لسانه في هجوهم وذكر مثالبهم ، وأبو عبيدة يمثل فكرة الشعوبية والبحث عن

---

(٢٦٥) المصدر السابق ص ٨٦ .
(٢٦٦) أبو عبيدة : النقائض تحقيق بيفان ص ٥٨٢ طبعة ليدن ١٩٠٨-١٩٠٩م .
(٢٦٧) الزهيري : نقائض جرير والفرزدق ص ١٤٦ الطبعة الاولى بغداد ١٩٥٤م وساعتمد هذه الطبعة .
(٢٦٨) المصدر السابق ص ١٤٦ .
(٢٦٩) الزهيري : نقائض جرير والفرزدق ص ١٤٦-١٤٧ .

معايب العرب والتشهير بهم)[٢٧٠] ويعتبر نيكلسون أبا عبيدة من الذين وقفوا الى جانب الشعوبية[٢٧١] .

ويذهب الاستاذ جب في تبرئة أبي عبيدة من الشعوبية بحجة ما كتبه في الادب واللغة فيقول (فقد كانت خدماته نحو الآداب العربية أكبر من ان تحصى فمنه جاءت تقريبا نصف المعلومات التي نقلها الرواة المتأخرون عن العصر الجاهلي .. وان اعتبار أبي عبيدة بعد كل ما ذكرنا شعوبيا يجب الفرس يكون تناقضا في التعبير)[٢٧٢] الا ان الاستاذ جب يعترف بأن الشعوبية قد استغلت كتابات أبي عبيدة في معركتها مع العروبة فيقول (ونستطيع ان نتصور السرور الذي استلم به أعداء العرب من شعوبية القرن الثالث الهجري ما في كتبه من مواد تخدم وتوضح هجاءهم للعرب)[٢٧٣] وقد استغل تقريب الرشيد والمأمون له واحتضان البرامكة اياه فأخذ يؤلف في ذم العرب (فعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب واظهر مثالبها)[٢٧٦] وألف كتابا آخر في مثالب قريش ومنازعاتها ومثالب تيم بن مرة ومثالب بني أسد ومعظم القبائل العربية ذكرها في معرض الذم[٢٧٧] .

وكان علان شاعرا اشد في هجاء محمد بن يزيد الاموي وافتخر بطاهر ابن الحسين لقتله محمد الامين في قصيدة ننقل منها هذه الابيات :

ايها اللاطي بحضرته ... من قرار الارض مجهول
وأبو العباس غاديه ... لـــزاليه اهاليـــل
تمطر العقيان راحته ... وله بالجود تهطيل

---

(٢٧٠) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص ٧٤-٧٥ .
(٢٧١) Nicholson, R.A. — A Literary History of the Arabs, p. 280.
(٢٧٢) جب : دراسات في حضارة الاسلام الترجمة ص ٨٩-٩٠ .
(٢٧٣) المصدر السابق ص ٩٠ .
(٢٧٤) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٩-١٦٠ .
(٢٧٥) المصدر السابق ص ١٦٠ .
(٢٧٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٦٠ .
(٢٧٧) المصدر السابق ص ١٦٠ .

رستمي من ذرى شرف	زانــه تاج واكليـل
كـــرويات ابوتـــا	غرر زهر مناديل[278]

فلم يقف علان عند هجاء محمد بن يزيد والتفاخر بطاهر بن الحسين بل ذهب الى الافتخار بالفرس وملوكهم وقادتهم .

وفي حديث ابن النديم عن سهل بن هارون قال (سهل بن هارون .. فارسي الاصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل)[279] ولم نقف على كتب سهل ولا على رسائله في البخل التي كتبها متعرضا بصفة الكرم التي يعتز بها العرب ، ويبدو ان هذه الكتب قد فقدت في حومة المعركة بين العروبة والشعوبية ، وقال ابن شاكر الكتبي فيه (سهل بن هارون فارسي الاصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العـرب)[280] وأكد ياقوت الحموي شعوبية سهل فقال (كان أديبـا شاعرا حكيما شعوبيا يتعصب للعجم على العرب شديدا في ذلك)[281] ولم نقف على أشعاره ولعلها هي الاخرى فقدت كما فقدت كتبه .

هذه معظم الاسماء التي اطلق عليها المؤرخون القدامى الحكم بالشعوبية في الفترة موضوعة بحثنا ، وهي قليلة جدا بالقياس الى سعة وقوة الحـركة الشعوبية . ومما يسترعي الانتباه ان هناك عددا من الكتاب والشعراء قد خلفوا في ذم العرب مؤلفات وقصائد الى جانب مدحهم شعوبا أخرى دون ان يطلق عليهم الحكم بالشعوبية ، وهناك مواقف لبعض اشراف الفرس استهدفت القضاء على الكيـان العربي واعـادة الملك الى الفرس ولم يرمهم المؤرخون بالشعوبية . كما ان هناك مواقف للعامة من الموالي الذين اشتركوا في معظم الحركات التي قامت لازالة السلطان العربي دون ان تسمى مشاركتهم هـذه ومواقفهم العدائية مواقف شعوبية ، وعليه فانه من الضروري ان تتبع مواقف

(٢٧٨) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج٥ ص ٦٨ تصحيح مرجليوث .
(٢٧٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٠ .
(٢٨٠) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج١ ص ٣٦٨ ، تحقيق محي‌الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٥١م .
(٢٨١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج٤ ص ٢٥٨ تصحيح مرجليوث .

اولئك الاشراف والعامة لوضعهم في النطاق المناسب لمواقفهم من مفهوم الشعوبية العنصرية .

٢ ـ الاشخاص من الشعراء والكتاب والمواقف التي لها دلائل شعوبية ولم يطلق عليها هذا الحكم :

تواجهنا ونحن نتابع الحركة الشعوبية طائفة من الاشخاص ومجموعة من الآراء والمواقف التي تدل على معاداة العرب والاشادة بغيرهم دون ان يطلق عليهم أو على مواقفهم الحكم بالشعوبية . ومن هؤلاء (الهيثم بن عدي) وهو عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن زيد بن سعيد بن جابر بن عدي ويرجع اصله الى منبج[٢٨٢] ، وقد الف عددا من الكتب في ذم العرب والفخر بالفرس منها (كتاب المثالب ، كتاب تاريخ العجم وبني أمية ، كتاب المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وكتاب بغايا قريش وكتاب أخبار الفرس)[٢٨٣] ونظرة الى اسماء هذه الكتب ترينا انها كانت في ذم العرب وفي التفاخر بالفرس على اننا لم نقف على هذه الكتب ولا يبعد ان تكون قد نفدت . وقد روى المسعودي قصة طويلة نقلها عن الهيثم بن عدي خلاصتها (ان رجلا من تنوخ نزل في بني عامر فخرجت اليه جارية فقالت ممن انت قال من تميم فذكرت أبياتا في ذم تميم ، فقال لها لست من تميم بل من قبيلة عجل ففعلت ذلك وما زال الرجل يذكر القبائل قبيلة قبيلة والجارية تروي الابيات في ذمها حتى استنفد القبائل ولما انتسب الى بني هاشم قالت أتعرف الذي يقول :

بني هاشم عودوا الى نخلاتكم ... فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلتموا رهط النبي محمد ... فان النصارى رهط عيسى بن مريم[٢٨٤]

---

(٢٨٢) المصدر السابق ج٧ ص ٢٦١ تصحيح مرجليوث .
(٢٨٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٥١ـ١٥٢ .
(٢٨٤) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢٢٣ـ٢٢٨ ، المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ .

ويعلق الاستاذ أحمد أمين على هذه القصة بقوله (وهذه الحكاية كلها اما ان تكون من وضع الشعوبية أو من وضع الهيثم بن عدي نفسه يرمي من وضعها الى ذكر مثالب القبائل العربية)[٢٨٥] .

وبشار بن برد العقيلي بالولاء وأصله من طخارستان[٢٨٦] اتهم بالزندقة وقتل بسببها وقد اختلف في معتقده الديني فقيل عنه انه كان (متحيرا مخلطا)[٢٨٧] واذا كانت زندقة بشار موضع نقاش ومجال اختلاف فان اشعاره المعادية للعرب صريحة وكثيرة في ذمهم ومدح الفرس وعلى الرغم من ذلك لم يذكره مؤرخ قديم في قائمة الشعوبيين وقد اكتفى أبو الفرج الاصفهاني في القول فيه (كان بشار كثير التلون في ولائه شديد الشغب والتعصب للعجم)[٢٨٨] ولم يسمه شعوبيا مع العلم انه سمى اسماعيل بن يسار بذلك على الرغم من ان قصائد بشار في ذم العرب اقذع واكثر من قصائد اسماعيل . ومن هذه القصائد المعادية للعرب والتي أشاد بها بالفرس قوله :

هل من رسول مخبر	عني جميع العرب
من كان حيا منهم	ومن ثوى في الترب
بانني ذو حسب	عال على ذي حسب
جدي الذي اسمو به	كسرى وساسان ابي
وقيصر خالي اذا	عددت يوما نسبي
انا ملوك لم نزل	من سالفات الحقب
حتى استلبنا ملكها	بملكنا المستلب

---

(٢٨٥) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص ٧٢-٧٣ .
(٢٨٦) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٢٤٥ تحقيق محيي الدين عبدالحميد وابن النديم الفهرست ص ٤٨٧ والاغاني ج٣ ص ٢٠ .
(٢٨٧) الاصفهاني : الاغاني ج٣ ص ٢٤ .
(٢٨٨) المصدر السابق ج٣ ص ٢٢ .

حتى رددنا الملك في — أهل النبي العربي
من الذي عاد الهدى — والدين لم يستلب[٢٨٩]

وقال بشار مفتخرا بأصله الفارسي ولم ينس ان يشتم العرب :

انا ابن الاكرمين أبا وأما — تنازعني المرازب من طخار
تفاخر يا ابن راعية وراعي — بني الاحرار حسبك من خسار[٢٩٠]

وقال يتبرأ من الولاء للعرب وفي ذمهم :

مولاك اكرم من تميم كلها — اهل الفعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع — سبحان مولاك الاجل الاكبر[٢٩١]

وقال يتوعد أبا جعفر المنصور لقتله أبا مسلم الخراساني ولم يغفل بشار الاشادة بالفرس وذم العرب فقال :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم — ولا سالم عما قليل بسالم
كانك لم تسمع بقتل متوج — عظيم ولم تسمع بفتك الاعاجم
ومروان قد دارت على رأسه الرحى — وكان لما اجرمت نزر الجرائم
فاصبحت تجري سادرا في طريقهم — ولا تتقضي اشباه تلك النقائم[٢٩٢]

وابان بن عبدالحميد (ابن لاحق بن عفر مولى بني الرقاش)[٢٩٣] لم يحكم عليه بالشعوبية على الرغم من مواقفه المعادية للعرب واشادته بالفرس فقد انشد في هجاء العرب :

احاجيكمو ما قوس لحم سهامها
من الريح لم توصل بقد ولا عقب

(٢٨٩) ديوان بشار بن برد : شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ج١ ص ٣٧٧ .
(٢٩٠) المصدر السابق ج٣ ص ٢٢٩ .
(٢٩١) الاصفهاني : الاغاني ج٣ ص ٢٢ .
(٢٩٢) بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٩١ .
(٢٩٣) الاغاني ج٢٠ ص ٧٣ .

فـان فخـرت يومـا تيـم بحـاجب

وبالقوس مضـونا لكسرى لدى العرب[٢٩٤]

وقد اسهم ابان في احياء معالم الحضـارة الايرانية فترجم عدة كتب من الفارسية الى العربية منها (كليلة ودمنـة وجعله شعرا ليـسهل حفظه)[٢٩٥] وترجم (كتاب سيرة اردشير وكتاب انو شروان وكتاب بلوهر وبردانية وكتاب الزهـر وبرداسـف وكتـاب السـندباد وكتـاب مزدك وكتـاب الصـيام والاعتكاف)[٢٩٦] وكان ابان يريد من هذه الترجمة على ما يظهر من أسماء الكتب التي ترجمها ايقاظ الروح القديمة عند الفرس وبعث الثقة والتحدي فيهم وتاكيد الفرضية الشعوبية القائلة بان للفرس حضارة راقية .

ومن الف في الدفاع عن الفـرس وذم العـرب (سعيد بن حميد) ويكنى (ابا عثمان .. وكان يدعي انه من أولاد ملوك الفرس)[٢٩٧] وقـد وضع عددا من الكتب منها (كتاب انتصاف العجم من العرب)[٢٩٨] وقـد اعتبره ابن النديم من كتب التسوية دون ان يذكر شيئا من محتوياته .

وسعيد بن حميد البختكان يرجع أصله الى فارس كان (شديد العصبية على العرب وله من الكتب كتاب فضل العجم على العرب)[٢٩٩] وعلى الرغم من شدة عصبيته على العرب وتاليفه الكتب في ذمهم وتفضيل العجم عليهم لم يطلق عليه ابن النديم الحكم بالشعوبية كما اطلقه على سهل بن هارون وعلان الوراق مع ان نشاط سعيد البختكان ومواقفه لا تقل عداء عن مواقف سهل وعلان في نصرة الحركة الشعوبية .

---

(٢٩٤) الاصـفهاني : الاغاني ج. ٢ص ٧٤ .

(٢٩٥) المصـدر السـابق ج.٢ ص ٧٣ .

(٢٩٦) ابن النديم : الفهرسـت ص ١٧٨ وص ٢٣٨ .

(٢٩٧) المصـدر السـابق ص ١٨٥ .

(٢٩٨) المصدر السـابق ص ١٨٥ .

(٢٩٦) المصـدر السـابق ص ١٨٥ .

واسحق بن سلمة الذي ينتمي الى أصل فارسي[٣٠٠] فقد الف كتبا يفخر فيها بالفرس على حساب العرب اشهرها (كتاب فضل العجم على العرب)[٣٠١] ولم يشر ابن النديم بشيء عن محتوياته ، كما اننا لم نقف عليه ولعله قد فقد . الا ان اسم الكتاب يبين لنا انه من تلك الكتب التي تشيد بمفاخر الفرس وتحط من مكانة العرب وهو لهذا يدخل في نطاق الشعوبية العنصرية .

وأبو نواس الحسن بن هانيء الحكمي بالولاء كان شاعرا ماجنا اتهم بالزندقة غير مرة ولم يحكم عليه بالشعوبية قديما الا مرة أو مرتين فقد قال فيه ابن رشيق (كان ابو نواس شعوبي اللسان)[٣٠٢] على الرغم من انه قصائده في ذم العرب والتعرض بحضارتهم والفخر بالفرس والاشادة باثارهم اكثر من ان تحصى ومنها قوله :

عاج الشقي على رسم يسائله	وعجت اسال عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من اسد	لا در درك قل لي من بنو اسد
ومن تميم ومن قيس ولفهمو	ليس الاعاريب عند الله من احد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر	ولا صفا قلب من يصبو الى وتد[٣٠٣]

ومن شعره الذي يذم به العرب ويفخر بالفرس :

ولفارس الاحرار انفس انفس	وفخارهم في عشرة معدوم
واذا اعاشر عصبة عربية	بدرت الى ذكر الفخار تميم
وبنو الاعاجم لا احاذر منهمو	شرا فمنطق شرهم محسوم
لا يبذخون على النديم اذا انتشوا	ولهم اذا العرب اعتدت تسليم[٣٠٤]

---

(٣٠٠) ابن النديم : ص ١٩١ .
(٣٠١) المصدر السابق ص ١٩١ .
(٣٠٢) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ج١ ص ٢٠٤ القاهرة ١٩٣٤م .
(٣٠٣) ديوان ابي نواس ص ٤٦ تحقيق احمد عبدالحميد الغزالي القاهرة ١٩٥٣م .
(٣٠٤) الدجيلي : الشعوبية ص ٧٢ الطبعة الثانية النجف ١٩٦٠م .

وأنشد أبو نواس مهاجيا بعض ما يعتز بـه العربي من الابل والاطلال فقـال :

سـقيا لغـير الخيـام والطنب ... ومـن عـيرانة مـن الابـل
عجبت من نعتهـا وناعتهـا ... واي نعت يكون في الجمل[٣٠٥]

وقال مستخفا بالاطلال وبالعرب :

صفة الطلول بلاغة القدم[٣٠٦] ... فاجعل صفاتك لابنة الكرم[٣٠٧]

ومن شعره على مذهب الشعوبية قوله :

وجاورت قوما ليس بيني وبينهم ... اواصـر الا دعـوة وظنـون
لأزد عمـان بالمهلـب نزوة ... اذا افتخـر الاقوام ثم تلـين
وبكر يرى ان النبوة انزلت ... على مسمع من البطن وهو جنين
وقالت تميم لا نرى ان واحدا ... كاحنفنا حتى الممات يكون[٣٠٨]

وقال مفتخرا باثار الفرس :

تراث ابي ساسان كسرى ولم تكن ... مواريث ما ابقت تميم ولا بكر[٣٠٩]

وحينما انشد أبو نواس يمدح الخصيب والي مصر لم ينس ان يفخر بالاعاجم فقال :

لـه سلف في الاعجـين كأنـه ... اذا استؤذنوا يوم السلام بدور[٣١٠]

ومن شعره في ذم العرب والفخر بالفرس قوله :

---

(٣٠٥) ديوان ابي نواس ص ٢٩٥ طبعة الحلبي .
(٣٠٦) العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم ـ انظر : لسان العرب ج١٢ ص ٤٥٠ .
(٣٠٧) ديوان ابي نواس ص ٥٧ طبعة الحلبي .
(٣٠٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص ٤٠٨ . الطبعة الثانية تحقيق احمد امين وجماعته .
(٣٠٩) ديوان ابي نواس ص ١٠٢ طبعة الحلبي .
(٣٠١) المصدر السابق ص ٨٠ .

دع الاطلال تسفيها الجنوب وتبكي عهد جدتها الخطوب
ذر الالبان يشربها اناس رقيق العيش عندهمو غريب
بأرض نبتها عشر وطلح واكثر صيدها ضبع وذيب
فهذا العيش لا خيم البوادي وهذا العيش لا اللبن الحليب
فاين البدو من ايوان كسرى واين من الميادين الزروب[٣١١]

وقال في ذم العرب والفخر بالفرس :

بيلدة لم تحل عطل بها طنبا ولا خباء ولا عس وذيبان
ليست لذهل ولا شيبانها وطنا لكنها لبني الاحرار أوطان
ارض يبني بها كسرى دساكره فما بها من بني الرعناء انسان[٣١٢]

وقال متفاخرا بمعالم الفرس الحضارية على حساب العرب :

دع الرسم الذي دثرا يعاني الريح والمطرا
ألم تر ما بنى كسرى وسابور لمن غبرا
منازه بين دجلة والـ ـفرات تفيأت شجرا
بارض باعد الرحمـ ـن فيها الطلح والعشرا
ولم يجعل مصايدها يرابيعها ولا وصرا[٣١٣]

وقال أبو نواس يهجو الرقاشي لانتسابه الى العرب :

قلت يوما للرقاشي وقد سب الموالي
ما الذي نحاك عن اصـ ـلك من غم وقال
قال لي قد كنت مولى زمنا ثم بدالي[٣١٤]

فمن اشعار أبي نواس هذه التي كانت تنطوي على ذم العرب ومدح الفرس مما يحملنا على الاعتقاد بان حملته لم تكن على البداوة كما يرى البعض

(٣١١) المصدر السابق ص ١١ .
(٣١٢) ديوان ابي نواس : ص ١٢٦ ـ ١٢٧ . طبعة الحلبي .
(٣١٣) المصدر السابق ص ١٦٤ المطبعة العمومية ١٨٩٨م .
(٣١٤) المصدر السابق ص ٥٧١ .

فقد لو كانت كذلك لما احتاج الى الفخر بحضارة الفرس ففي حضارة العرب معالم حضارية متقدمة لم تكن تخفى على ابي نواس وهو عائش فيها فيذكرها عند حملته على البداوة . وعلى هذا فان ابا نواس كان يتعصب للفرس ويمدحهم بمقدار ما يبغض العرب ويذمهم وينتقص حضارتهم ويسلبهم كل الفضائل التي امتازوا بها على الشعوب[٣١٥] ولهذا فان ابا نواس بالاضافة الى ما اتهم بالزندقة فانه يدخل في نطاق الشعوبية العنصرية .

ومن الشعراء الذين انشدوا في ذم العرب والتفاخر بالفرس الخريمي وهو (أبو يعقوب اسحق بن حسان بن فوهي)[٣١٦] فارسي الاصل ولد في بلاد الصغد ومنها رحل الى بغداد واختار صحبة الزنادقة المجان امثال مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وحماد عجرد[٣١٧] وقد وضع القصائد في مدح البرامكة ومن خلال ذلك تفاخر بالفرس على حساب العرب ومن أشعاره في هذا المجال قوله :

اني امرؤ من سراة الصغد البسني ... عرق الاعاجم جلدا طيب الخبر[٣١٨]

ومنها :

ناديت من مرو وبلخ فوارسا ... لهم حسب في الاكرمين حسيب

فيا حسرتا لا دار قومي قريبة ... فيكثر منهم ناصري ويطيب

وان ابي ساسان كسرى بن هرمز ... وخاقان لي لو تعلمين نسيب

ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم ... لنا تابع طوع القياد جنيب

نسومكموا خسفا ونقضي عليكمو ... بما شاء منا مخطيء ومصيب[٣١٩]

---

(٣١٥) ديوان ابي نواس المقدمة تحقيق الغزالي .

(٣١٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٦ ص ٣٢٦ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١م .

(٣١٧) انظر المصدر السابق ج٦ ص ٣٢٦ . وابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٣٤ بيروت ١٩٦٤م .

(٣١٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٣١ .

(٣١٩) المصدر السابق ج٢ ص ٧٣٤ .

ومن قصائد الخريمي في ذم العرب قوله :

اباالصغد باس اذ تعيرني جمل[220] سفاها ومن أخلاق جارتنا الجهل
هم فاعسوا اصل الذي فيه مبتي على كل فرع في التراب لـه أصل
اذا انت لم تحم القديم بحادث من المجد لم ينفعك ماكان من قبل[221]

ومن أشعار الخريمي هذه يتبين لنا بانه كان يفخر بالفرس ويذم العرب وهذان ركنان أساسيان في ادخال الشخص في نطاق العنصرية .

وانشد عبدالله بن طاهر بن الحسين قصيدة افتخر بها بالفرس وذم العرب فقال :

اقصري عما ضحت لـه فنراغي عنك مشغول
سائلي عمن تسائلني قد يرد الخبر مسؤول
انا من تعرف نسبته سلفي الغر البهاليل
سل بهم تنبيك نجدتهم مشرفيات معاقيل
وابي من لا كفا لـه من يسامي مجده ؟ قولوا
سل بهم والخيل ساهمة حوله جرد ابابيل
ابطن المخلوع كلكلـه وحواليه المقاويل
فثوى والترب مضجعه غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو بابله ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مضى معهم كليوث ضمها غيل[222]

ففي هذه القصيدة نرى عبدالله يمدح أباه طاهرا ويعرض بالخليفة محمد الامين ويشيد بالفرس ويفخر بهم على حساب العرب مما يدخله في عداد الشعوبيين .

---

(٢٢٠) جمل اراد بها العرب لانها كانت تعتز بالابل فاعتبر الجمل كناية عن العرب .

(٢٢١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٢٥ .

(٢٢٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص ١٩٨ . تحقيق احمد امين وجماعته القاهرة ١٩٤٠م .

وكتب الجيهاني[٢٢٣] وهو (محمد بن احمد أحد رؤساء المتكلمين)[٢٢٤] في مثالب العرب ونقل عنه أبو حيان التوحيدي انه (الف كتابا سب فيه العرب وتناول جوانب من حياتهم بالذم والشتم)[٢٢٥] ومن أقواله في ذم العرب (.. يأكلون اليرابيع والضباب والجرذان والحيات ويتعاورون ويتهاجون ويتفاحشون وكأنهم قد سلخوا من فضائل البشر ولبسوا اهب الخنازير)[٢٢٦] ولم يقف الجيهاني عند هذا الذم المقذع بل ذهب يفاخر بالطبيعة ويعتبر ذلك من علامات تفوق الفرس على العرب فقال (مما يدل على شرفنا وتقدمنا وعزنا وعلو مكانتنا ان الله أفاض علينا النعم ووسع لدينا القسم وبوأنا الجنان .. ولم يفعل هذا بالعرب بل اشقاهم وعذبهم وضيق عليهم وحرمهم وجمعهم في جزيرة حرجة بقعة صغيرة وسقاهم بارنق[٢٢٧] ضاح وبهذا يعلم ان المخصوص بالنعمة والمقصود بالكرامة فوق المقصود بالاهانة)[٢٢٨] فاراء الجياني هذه المعادية للعرب والتي افتخر بها بالفرس تدخله في نطاق الشعوبية العنصرية .

اشراف الفرس ومواقفهم الشعوبية :

تلك مواقف الشعراء والكتاب وقفنا عليها من مؤلفاتهم وأقوالهم وأشعارهم اما اشراف الفرس فلم يخلفوا لنا كتبا أو أشعارا بل كانت لهم مواقف تناولناها بالبحث فاذا هي مواقف عدائية موجهة لمقاومة الدولة العربية وازالتها وكانت مواقفهم تلك تتناسب والظروف المحيطة بهم ، ومن

(٢٢٣) نسبة الى جيهان وهي احدى مدن خراسان انظر حاشية الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٨ .

(٢٢٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٧ .

(٢٢٥) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٩ . تحقيق احمد امين واحمد الزين الطبعة الثانية .

(٢٢٦) المصدر السابق ج١ ص ٧٩ .

(٢٢٧) الرنق تراب في الماء ومن القذى ونحوه ــ انظر لسان العرب ج١٠ ص ١٢٦ طبعة بيروت .

(٢٢٨) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٨٦-٨٧ .

هؤلاء الاشراف الذين وقفوا مواقف معادية للعرب الهرمزان الذي كان يقود جيشا فارسيا لمقاومة الجيش العربي الذي كان يقوده أبو موسى الاشعري فاندحر جيش الهرمزان وطلب الامان فأعطاه أبو موسى الامان وحمله (الى عمر فاستحياه وفرض له)[٣٢٩] فاخذ الهرمزان يعمل سرا مع أبي لؤلؤة لضرب الدولة العربية في شخص الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وفي ذلك يقول البلاذري (فاتهم بممالاة أبي لؤلؤة عبدالمغيرة بن شعبة على قتل عمر رضي الله عنه)[٣٣٠] ويعلق الاستاذ توفيق الفكيكي على مؤامرة الهرمزان - ابي لؤلؤة - فيقول (وان أول انتقام قام به المؤتمرون بنهاوند[٣٣١] اغتيال الخليفة العربي الثاني على يد المجرم أبي لؤلؤة بتحريض من الهرمزان القائد المجوسي[٣٣٢] . ويؤكد الدكتور نبيه حجاب على علاقة الهرمزان بمقتل عمر فيقول (.. تلك الحركات التي بدأت بمقتل عمر بن الخطاب على يد فيروز أبي لؤلؤة المجوسي بايعاز من الهرمزان)[٣٣٣] .

وكذلك نرى زادويه وهو من قادة الفرس يدبر مع الخوارج مؤامرة خطيرة استهدفت حياة الامام علي « كرم الله وجهه » وبعض رجال العرب البارزين ويشير المبرد الى هذه المؤامرة بقوله (.. فقال عبدالرحمن بن ملجم أنا أقتل عليا .. وقال الحجاج بن عبدالله الصريمي وأنا أقتل معاوية وقال زادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فاجمع رأيهم

(٣٢٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٧٤ الطبعة الاولى تعليق رضوان محمد رضوان القاهرة ١٩٣٢م .

(٣٣٠) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

(٣٣١) مؤتمر نهاوند هو المؤتمر الذي دعا الى عقده يزدجرد من أجل الوقوف في سبيل الزحف العربي وفي هذا المؤتمر اعلن يزدجرد (.. ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والاهواز واوطأها ثم لم يرض حتى اهل فارس والمملكة في عقر دارهم وهو آتيكم ان لم تأتوا فقد اخرب بيت ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتخلصوا هذين المصرين « يقصد البصرة والكوفة » ثم تشغلوه في بلاده وقراره - انظر الطبري ج٤ ص ٢٣٦ الطبعة الحسينية) .

(٣٣٢) الفكيكي : الشعوبية والقومية العربية ص ١٥ بيروت ١٩٦١م .

(٣٣٣) نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية في الادب العربي ص ٢٢٠ .

على ان يكون قتلهم في ليلة واحدة)[٣٣٤] ويبدو ان لزادويه دور كبير في هذه المؤامرة حمل الدكتور بديع شريف ان يقول (ان المؤامرة التي ذهب ضحيتها الخليفة الرابع لا تختلف عن المؤامرة التي ذهب ضحيتها الخليفة الثاني فقد رأس هذه الهرمزان ودبر تلك زادويه)[٣٣٥] .

ويتآمر أبو سلمة الخلال ـ وزير آل محمد واحد رجال الدعوة العباسية البارزين ، على الدولة العباسية ولما تقم بعد فقد (ستر امرهم وعزم ان يجعلها « أي الخلافة » شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من أرادوا)[٣٣٦] وكانت عملية الخلال هذه مؤامرة أراد بها ايقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين وجيوش العباسيين لا زالت في حرب مع جيوش الامويين فتتمكن القوات الفارسية من الانقضاض على الجيوش العربية المتنازعة وتقضي عليها فيعود الملك للفرس وقد أدرك الامام جعفر الصادق عليه السلام ابعاد هذه المؤامرة فاخمدها في مهدها حين احرق كتاب الخلال الذي أرسله اليه واقتنع عبدالله بن الحسن بسوء نية أبي سلمة وانه ما كان مخلصا للعلويين[٣٣٧] . وأبو سلمة في مؤامرته هذه يدخل في عداد الشعوبيين .

وكان أبو مسلم الخراساني يعمل من أجل اعادة الملك الى الفرس ويطمع ان يكون واليا على خراسان ليبدأ بتنفيذ خطته فلما ولاه المنصور على بلاد الشام ومصر غضب والقى بكتاب التعيين أرضا وقال (هو يوليني الشام وخراسان لي)[٣٣٨] وترك الشام وتوجه يريد خراسان فادرك المنصور نيته فالقى القبض عليه وحاكمه وقتله[٣٣٩] .

---

(٣٣٤) المبرد : الكامل في الادب ج٣ ص ٩٢٦ تحقيق زكي مبارك الطبعة الاولى ١٣٥٥هـ .

(٣٣٥) بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٣٢ .

(٣٣٦) نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول ص ١١٤ . نشر وتعليق بطرس غريازنيوبيح موسكو ١٩٦٠م .

(٣٣٧) انظر المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢١١ـ٢١٢ المطبعة البهية .

(٣٣٨) الطبري : ج٩ ص ١٦١ الطبعة الحسينية .

(٣٣٩) المصدر السابق ج٩ ص ١٦١ .

والبرامكة اوقعوا الفتنة بين الهادي والرشيد[٢٤٠] . وبذروا بذرة الخلاف بين الامين والمامون في حمل الرشيد على اخذ البيعة للاخوين[٢٤١] ، وكانوا عاملا في تقريب الفضل بن سهل الى مراكز الدولة العليا فكان له دور كبير في اشعال الفتنة بين الامين والمامون[٢٤٢] .

والى جانب أعمال البرامكة هذه فانهم (استبدوا على الدولة واحتجبوا أموال الجباية .. وعمروا مراتب الدولة وخلطها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم)[٢٤٣] فقربوا الشعراء ودفعوهم لاثارة الفتن وزرع الاحقاد في الصف العربي فقد عاتب ابان بن عبدالحميد البرامكة مرة (على تركهم ايصاله الى الرشيد .. فقالوا له وما تريد فقال اريد ان احظى منه بمثل ما حظي به مروان بن ابي حفصة فقالوا له ان لمروان مذهبا في هجاء آل ابي طالب به يحظى وعليه يعطى فاسلكه حتى نفعل)[٢٤٤] .

وقد عنى البرامكة باحياء الثقافة الايرانية فشجعوا الكتاب على وضع الكتب التي تتناول هذه الثقافة ونقل الكتب عن اللغة الايرانية واجزلوا للمترجمين الهبات فلما نقل ابان بن عبدالحميد كتاب كليلة ودمنة اعطاه يحيى بن خالد البرمكي عشرة آلاف دينار واعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف دينار وتعهد جعفر البرمكي ان يكون من رواتها[٢٤٥] ، وقد زاد يحيى البرمكي في اكرام ابان اللاحقي فجعل (امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز

---

(٢٤٠) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني ص ١٥١-١٥٦ الطبعة الاولى بيروت ١٩٦١م .
(٢٤١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢١١ تحقيق مصطفى السقا وجماعته القاهرة ١٩٣٨م .
(٢٤٢) المصدر السابق ٢٢٣ .
(٢٤٣) ابن خلدون : المقدمة ج١ ص ١٥-١٦ المطبعة الادبية بيروت ١٩٠٠م .
(٢٤٤) الاصفهاني : ج٢٠ ص ٧٥-٧٦ وخزانة الادب ج٢ ص ٤٥٩ القاهرة ١٢٩٩هـ .
(٢٤٥) الاغاني ج٢٠ ص ٧٣ .

اليه)[٢٤٦] ومن المترجمين الذين لاقوا تشجيعا من البرامكة اسحق بن يزيد الذي ترجم من الفارسية الى العربية كتاب سيرة الفرس « اختيار نامه »[٢٤٧] ومحمد بن الليث بن الخطيب بن ادريار الذي تدمته البرامكة واحسنت اليه[٢٤٨] وكذلك محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وزادويه بن شاهويه الاصفهاني ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني وبهرام بن حردان شاه وعمر بن الفرقان[٢٤٩] وكانت هذه الترجمة تستهدف احياء الحضارة الايرانية وتؤكد الفرضية الشعوبية التي تقول بان الحضارة الايرانية هي الحضارة الام . ومن أجل التفاخر على العرب وفي سبيل اثارة الوعي والثقة وروح التحدي في الشعب الايراني ودفعه في المعركة ضد العروبة الى ابادها النهائية .

وقد احتضنت البرامكة مشاهير الشعوبيين فهذا علان الوراق الذي الف أكثر من كتاب في ذم العرب كان منقطعا الى البرامكة وكذلك سهل بن هارون الذي ألف في ذم العرب أكثر من رسالة يلقى حظوة عندهم كما كان حميد بن مهران وسعيد بن وهب يلقون رعايتهم واهتمامهم[٢٥٠] .

ولم يقف البرامكة عند هذا الحد بل ذهبوا الى ناحية أخرى من نواحي المعركة بين الشعوبية والعروبة فتعرضوا بالذم لبعض ما يعتز به العرب واشادوا بالاعاجم واتاجهم فقد حضر الفضل بن يحيى البرمكي مجلسا للرشيد وكان الاصمعي حاضرا فيه فسأل الرشيد الاصمعي (اتروى كلمة عدي بن الرقاع : عرف الديار توهما فاعتادها .. قلت نعم قال هات فمضيت حتى اذا صرت الى وصفه الجمل قال الفضل بن يحيى .. ناشدتك الله ان تقطع علينا ما امتعنا من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل اجرب فقال الرشيد اسكت

(٢٤٦) المصدر السابق ج٢٠ ص ٧٣ .
(٢٤٧) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٦ .
(٢٤٨) المصدر السابق ص ١٨١ و
Goldziher: Muhamadanische Studien, p. 161.
(٢٤٩) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٦ .
(٢٥٠) المصدر السابق ص ١٦٠ و١٨٠ و٢٢٨ .

فالابل هي التي اخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك .. ونهض الرشيد فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الاعاجم اما انها لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة ، فرد عليه الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك من جواب مض)[٢٥١] ويعلق الاستاذ ليفي على موقف البرامكة فيقول (وعلى الرغم من انهم لم يكونوا زرادشتيين فان عواطفهم وتقاليدهم كانت ايرانية ويتجلى ذلك في موقفهم من مواطنيهم واهتمامهم بالاحتفال باعياد ايران القومية)[٢٥٢] ، والى جانب مواقف البرامكة هذه فانهم كانوا يعدون العدة لضرب السلطة والاستيلاء على الحكم فقد اعد الفضل بن يحيى ابان ولايته على خراسان « جيش العباسية » الذي بلغ خمسمائة ألف جندي من الفرس[٢٥٣] ، ولما كان جعفر البرمكي رئيسا لحرس الرشيد (اختار الف جندي ووزعهم حرسا لقصور الخلافة في جانب الكرخ)[٢٥٤] . ويبدو ان جعفر البرمكي كان يعد مؤامرة قوية لقلب نظام الحكم فقد تحدث مرة في مجلس فيه جماعة كانت تشيد بموقف أبي مسلم الخراساني وكيف قلب دولة بني أمية فقال جعفر البرمكي (.. وماذا صنع أبو مسلم الخراساني ؟! انه نقل الملك من اسرة عربية الى أخرى بعد ان ازهق ستمائة ألف نفس سفك دماءهم صبرا وانما الرجل من ينقل الدولة من قوم الى قوم بغير سفك دم)[٢٥٥] وهذه اشارة صريحة من جعفر عن نيته في التآمر واعداد العدة لضرب الدولة وقلب نظام الحكم ، الا ان الرشيد كان يرقب تحركات البرامكة ويتتبع

---

(٢٥١) المرتضى : امالي القسم الثاني ص١١ ـ ١٢ القاهرة ١٣٧٢هـ ١٩٥٤م .

(٢٥٢) تراث فارس : مقالة فارس والعرب بقلم ليفي ص١٠١ .

(٢٥٣) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني ص١٨١ .

(٢٥٤) المصدر السابق ص٢٠٢ ـ ٢٠٤ .

(٢٥٥) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج٤ ص١٦٤ تعليق حسين مؤنس الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٨ . نقلا عن كتاب (زينة المجالس) وهو باللغة الفارسية .

نشاطهم ولاسيما جعفر البرمكي منهم فالقي القبض عليهم واودعهم السجن واخذ جعفر وقتله في سنة ١٨٧هـ[٣٥٦] .

وقد لعب بنو سهل والفضل منهم خاصة دورا كبيرا في تهديم مقومات الدولة العباسية فقد عمل على اشعال الفتنة بين الامين والمامون فاوحى للمامون انه في خطر ان هو بقي في بغداد بالقرب من أخيه الامين وحمله على ان يطلب من الرشيد اشخاصه معه في رحلته الاخيرة الى خراسان بحجة ان الرشيد (عليل وغير مأمون ان يحدث عليه حادث فيثب عليك اخوك فيخلعك)[٣٥٧] وفعلا لما اصطحب الرشيد المامون معه الى خراسان وصادف ان توفى الرشيد في رحلته هذه فاكد الفضل على المأمون ضرورة البقاء في خراسان وصور له مواقف الامين المعادية ولوح للمامون بالنصر وكان يردد دوما (اصبر قليلا وأنا اتضمن لك الخلافة)[٣٥٨] ، وقد اجج الفضل نار الحرب بين الامين والمأمون والتي انتهت بقتل الامين ، فحبذ الفضل للمامون البقاء في خراسان واتخاذ مرو عاصمة له ، وحمله على أخذ البيعة لعلي بن موسى الرضى بولاية العهد[٣٥٩] من أجل ايقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين زيادة في الاختلاف الذي اوقعه بين العباسيين ليسهل عليه ضرب الجانب العربي والقضاء على السلطة العربية ، وقد أدرك القائد العربي نعيم بن خازم مؤامرة الفضل هذه فذهب الى المأمون وفصل له ابعاد المؤامرة التي حاكها الفضل بن سهل فقال مخاطبا الفضل (انك تريد ان تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس)[٣٦٠] .

---

(٣٥٦) الطبري : ج٣ ق٢ ص ٦٦٧ طبعة ليدن .

(٣٥٧) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٢٦ الطبعة الاولى تحقيق مصطفى السقا وجماعته .

(٣٥٨) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٣٥٩) انظر الطبري ج٣ ص١٠١٢ طبعة ليدن . وابن قتيبة : المعارف ص١٦٩ــ١٧٠ .

(٣٦٠) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٢١٢ .

وقد تمكن الفضل بن سهل من تحقيق جانب كبير من مؤامرته فاعلنت بغداد تمردها على الخليفة المأمون وعزلته ونصبت عمه ابراهيم بن المهدي خليفة مكانه ولقبه المبارك[٣٦١] وقد عزل المأمون عن العراق تماما فقد كان الفضل يخفي جميع الاخبار والرسائل التي ترد عن الحالة في بغداد عن المأمون من أجل ان يستفحل الامر ويحجز المأمون في خراسان ويقضي عليه ويعيد الملك للفرس •

لم يقف الفضل عند هذا الحد بل عمد الى احياء المراسيم الايرانية المجوسية فكان (يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه اذا أراد الدخول على المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه)[٣٦٢] •

وقد عمل الطاهريون وعلى رأسهم طاهر بن الحسين على تحقيق حلم الفرس في اعادة السلطان الفارسي فقد اسهم طاهر في قيام الامارة الطاهرية في خراسان مساهمة كبيرة وكان سندا قويا للفضل بن سهل قاد جيش المأمون وحقق نصرا على جيش الامين وكان قاسيا مع الامين وجنده فمثل بالامين وقطع رأسه وانفذه الى المأمون[٣٦٣] •

وقد احتضن طاهر بن الحسين الكتاب المعادين للمروبة فحينما وضع علان الوراق كتابا (في مثالب بني هاشم ثم في بطون قريش ثم سائر العرب ونسب اليهم كل كذب وبهتان وصله عليه طاهر بن الحسين بثلاثين ألف درهم)[٣٦٤] •

وحينما عين المأمون طاهرا واليا على خراسان أخذ يعمل على استغلال الظروف التي خلفها أبو مسلم الخراساني والراوندية والبرامكة والفضل بن سهل من أجل اقامة الامارة الطاهرية فبدأ يضرب على وتر اخاذ في اعادة الدولة الايرانية فاثار آمالا كبيرة والتف حوله أهل خراسان وحينما شعر

---

(٣٦١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣١٢ •
(٣٦٢)المصدر السابق ص٣١٦ •
(٣٦٣) المصدر السابق ص٣٠٤ •
(٣٦٤) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص٦٤ •

بقوته بدأ يتمرد على المأمون فأمر بحذف اسمه من خطبة الجمعة وامسك عن الدعاء له[٣٦٥] .

ومن جهود أبي مسلم والفضل بن سهل وطاهر بن الحسين قامت الامارة الطاهرية في خراسان واتخذت مرو مركزا لها فتحقق أول أمل من آمال الشعوبية وكان قيام هذه الامارة بداية لحركات انفصالية متلاحقة عن الدولة العربية سببت ضعفها وعجلت في انهيارها ، ومن خلال الامارة الطاهرية عبرت الشعوبية عن كثير من آمالها واحيت الثقافة الايرانية وساعدت في تنشيط حركة ادبية واسعة باللغة الايرانية[٣٦٦] .

وتظاهر الافشين حيدر بن كاووس وهو من اسرة امراء اشروسنة بالاسلام واعلن ولاءه للدولة العباسية فارتفع في المناصب العسكرية حتى أصبح قائد قوات المعتصم[٣٦٧] الا ان الاخبار أخذت تشير الى تآمره على الدولة ، فكان يجمع المال والسلاح ويعد الجيوش للانفصال والاستقلال وضرب السلطة العربية ، وكان مع اسلامه قد وجد في بيته (تمثال انسان من خشب عليه حلية وجوهر .. وفي كتبه كتاب من كتب المجوس)[٣٦٨] . وقد وقف المعتصم على رسالة كان قد بعثها أخو الافشين الى اخي المازيار احد المتمردين على الدولة العباسية ، والرسالة تحمل خطة واسعة لقلب نظام الحكم العربي ومما جاء فيها (انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك ، فاما بابك بحمقه قتل نفسه ولقد جهدت ان اصرف عنه الموت فأبى حمقه الا ان ولاه في ما وقع فيه . فان خالفت لم يكن للقوم ما يرمونك به غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا العرب والمغاربة والاتراك ، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس .. فانما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول

---

(٣٦٥) الدوري : العصر العباسي الاول ص١٣٠ .
(٣٦٦) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص٦٧ .
(٣٦٧) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص٥٦ .
(٣٦٨) الطبري : ج ١١ ص ٤ الطبعة الحسينية .

ولما قامت الدعوة العباسية وجدت في عامة الموالي مادة لحركتها ونشاطها ولهذا انتقلت مراكز الدعوة من الحميمة الى الكوفة ومنها الى خراسان حيث مناطق تجمع الموالي ، وقد وجد الدعاة العباسيون في الموالي استعدادا لقبول الدعوة والحماس للمشاركة في ازالة الحكم الاموي ، كما وجد خداش وهو أحد الدعاة المشهورين قبولا لارائه المناهضة للاسلام لاسيما في منطقة خراسان مما حمل قائد الدعوة العباسية محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ان يكتب الى الدعاة في خراسان مهددا اياهم بخطر الاراء التي روجها خداش[279] والتي وجدت أرضا خصبة لدى عموم الموالي فاخذوا بها وعملوا على ترويجها[280] وكانت تلك الاراء تنتشر بسرعة حتى امست تيارا قويا دفع نصر بن سيار والي الامويين على خراسان ان يكتب الى الخليفة الاموي مروان الثاني معبرا عن خطر هذه الاراء بقوله :

قوم يدينون دينا ما سمعت به   عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهمو   فان دينهمو ان تقتل العرب[281]

ومما جاء في رسالة محمد بن علي قائد الدعوة العباسية من تهديد وتحذير من آراء خداش وما جاء في شعر نصر بن سيار وهما طرفان متناقضان يدلان دلالة واضحة على ان موقف خداش والموالي من الدعوة العباسية لم يكن من أجل نقل السلطة من الامويين الى العباسيين بقدر ما كان موجها لهدم الكيان العربي وتشويه مبادىء الدين الاسلامي .

ولما قامت الدولة العباسية قام كثير من الخلاف بين الخلفاء واشراف الفرس وكانت تلك الخلافات تشد فريقا من الموالي الى الاشراف فعلى اثر مقتل ابي مسلم الخراساني اعلنت الراوندية تمردها على أبي جعفر المنصور

(٢٧٩) الطبري ج٥ ص٤٦٧ . مطبعة الاستقامة .
(٢٨٠) نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول ص٤٠ .
(٢٨١) الدينوري : الاخبار الطوال ص٣٦١ — ٣٦٢ .

وغلت فيه من أجل الطعن بكتابته[٣٨٢] ، وقد انضمت اعداد كبيرة من الموالي الى صفوف الراوندية سواء في العراق أو في خراسان ، وكانت حركة المقنع[٣٨٣] وحركة سنباذ[٣٨٤] استمرارا لتمرد الراوندية وتعبيرا عمليا عن السخط والكراهية للعرب ومساهمة فعالة من الموالي في الحركات التي استهدفت القضاء على السلطان العربي ، وان مواقف هؤلاء الموالي تدخلهم في نطاق الشعوبية العنصرية .

من هذا العرض يمكن ان تقول ان الشعوبية العنصرية هي المظهر الثاني للحركة الشعوبية ، وعلى هذا المظهر اطلق المؤرخون الحكم بالشعوبية وذلك على اراء ومواقف وأشخاص (دفعت العرب عن كل فضيلة والحقت بهم كل رذيلة وفضلت الشعوب الاخرى عليهم)[٣٨٥] وادعت (ان الامم كلها من الاعاجم في كل شق من الارض ملوك تجمعها ومدائن تضمها واحكام تدين بها وفلسفة تنتجها .. ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ولا كان لهم قط نتيجة من صناعة ولا اثر من فلسفة)[٣٨٦] وتظاهرت الشعوبية بالاسلام ورفعت شعار المساواة تغطية وتسترا ، ولهذا فالشعوبية العنصرية حركة تقوم على أساس عنصري يدفعها الحسد والحقد وفي هذا المعنى عرف ماكدونالد الشعوبية (بانها الطائفة التي تفضل الاجناس الاخرى على العرب)[٣٨٧] .

---

(٣٨٢) انظر الفخري في الاداب السلطانية ص١٢٧ مطبعة محمد علي صبيح القاهرة بلا تاريخ وابن الاثير الكامل ج٥ ص١٨٧ مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٢هـ

(٣٨٣) انظر النوبختي : فرق الشيعة ص٦٨ .

(٣٨٤) انظر ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ١٧ والفخري في الاداب السلطانية ص ١٢٧

(٣٨٥) محمد كرد علي : رسائل البلغاء ص٣٤٤ .

(٣٨٦) ابن عبد ربة : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٥ تحقيق احمد امين وجماعته .

(٣٨٧) Encyclopaedia of Islam, Vol. 4, p. 395.

ولقد افترضت الشعوبية فرضيات موهومة لتبرر هجومها على العرب والحط من مكانتهم فزعمت (ان الفرس من ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام والعرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم واسحق بن سارة الحرة واسماعيل بن هاجر الامة فهم افضل من العرب لانهم الاحرار واما العرب فبنوا اللخناء)[388] .

وقد جسمت الشعوبية العنصرية أخطاء العرب وذهبت الى اعتبار الخطأ الواحد الذي وقع بصورة فردية خطأ عاما يشمل العرب كلهم فكانت تستغل ما (صدر عن كل قبيلة من بيت تعير به أو عمل تؤاخذ عليه أو جريمة ارتكبها أحد أفرادها فقيدتها واذاعتها للتشهير بالعرب جميعا)[389] .

وقد رفعت الشعوبية العنصرية شعار المساواة متظاهرة بالاسلام لاسيما في الفترات التي تشتد فيها المقاومة العربية مما حمل بعض الكتاب ان يعرفوا الشعوبية (بانهم أهل التسوية)[390] وان الشعوبية (فرقة لا تفضل العرب على العجم)[391] .

ولم تكن الشعوبية العنصرية حركة منظمة لانها لم تكن عقيدة محدودة الاراء والمبادىء انما هي نزعة عدائية لذلك عرفها الفيروزابادي بقوله (والشعوبي محتقر امر العرب وهم الشعوبية)[392] ولذلك لا نستطيع حصر معتنقي الشعوبية فهم من أقوام عدة وديانات مختلفة ومستويات اجتماعية متباينة)[393] الا ان شروط الشعوبية العنصرية الكراهية للعرب والطعن بحضارتهم والعمل على هدم سلطانهم والاشادة بشعب آخر على حساب العرب .

---

(٣٨٨) رسائل البلغاء ص٢٦٥ .

(٣٨٩) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص٥٩

(٣٩٠) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٣ تحقيق احمد امين القاهرة ١٩٤٢م .

(٣٩١) ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٥٠٠ بيروت ١٩٥٥م .

(٣٩٢) الفيروزابادى : القاموس المحيط ج١ ص٨٨ الطبعة الثالثة ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م .

(٣٩٣) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص٥٩ ـ ٦٠ .

ومما ذكرنا يمكن ان نعرف الشعوبية العنصرية بانها مجموع الاشخاص والمواقف والاراء المعادية للعرب التي ذهبت في ذمهم كل مذهب وعملت على تشويه حضارتهم وهدم كيانهم وفضلت غيرهم من الشعوب عليهم متظاهرة بالاسلام حينا وبالولاء القبلي والحزبي أحيانا ورفعت شعار المساواة تسترا وتغطية من أجل تمرير مؤامراتها وتحقيق أهدافها .

الفصل الثالث
أساليب وأهداف الحركة الشعوبية

اولا : اساليب الحركة الشعوبية :

الشعوبية مجموعة مواقف متحدية يدفعها الوعي حينا فتكون حركة منظمة ، ويدفعها الحقد والحسد حينا آخر فتكون نزعة عدائية غير منظمة . ومن متابعة نشاط الشعوبية بمظهريها الديني والعنصري يمكننا ان نقرر ان الشعوبية الدينية كانت حركة منظمة فقد تظاهرت بالاسلام وعملت على هدمه من الداخل وتوزعت الى فرق وحركات كثيرة امكانا في التستر والاختفاء ، وكانت تنظيماتها مركزة تجلت في التعليمات التي كانت تصدرها لدعاتها تقررت ان من شروط الداعي لدعوتها (ان يكون عارفا بالوجوه التي تدعى لها الاصناف فليست دعوة الاصناف من وجه واحد بل كل صنف من الناس وجه يدعى منه)[1] ، ولاشك ان مثل هذه التعليمات لا يمكن ان تصدر الا من جهة منظمة لها خبرتها وتجاربها في مجال التنظيم والدعاية ، وان هناك عملية اعداد خاصة للدعاة من أجل ان تكون لهم القدرة لمعرفة الناس وكيفية التأثير عليهم بعد الوقوف على تكوينهم الفكري والديني والخلقي وفي ذلك ينقل البغدادي على لسان احدهم (فمن كان مائلا للعبادات حمل على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها ، ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له العبادة بله وحماقة وانما الفطنة في نيل اللذات .. ومن رآه شاكا في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات)[2] .

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٨٠ ـ ١٨١ .
(٢) المصدر السابق ص١٨٠ ـ ١٨١ .

ولقد وجدت الفرق الغالية في التظاهر بالاسلام ستارا لنشاطها فوضعت آراءها ومبادئها على أسس من الدين وفسروا آيات من القرآن تفسيرا يتناسب وأهدافهم ومعتقداتهم فكان الحلول والتناسخ تأويلا لقوله تعالى « ونفخنا فيه من روحنا » فقالوا ان عيسى روح القدس وان روح القدس هو الله وعلى هذا الاساس اعلن عبدالله بن سبأ (ان عليا اله الخلق)[3] ، وقال (العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب ان محمدا يرجع)[4] .

وفكرة البداء كانت تأويلا لقوله تعالى « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » .

وقد وجدت الفرق الغالية في الالتفاف حول آل البيت ستارا كثيفا لحركتها فنجد ان معظم الفرق الغالية قد اتخذت احد افراد آل البيت وجعلته محورا لنشاطها وغلوها وقد كشف الغلاة أسباب التفافهم حول آل البيت فقالوا (انا ان اظهرنا رأينا الذي نعتقد رمينا بالكفر والزندقة وقد وجدنا أقواما ينتحلون حب علي ويظهرونه ثم يقعون بمن شاءوا ويعتقدون ما شاءوا ويقولون ما شاءوا فنسبوا بذلك الى الترفض فلم نر لمذهبنا أمرا الطف من انتحال هذا الرجل ثم نقول ما شئنا ونقع بما شئنا فلان يقال لنا رافضة احب الينا من ان يقال زنادقة كفار وما علي عندنا أحسن حالا من غيره ممن نقع بهم)[5] . ولقد حقق هذا الولاء الكاذب نجاحا لحركة الغلو ، فقد انخدع به عدد من المسلمين فحينما اعلن عبدالله بن سبأ غلوه في الامام علي والائمة من بعده وادعى ان الائمة الهة لان الجزء الالهي يحل فيهم[6] قرر الامام علي (رض) حرقه فتنادى الناس (يا أمير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من اعداءك)[7] وهؤلاء الذين تادوا كانوا

(٣) الاسفرايني : التبصير في الدين ص ٢٧ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ج٣ ص ٥٩ مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٢هـ .
(٥) الدارمي : كتاب الرد على الجهمية ص ٩٨-٩٩ .
(٦) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٨ .
(٧) النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٢ . طبعة النجف ١٩٣٦م .

فريقين فريق منخدع بولاء ابن سبأ المزيف ، وفريق آخر كان على اتفاق مسبق معه وكان يدرك ما يريد فصاح لينقذ ابن سبأ من الموت .

والباطنية وهي من اوسع واخطر الفرق الغالية ضمت الى صفوفها فرقا غالية أخرى[٨] . وجدت في الولاء المصطنع لآل البيت حماية لها فاعلنت عن رأيها في هذه العبارة (فنحن نطمع في ابطال دينهم الا اننا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم فليس الطريق الى انشاء دعوة في الدين والانتماء الى فرقة منهم .. فتناصروا وانتسبوا الى اسماعيل بن جعفر الصادق)[٩] .

ومما يدل على تنظيمات الباطنية تعليماتها التي كانت تصدرها لدعاتها ومنها قولهم (فمن رآه الداعي مائلا الى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال : لهما حظ في تأويل الشريعة .. فاذا ساله الموالي لابي بكر وعمر عن التأويل المذكور لابي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما اظهره له ، ثم ذكر له بالتدريج بعض التأويلات فان قبلها منه اظهر الباقي وان لم يقبل منه التأويل الاول ربطه في الباقي وكتمه عنه)[١٠] .

وقد وجدت الزندقة في التظاهر بالاسلام وقاية لها ، فتظاهرت المانوية باداء بعض الفرائض الدينية لا سيما تلك التي لها شبه بين بعض طقوسهم والشعائر الاسلامية كالصلاة والصوم لستر مانويتهم ، كما ان اصحاب الديانات الثنوية الاخرى وجدوا في المانوية ستارا لآرائهم فانخرطوا في صفوفهم ليحققوا من خلال ذلك أغراضهم المعادية للاسلام[١١] .

وقد تظاهر عدد من مشاهير الزنادقة باداء الشعائر الاسلامية ومن هؤلاء عبدالكريم بن أبي العوجاء على شهرته بالزندقة ذهب الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج فراه الامام الصادق « عليه السلام » فساله مستغربا (ما

---

(٨) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٠–١٧١ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك القسم الثاني من الجزء الخامس ص ١١٠ .

(١٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٨١ .

(١١) انظر الدوري : العصر العباسي الاول ص ١١٠–١١٢ والجذور التاريخية للشعوبية ص ٢١ .

جـاء بك الى هـذا الموضع فيجيب ابن أبي العوجاء ـ عادة الجسد وسنة البلد ـ)[12] ، وكان صـالح بن عبدالقدوس يمثـل الزنادقة في مناقشاتها (يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له : ما هـذا ومذهبك معروف قال : سنة البلد وعادة الجسـد وسلامة الاهل والولد)[13] .

وقد وجد الزنادقة في التظاهر بالمجون وسيلة لستر معتقداتهم وآرائهم واسلوبا ناجحا للهجوم على الاسـلام فقـد اشتهر عدد من مشاهير الزنادقة بالمجون فكان (حماد عجرد وحماد الراوية وحماد الزبرقان ويونس بن فروة وعلي بن خليل ويزيد بن الفيض وعبـادة وجميل بن محفوظ وقاسـم بن زنقطة ومطيع ووالبة بن الحبـاب وابان بن عبدالحميد وعمارة بن حمـزة يتواصلون وكأنهم نفس واحدة)[14] وكانت هذه المواصلة على الشـراب والغلمان وأنواع المجون الاخرى في سبيل ابعاد تهمة الزندقة عنهم والحكم عليهم بالمجون دونها ، وقد أدى هذا الاسلوب الى تحقيق مهمته حتى ان حـاد عجرد قد استطاع ان يغطي به زندقته على المقربين منه كأبي نواس[15] ، ويتصـل مطيع بن اياس بجعفر ابن المنصـور فيقف المنصور على زندقة مطيع ويقرر معاقبته فيتقدم محمد المهدي يدافع عن مطيع قائلا (اما الزندقة فليس من اهلها ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم)[16] وهكذا استطاع مطيع ان يختفي بتظاهره بالفسق والمجون ، وان يخدع المهدي بذلك ويخفى عليه زندقته على الرغم من شهرة المهدي بمقاومة الزنادقة ، ومما يدل على ان المجون كان وسيلة للتسـتر ان مطيع بن اياس هذا لما حضرته الوفاة (اجتمع حوله اهله يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صارت نفسه

---

(١٢) الكليني : اصول الكافي ج٣ القسـم الاول ص ١٩-٢٠ .
(١٣) المرتضى : امالي المرتضى ج١ ص ١٤٤ .
(١٤) الجاحظ : الحيوان ج٤ ص ٤٤٧ تحقيق عبدالسلام هارون القاهرة ١٩٤٠م .
(١٥) انظر الاغاني ج١٢ ص ٧١ .
(١٦) المصدر السـابق ج١٢ ص ٩٦ .

والشعوبية العنصرية لم تكن حركة منظمة لانها لا تقوم على عقيدة معينة ولا تستند الى اسس محدودة انما هي نزعة عدائية تتمثل في مواقف فردية منفعلة الا ان هؤلاء الشعوبيين العنصريين حينما واجهوا مقاومة عنيفة من الجانب العربي عمدوا الى اتباع أساليب مختلفة لستر مواقفهم المعادية ومن أجل تحقيق أهدافهم فكانوا يرفعون شعار المساواة كلما وجدوا حاجة الى ذلك ولم ينس الشعوبيون ان يدعموا شعارهم هذا بآية من القرآن الكريم فتمسكوا بقوله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ولم يغفلوا أحاديث الرسول في هذا المجال فتظاهروا بالتمسك بقوله (ص) (المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم)[٢٩] وقوله (ص) في خطبة الوداع (يا ايها الناس ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالاباء كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى)[٣٠] .

وقد وجد الشعوبيون العنصريون في التظاهر بالولاء القبلي والسياسي حماية لهم ووسيلة للتهجم على العرب وحضارتهم وخير من يمثل هذا الولاء المصطنع الشاعر اسماعيل بن يسار الذي كان ولاؤه القبلي الى قبيلة تيم بن مرة[٣١] ، اما ولاؤه السياسي فكان ينتقل به من حزب الى آخر (فانقطع فترة الى آل الزبير فلما افضت الخلافة الى عبدالملك بن مروان وفد اليه .. ومدحه ومدح الخلفاء من ولده)[٣٢] الا ان عبدالملك بن مروان ادرك ولاء اسماعيل المصطنع فقال له (يا ابن يسار انما انت امرؤ زبيري فبأي لسان تنشد)[٣٣] فشعر اسماعيل بالحرج الا انه تخلص من ذلك باسلوب يتناسب وقدرته على التلون فقال مخاطبا عبدالملك (يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأنا من ذلك وقد

---

(٢٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص ٤٠٢-٤٠٤ تحقيق احمد امين وجماعته .

(٣٠) المصدر السابق ج٢ ص ٤٠٤ .

(٣١) الاصفهاني : الاغاني ج٤ ص ١١٨ .

(٣٢) الاصفهاني : الاغاني ج٤ ص ١١٨ .

(٣٣) المصدر السابق ج٤ ص ١١٨ .

صفحت عن أعظم جرم وأكثر غناء لاعدائك مني وانما انا شاعر مضحك)[٣٤] ، ولم يصدق اسماعيل في اعتذاره هذا كما لم يصدق في ولائه لآل مروان وقد كشف عن كذبه هذا فقد (استاذن على الغمر بن يزيد بن عبدالملك يوما فحجب ساعة ثم اذن له فدخل يبكي فقال له الغمر : ما لك يا ابا فائد تبكي قال وكيف لا ابكي وانا على مروانيتي ومروانية ابي احجب عنك فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر .. وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له : اخبرني ويلك يا اسماعيل أي مروانية كانت لك أو لأبيك قال : بغضنا اياهم امرأته طالق ان لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح)[٣٥] .

واستغل الشعوبيون الولاء القبلي اوسع استغلال من اجل ايقاع الفتن بين القبائل العربية وتغذية الاتجاهات القبلية وتوسيعها في سبيل تفرقة العرب وتمزيق وحدتهم فقد استغل ابو عبيدة معمر بن المثنى ولاءه لقبيلة تيم قريش للهجوم على القبائل الاخرى فوضع القصص البذيئة من أجل الحط من مكانتها وتأليب القبائل بعضها على البعض الآخر[٣٦] ، وبشار بن برد استغل ولاءه الى قبيلة عقيل[٣٧] للهجوم على قبائل عربية أخرى ، واتخذ ابو نواس من القحطانية ولاءا ليبرر لنفسه الهجوم على القبائل العدنانية وهي نصف العرب ومنها الرسول والخلفاء الراشدون والامويون والعباسيون فقال في قصيدة هجا فيها العدنانية من خلال تظاهره بالولاء للقحطانية :

ونحن اذا فارس تدافع بهرام قحطنا على مرازبها
فافخر بقحطان غير مكتئب فحاتم الجود من مناقبها

(٣٤) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٣ .
(٣٥) المصدر السابق ج٤ ص ١١٩ .
(٣٦) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بموقف ابي عبيدة ص ٨٥-٨٧ .
(٣٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٢٤٥ تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٤٨م .

ان فاخرتنا فلا افتخار لها　　الا التجارات من مكاسبها
واهج نزارا واخر جلدتها　　وهتك الستر عن مثالبها[٣٨]

كما استغل الشعوبيون الولاء السياسي لضرب الاحزاب العربية بعضها بالبعض الآخر ومن أجل ايقاع الفتن والمنافسات بين الاحزاب العربية بغية اضعافها والقضاء عليها فتظاهر أبو سلمه الخلال بالولاء للعلويين على حساب العباسيين من أجل اثارة الفتنة بين الجانبين لاضعافهما والقضاء عليهما[٣٩] . وعمل جعفر البرمكي على اطلاق سراح يحيى بن عبدالله العلوي وزوده بالمال والسلاح لتقويته وحمله على الثورة ضد العباسيين[٤٠]. واستغل الفضل بن سهل مكانته عند المأمون وتظاهر بالولاء للعلويين واشار على المأمون ان يعهد بولاية العهد الى علي بن موسى الرضا ليس حبا في علي الرضا بل في سبيل ايقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين لاضعافهما والتغلب عليهما[٤١] .

وقد اتبع الشعوبيون أساليب غير مباشرة في تحقيق أغراضهم فحينما ارادت البرامكة احياء عبادة النار اوحوا للرشيد ضرورة ايقاد النار في الكعبة من الاخشاب النادرة وادعوا ان في ذلك تقديسا واكبارا للكعبة وقد أشار الى اسلوبهم هذا البغدادي قائلا (ولم يمكنهم اظهار عبادة النيران فاحتالوا بان قالوا للمسلمين ينبغي ان تجمر المساجد كلها .. وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد ان يتخذ من جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود ابدا فعلم انهم أرادوا عبادة النار في الكعبة)[٤٢] .

ولما أدرك الشعوبيون العلاقة العضوية بين العروبة والاسلام وأدركوا

---

(٣٨) انظر ديوان ابي نواس ص ٥٠٦ ـ ٥٠٨ تحقيق عبدالمجيد الغزالي .
(٣٩) انظر المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢١١ـ٢١٢ المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ .
(٤٠) الطبري ج١٠ ص ٨٠ـ٨١ الطبعة الحسينية .
(٤١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣١٣ تحقيق مصطفى السقا وجماعته .
(٤٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٨٥ . تحقيق محيالدين عبدالحميد .

ان مهاجمة الاسلام تجر عليهم تهمة الزندقة عملوا على فصل العروبة عن الاسلام بدعوى ان الاسلام دين البشرية جمعاء وانه ليس للعرب فضل على غيرهم (فقد جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا .. ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا اذ جمعنا الدين)[43] وبعد هذا التمهيد أخذ الشعوبيون يتهجمون على العرب ولا سيما في العصر العباسي حيث استطاعوا الفصل بين العروبة والاسلام بحيث وجدنا علان الوراق الشعوبي يؤلف (كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب واظهر مثالبها)[44] يشغل منصبا مرموقا في خلافة الرشيد والمامون حيث كان (ينسخ في بيت الحكمة)[45] وكذلك سهل بن هارون على شهرته في معاداة العرب كان (متحققا بخدمة المامون وصاحب خزانة الحكمة له)[46] وقد اعتبر الاستاذ « كولد زيهر » هذا الموقف من الخلفاء العباسين تأييدا للشعوبية[47] . والذي نراه ان هذا لم يكن تأييدا من الخلفاء العباسين للشعوبية بقدر ما كان مرحلة فكرية ساد خلالها الفصل بين العروبة والاسلام بحيث أصبح الهجوم على العروبة لا يعني الهجوم على الاسلام ولم يستمر هذا التأييد طويلا اذ وقف كل من الرشيد والمامون مواقف صارمة من الشعوبين كما سنرى في الفصل القادم .

وقد عمل الشعوبيون على اثارة الوعي لدى الفرس عن طريق الترجمة عن اللغة الايرانية واندفع المثقفون الشعوبيون في وضع الكتب عن الحضارة الايرانية القديمة ونسبتها الى مؤلفين قدامى من أجل تأكيد الفرضية الشعوبية القائلة (ان الحضارات القديمة خاصة الساسانية أساس كل شيء وان الحضارة العربية الاسلامية لا تعدو ان تكون اخذا من تلك الحضارة)[48] ،

---

(٤٣) الاصفهاني : الاغاني ج١٢ ص ١٢٩ .
(٤٤) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٩ــ١٦٠ .
(٤٥) المصدر السابق ص ١٦٠ .
(٤٦) المصدر السابق ص ١٨٠ .
(٤٧) جب : دراسات في حضارة الاسلام الترجمة ص ٨٨ .
(٤٨) انظر الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٦٤ــ٧٢ .

واستهدفت الشعوبية من وراء عملية الترجمة والتأليف هذه اثارة الثقة لدى الفرس وروح التحدي من ناحيـة والتفاخر على العـرب والحط من حضارتهم من ناحية ثانية فكانت الشعوبية تردد دوما (ومن احب ان يبلغ من صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند ، ومن احتاج الى العقل والادب والعلم بالمراتب .. والمعاني الشريفة فلينظر الى سير الملوك)[٤٩] وقد أدت حركة الترجمة والتأليف هذه مهمتها فكان الناشيء من الشعوبيين (متى وطيء مقعد الرئاسة وصارت الدواة أمامه وروى لبزر جمهر امثاله ولاردشير عهده ولعبدالحميد رسائله ولابن المقفع أدبه وصير كتاب مزدك معدن علمه ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته انه الفاروق الاكبر في التدبير)[٥٠] .

ولم يقف الامر عند هذا الحد من التفاخر باثار الفرس بل طعنوا في حضارة العرب ومعالمها ولما كان القرآن في تاليفه والقضاء عليه بتناقضه ثم بتكذيب الاخبار ـ أي التأريخ ـ وتهجين نقل الاثار)[٥١] .

والى جانب هذا لم يهمل الشعوبيون اثارة الحقد على العرب والكراهية لهم وتشويه حضارتهم فخاطبوا العرب بقولهم (ولكنكم كنتم رعاة بين الابل والغنم)[٥٢] وعمدوا الى وضع كتب المثالب في الحط من مكانة العرب وكانوا يسدون الى بعض الصفات الشاذة التي ظهرت في فترة معينة عند قبيلة أو فخذ من قبيلة فاذاعوها باعتبارها صفة عامة للعرب جميعا ، فوأد البنات مثلا كان لاسباب معينة وحصل لفترة قصيرة سبقت ظهور الاسلام وذلك في فخذين من قبيلتي ربيعة وتميم[٥٣] تحدثت الشعوبية عن ذلك باعتباره

---

(٤٩) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ١٠ .

(٥٠) الجاحظ : ثلاث رسائل ص ٤٢ـ٤٣ الرسالة الثانية (تحقيق يوشع فنكل) .

(٥١) الجاحظ : ثلاث رسائل باعتناء يوشع فنكل ص ٤٢ـ٤٣ .

(٥٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ١٠ .

(٥٣) انظر الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ١٤٠ .

صفة عامة عند كل العرب من غير ان تفطن الى ما يحدث من اعتراض على هذا الادعاء اذ لو كانت العرب عامة تئد بناتها بصفة مستمرة فمن اين جاء هؤلاء العرب الذين كانوا أيام الرسول .

وقد عمدت الشعوبية العنصرية الى فرض الفرضيات الغريبة من أجل اصدار الاحكام القاسية على العرب فادعت (فان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلى أربعة : هودا وصالحا واسماعيل ومحمدا ، ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الاصل وأنتم الفرع)[٥٤] وافترضت الشعوبية ان الفرس أحرار والعرب عبد بفرضية لا نصيب لها من الصحة فزعمت ان الفرس أولاد سارة الحرة اما العرب فاولاد هاجر الامة دون ان تقدم دليلا واحدا على ادعائها هذا .

كما عملت الشعوبية العنصرية على اشراك الشعوب الاخرى في المعركة ضد العرب فكانت تفاخر بجميع الامم وباثارها على حساب العرب من أجل توسيع المعركة المعادية للعرب واشغالهم في آكثر من ميدان ومع آكثر من شعب فقالت (فهذه الفرس ورسائلها وخطبها .. وهذه يونان ورسائلها وخطبها وحكمها ، وهذه كتبها في المنطق .. وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها[٥٥] وحينما تفاخر الجيهاني الشعوبي لم يفاخر بحضارة الفرس فحسب بل تفاخر بحضارات أخرى فقال (ليس للعرب كتاب اقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقى ولا كتاب الفلاحة ولا الطب ولا العلاج ولا ما يجري في مصالح الابدان ويدخل في خواص الانفس)[٥٦] ، وعندما افتخرت الشعوبية على العرب في مجال الحكم زجت شعوبا كثيرة في معركتها فقالت (فان لنا ملوك الارض كلهم من الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة ، وهل ينبغي لاحد ان يكون له مثل ملك سليمان

---

(٥٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص ٤٠٥ تحقيق احمد امين .
(٥٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ١١ .
(٥٦) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٨٩ .

الذي سخرت له الانس والجن والطير والريح وانما هو رجل منا ، أم هل كان لاحد مثل ملك الاسكندر الذي ملك الارض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها)[٥٧] .

ثانيا ـ اهداف الحركة الشعوبية :

١ ـ تشويه مبادىء الاسلام وهدمها من الداخل :

نظرة الى مظاهر الشعوبية بنوعيها ، ومن تتبع نشاطها في مواقفها وآرائها وأساليب عملها يمكن ان نقول ان الشعوبية ترمي الى أهداف ثلاثة ـ تشويه مبادىء الاسلام وهدمها من الداخل ، ازالة السلطان العربي وتشويه الحضارة العربية ، واعادة السلطان الفارسي والعمل على ازدهار الحضارة الايرانية .

يقوم الدين الاسلامي على ثلاثة أركان اعتقادية هي (التوحيد والنبوة والمعاد .. وركن رابع هو العمل بالدعائم .. وهي خمسة : الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ... فهذه الاركان الاربعة هي أصول الاسلام والايمان بالمعنى الخاص عند جمهور المسلمين .. ولكن الشيعة الامامية زادوا ركنا خامسا هو الاعتقاد بالامامة)[٥٨] وان محاربة الاسلام تعني محاربة هذه المبادىء عن طريق التشويه حينا والهدم حينا آخر ، وقد ركزت الشعوبية الدينية هجوما متصلا الى « مبدأ التوحيد » الذي هو (أصل الدين وعمود الاسلام)[٥٩] وقد استغلت معظم الفرق الغالية الحلول والتناسخ لمحاربة هذا المبدأ فاحلت (الله في أشخاص الانبياء والائمة)[٦٠] وجعلت منهم آلهة الى جانب الله « سبحانه وتعالى » ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان معظم رؤساء الفرق الغالية ادعوا الالوهية بحجة تناسخ روح الله في الانبياء والائمة وانتقالها اليهم .

---

(٥٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص ٤٠٤ .

(٥٨) محمد الحسين آل كاشف الغطاء : اصل الشيعة واصولها ص ١٠١ـ ١٠٢ « الطبعة ٩ » .

(٥٩) الخياط : الانتصار ص ٧٨ـ٧٩ .

(٦٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٢٨ .

ومنعت بعض الفرق الغالية بقدرة الله « بالبداء » ونسبت من خلاله الى الله الجهل والضعف[61] .

وذهبت فرق غالية أخرى الى القول بالتشبيه والتجسيم من أجل الطعن بوحدانية الله فقال هشام بن الحكم وهو أحد الغلاة ان الله (سبعه أشبار بشبر نفسه وانه ذو حد ونهاية وانه طويل وعريض وعميق ذو لون وطعم ورائحة)[62] ، وادعى هشام الجواليقي وهو الآخر من الغلاة ان الله (جسم مصور بصورة انسان)[63] وزعم (ان معبوده على صورة الانسان وان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وان له شعرة سوداء وقلبا تنبع منه الحكمة)[64] ، وزعمت فرقة اليونسية (ان الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب .. وان الملائكة تئط أحيانا من وطأة عظمة الله على العرش)[65] .

وعمل الزنادقة من الثنوية على ضرب مبدأ التوحيد عن طريق تشكيك (ضعاف الغرائز في الواحد الاول من جهة التعديل واما لوهم الى التثنية)[66] وحبذوا للناس عبادة الاثنين النور والظلمة[67] . وذهب الزنادقة من الدهرية الى نفي مبدأ التوحيد من أساسه فانكروا (الصانع المدبر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع)[68] ورددوا (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر)[69] .

---

(٦١) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بمبدأ البداء ص ٥٦ـ٥٩ .
(٦٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٣٩ .
(٦٣) الدهلوي : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٥ .
(٦٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٣٩ .
(٦٣) الدهلوي : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص١٥ .
(٦٤) البغدادي الفرق بين الفرق ص١٣٩ .
(٦٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٢٤ .
(٦٦) البيروني : تحقيق ما للهند من ١٢٢ .
(٦٧) الطبري : ج١٠ ص ٢٤ الطبعة الحسينية .
(٦٨) الغزالي : فيصل التفرقة ص ١٧٢ .
(٦٩) سورة الجاثية ٤٥ آية ٢٤ .

وقد وجهت الشعوبية الدينية حملة قوية الى « مبدأ النبوة » الذي (يقوم على الايمان والاعتراف بجميع الانبياء والرسل وان محمدا خاتمهم ، وان القرآن هو دستور الاسلام لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة)[٧٠] ، فعمدت بعض الفرق الى استغلال التأويل للطعن في مبدأ النبوة فقالوا (ان كل مؤمن يوحى اليه)[٧١] وعلى هذا الاساس ادعى أبو منصور العجلي النبوة فقال (ان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه هو بالتأويل)[٧٢] ، واستغلت فرق غالية أخرى التناسخ لالغاء فكرة اختتام النبوة بمحمد فقالوا (ان روح الله التي تحل في نفوس الانبياء .. تنتقل من نبي الى نبي آخر بعد وفاة السابق ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد)[٧٣] .

وذهب ابن الراوندي الى نكران فكرة النبوة من أساسها فقال (ان الذي يأتي به الرسول لم يخل من احد امرين ، اما ان يكون معقولا واما ان لا يكون معقولا ، فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه فاي حاجة لنا الى الرسول ؟ وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية)[٧٤]. وذهب محمد بن زكريا الرازي الى ما ذهب اليه ابن الراوندي في نكران النبوة فقال (اننا به ـ يقصد العقل ـ وصلنا الى معرفة الباري عز وجل ، وهذا يقطع بان النبوة أصبحت لا مبرر لها ما دمنا نعرف بالعقل كل شيء أخلاقي لان النبوة لا تقوم بأكثر من هذا)[٧٥] .

وبعد هذا الهجوم على مبدأ النبوة تهجم الشعوبيون على الانبياء

(٧٠) آل كاشف الغطاء : اصل الشيعة واصولها ص ١٠٦ .
(٧١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٦ .
(٧٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٨ و٣٩ طبعة النجف ١٩٣٦م .
(٧٣) بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٢٠٧ (نقلا عن كتاب الشهرستاني « الملل والنحل) .
(٧٤) المصدر السابق ص ١٤١ « مقالة بقلم باول كروس » .
(٥٧) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

واعتبروهم (قوما احبوا الزعامة)[٧٦] وقالوا انهم (سحرة ومحرفون)[٧٧] لا معجزة لهم وان ما جاءوا به مخاريق وشعوذة لا يقبلها العقل[٧٨] .

وقد وجه الشعوبيون هجوما قويا الى الكتب السماوية وادعوا ان فيها تناقضا فقال محمد بن زكريا الرازي الملحد (فزعم عيسى انه ابن الله وزعم موسى انه لا ابن له وزعم محمد انه مخلوق كسائر المخلوقات .. ومحمد زعم ان المسيح لم يقتل واليهود والنصارى تزعم انه قتل وصلب)[٧٩].

ولما كان القرآن الكريم معجزة الاسلام والاسلام معجزة العروبة فقد وجهت الشعوبية هجوما عنيفا الى القرآن فقد فضل حماد عجرد شعره على القرآن وبلاغته فذكر السيد المرتضى (ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارىء فقال حماد : علام تجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول)[٨٠] ، وهاجم ابن الراوندي اعجاز القرآن فادعى (ان فصاحة اكثم بن صيفي تفوق فصاحة القرآن)[٨١] ولم يقف ابن الراوندي عند هذا الحد بل زاد على ذلك فقال (ان القرآن كلام غير حكيم وان فيه تناقضا وخطأ وكلاما يستحيل)[٨٢] واضاف متهجما على القرآن وتعاليمه فقال (أتى بما كان منافرا للمعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة ورمي الحجارة والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر والعدو بين حجرين لا ينفعان ولا يضران)[٨٣] .

ولم يقف أمر الشعوبيين عند هذا الحد بل أخذوا يكذبون على الرسول محمد ويضعون الاحاديث الملفقة على لسانه ويعلق ابن الاثير على عملهم هذا فيقول (فلما يئس أعداء الاسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع

---

(٧٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٨ .
(٧٨) الفرق بين الفرق ص ١٧٨ .
(٧٩) بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٢٠٧ .
(٨٠) امالي المرتضى ج١ ص ١٢٤ .
(٨١) بدوي : من تاريخ الالحاد في لاسلام ص ١٢١ .
(٨٢) الخياط : الانتصار ص ١٢ .
(٨٣) بدوي : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٨٤ .

الاحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم .. وافسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه فكان أول من فعل ذلك أبو خطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة)[٨٤] ، ومن الذين وضعوا الاحاديث المكذوبة عبدالكريم بن أبي العوجاء الذي اعلن قبل قتله (لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة)[٨٥] .

وقد وجهت الشعوبية هجوما قويا الى « مبدأ المعاد » الذي يقصد به بأن لهذه الدنيا نهاية وان الله يبعث الخلق ثانية للحساب فيثاب الانسان على احسانه ويعاقب على جرائمه فاما الى الجنة واما الى النار[٨٦] ، ويتصل مبدأ المعاد اتصالا مباشرا بمبدأ الفرائض فعمدت الشعوبية الى محاربة الفرائض من خلال محاربتها مبدأ المعاد ، وقد استغلت الشعوبية التناسخ لنفي فكرة المعاد فقالت (ان الارواح تتناسخ من شخص الى شخص وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص)[٨٧] وقد ذهبت في فلسفة موضوع الثواب والعقاب من خلال قولها بالتناسخ فادعت « ان أرواح أهل الخير اذا خرجت دخلت أبدان خيرة فاستراحت ، وأرواح أهل الشر اذا خرجت تدخل أبدانا شريرة فيتحمل عليها المشاق »[٨٨] وقد ذهب بعض الفرق الغالية في تأكيد معاقبة الارواح في هذه الحياة عن طريق تناسخ روح الانسان في الحيوانات فقالوا ـ ان عقوبة الارواح بقدر ما اقترفته من آثام فاذا كان الميت ظالما فان روحه حين يموت تحل في جسد سائمة أو فأر أو وحش واذا كان حميد السيرة فان روحه تحل في جسد رجل تقي أو ملك ـ[٨٩] .

---

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ج٨ ص ٢١ « طبعة ليدن ١٨٦٢م » .
(٨٥) المرتضى : امالي المرتضى ج١ ص ١٢٨ .
(٨٦) آل كاشف الغطاء : اصل الشيعة واصولها ص ١١٥-١١٦ .
(٨٧) الشهرستاني : ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٨٨) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٧٦-٧٧ .
(٨٩) انظر بيان الاديان ص ٢٩ والاشعري القمي : المقالات والفرق ص ٤٩ .

وذهبت الشعوبية الى توكيد فكرة العقاب في هذه الدنيا فوضعت الفرضيات الخيالية واستعملت الارقام الموهومة (واما الكفار والمشركون والمنافقون والعصاة .. فينتقلون في الاجساد والابدان المشوهة الموحشة المسوخة عشرة آلاف سنة بين الفيل والجمل وما هو أكثر منهما وأقل الى البقة الصغيرة)[٩٠] .

وقد استغل الغلاة التأويل لالغاء فكرة الجنة والنار فقالوا ـ ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير .. وان النار هي التي تصيب الناس من شر ـ[٩١] وبذلك الغوا فكرة المعاد ومن اجل تأكيد الغاء فكرة المعاد ذهبت الشعوبية الى القول بدوام الحياة وعدم فنائها فقالت (انه لا تناهي للعالم وان النفس تتردد في الاجساد أبدا)[٩٢] واولت الموت مدعية انه يحصل للاجساد فقط اما الارواح (فتنتقل بالموت من جسم الى جسم ، وثمة بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا)[٩٣] . واستعملت الفرق الغالية التأويل لهدم مبدأ الفرائض فقالوا (لكل ركن من أركان الشريعة تأويل .. فزعموا ان معنى الصلاة وموالاة إمامهم ، والحج زيارته وادمان خدمته ، والمراد بالصوم الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام ، والزنا عندهم افشاء سرهم بغير عهد وميثاق ، وزعموا ان من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله ـ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ـ[٩٤] وحملوا اليقين على معرفة التأويل)[٩٥] .

واستهدفت الشعوبية من هجومها على مبدأ الفرائض وهو المبدأ

---

(٩٠) الاشعري القمي : المقالات والفرق ص ٤٩ « تحقيق محمد جواد مشكور طبعة طهران ١٩٦٣م » .
(٩١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٦ .
(٩٢) ابن حزم : الملل والاهواء والنحل ج١ ص ٩١ .
(٩٣) فلهاوزن : الخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٤٨ .
(٩٤) سورة الحجر ١٥ آية ٩٩ .
(٩٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٨ .

العماي للاسلام واباحتها المحرمات المختلفة هدم المجتمع الاسلامي لان هذا الهدم يؤدي الى فقدان الاسلام القوة الحامية لـه من محاولات التشويه والهدم وقد ادركت الشعوبية أهمية هـذا المبـدأ فعملت على هدمه في غير هوادة فانكرت المعاد فالغت بذلك فكرة الجنة والنار فازالت فكرة الخوف من عقاب الآخرة وبذلك فتحت المجال للفسـق والمجون . والى جانب التحلل من الفرائض واباحة المحرمات ذهبت فرق غالية الى القول بالجبرية وادعت (انه لا فعل ولا عمل لأحـد غير الله ونسـبة الاعمال الى العباد على وجـه المجاز كما يقال زالت الشمس)[96] وفي هذا توكيد على عدم أهمـية القيام بالفرائض وعـدم الاهتمام من اقتراف الموبقات حيث لا قـدرة ولا ارادة للانسـان فيما يفعل .

وقـد اهتـت الشعوبية اهتماما خاصـا بموضوع الامامة بمفهومهـا الديني والسياسي فعمدت فرق غاليـة كثيرة الى اخـراج الائمة من نطـاق بشريتهم باضفاء صفة الربوبية عليهم فقالوا (ان الائمة أنوار من نور الله تعالى وابعاض من ابعاضـه)[97] .

واستغلت بعض الفرق الغالية الحلول لنقل الالوهية الى الائمة بدعوى ان الجزء الالهي يحل فيهم[98] وعلى هذا الاساس خاطب عبدالله بن سـبأ الامـام علي « عليه السـلام » قائلا (أنت خالقنا ورازقنـا وأنت محيينـا ومميتـا)[99] وقد عبثت الشعوبية بالامامة وتلاعبت بها وفقا لاغراضهـا فتارة تجعل من الامام الها وتارة تجعل منه نبيا مرسـلا ويعلق الخياط المعتزلي على غلوهم هذا قائلا (وغلت في امامها وافرطت في وصفه فبعضهم زعـم انه اله وبعضهم زعم انه الواسطة بين الله وخلقه وبعضهم زعم انه رسول وبعضهم انه نبي)[100] .

---

(٩٦) الرسـعني : مختصر الفرق بين الفرق ص ١٢٨-١٢٩ .
(٩٧) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص ١٢٩ « تحقيق كلمان هوار » .
(٩٨) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١١ .
(٩٩) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص ١٢٥ .
(١٠٠) الخياط : الانتصار ص ١١٦ .

واستغلت الفرق الغالية الالتفاف حول الامامة للهجوم عليها فاظهر عبدالله بن سبأ (الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وتبرأ منهم)[١٠١] من خلال تظاهره بالتمسك بامامة الامام علي ادعى ان الامام علي امره بذلك[١٠٢] من أجل تشويه موقف الامام علي والتسلل من خلاله للهجوم على الخلفاء الراشدين .

واستغلت فرق غالية أخرى التأويل للطعن في امامة الخلفاء الراشدين فزعموا (ان أبا بكر وعمر وعثمان .. لم يزالوا منافقين في حياة الرسول وانه قد نزل في نفاقهم وعداوتهم لله ورسوله آى كثير منه ـ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا ـ[١٠٣] ومنه ـ افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم ـ[١٠٤] فادعى الغلاة انها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان)[١٠٥] وقد استغلت فرقة الخنصية التأويل للهجوم على الامام علي[١٠٦] ، كما ذهبت فرقة الكاملية للطعن بالخلفاء الراشدين كافة من خلال تظاهرها بالولاء للامام علي (رض) فقالت (ان الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي بتركه قتالهم)[١٠٧] ، وانشد بشار بن برد الذي ذهب مذهب الكاملية في ذم الخلفاء الراشدين :

وما شر الثلاثة أم عمرو　　　بصاحبك الذي لا تصحبينا[١٠٨]

وقد شعرت الفرق الغالية انها في حاجة الى تفسير صحة امامة العدد الكبير من الائمة المتعلين الذين ادعتهم فوجدت في القول بالتناسخ وسيلة

---

(١٠١) الاشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢٠ .
(١٠٢) المصدر السابق ص ٢٠ .
(١٠٣) سورة الفرقان ٢٥ آية ٢٧ .
(١٠٤) سورة الملك ٦٧ آية ٢٢ .
(١٠٥) الخياط : الانتصار ص ١٠٢ .
(١٠٦) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بمبدأ التأويل ص ٥٩ـ٦٦ .
(١٠٧) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ .
(١٠٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ .

ناجحة لتبرير ذلك فقالت (ان الائمة عندهم واحد وانما هم متنقلون من بدن الى بدن) وهكذا طعن الغلاة في مبدأ الامامة الاثنى عشري كما طعنوا في هذا المبدأ بمفهومه السياسي .

من هذا العرض يتبين لنا ان الشعوبية وبخاصة الشعوبية الدينية قد وجهت حملة مركزة الى مبادىء الاسلام وعملت على تشويهها الا انها لم تستطع هدمها وان استطاعت نشر اراء غريبة علقت بالاسلام وكادت ان تخنقه مرات ، الا ان قوة الاسلام ومتانة مبادئه وانسجامها مع العقل واستنادها الى القرآن الذي تعهد الله بحفظه فقال سبحانه وتعالى ـ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ـ مكنت الاسلام من مقاومة تلك الاراء الغريبة وصد الهجمات العنيفة التي وجهت اليه فبقي الاسلام خالدا .

٢ ـ ازالة السلطان العربي وتشويه الحضارة العربية :

وجهت الشعوبية العنصرية هجوما متصلا من أجل ازالة السلطان العربي ، فكانت عمليات اغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة ، وحركات المختار وابن الاشعث التي اشترك فيها الموالي باعداد كبيرة[١٠٩] ، وتمرد الراوندية والمقنع وسنباذ وبابك الخرمي والمازيار والافشين وغيرها من الحركات المعادية تمثل المحاولات العملية لازالة السلطان العربي ، وكانت ترافق تلك المحاولات عمليات طعن وتشويه في الحضارة العربية واشادة بحضارات الامم الاخرى ولاسيما الحضارة الايرانية .

ان الحضارة العربية هي ما انتجه العقل العربي عبر حياته من شعر وخطابة ومعتقدات دينية وعمران ونظم سياسية ، وما اعتز به العرب من مثل كالكرم والشجاعة والوفاء وحفظ الانساب واحترام المرأة والنجدة وحرمة الجار ، وان روح هذه الحضارة الاسلام ومادة هذه الروح العرب ولذلك وجهت الشعوبية هجومها الى الاسلام والى العرب وكانت عمليات الهجوم هذه تسير في خطين متوازيين حينا ومتداخلين حينا آخر وفي ذلك يقول

---

(١٠٩) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٩٢ .

الجاحظ (فان عامة من ارتاب بالاسلام انما جاء ذلك من الشعوبية فاذا ابغض شيئا ابغض اهله وان ابغض تلك اللغة ابغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام اذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف)[110] .

لقد تناولت الشعوبية العنصرية حضارة العرب بالتشويه والطعن فركزت هجومها على الشعر العربي الذي هو (ديوان العرب)[111] كما قال الرسول الاكرم (ص) ، وكانت عملية الهجوم على الشعر قد ذهبت الى وضع الشروح الغريبة لاشعار العرب كما فعل أبو عبيدة في كتاب النقائض وكما فعل الهيثم ابن عدي في كتبه ، وذهب آخرون الى افساد الشعر عن طريق الوضع فكان حماد الراوية (مشهورا بالكذب في الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى ان كثيرا من الرواة قالوا قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته فاختلط الصحيح بالسقيم)[112] ويعلق الاصفهاني على خطورة ما فعله حماد الراوية قائلا (وقد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له وكيف ذلك ايخطىء في روايته ام يلحن قال : ليته كان كذلك فان أهل العلم يردون من اخطأ الى الصواب لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الافاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك)[113] وكذلك عمل خلف الاحمر على افساد الشعر عن طريق الوضع وفي ذلك يقول

---

(١١٠) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٧ ص ٦٨ . تحقيق محمد النعساني الحلبي القاهرة ١٩٠٧م .

(١١١) ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب ص ١٢ . « طبعة بولاق القاهرة ١٣٠٨هـ » .

(١١٢) المرتضى : امالي المرتضى ج١ ص ١٢٢ .

(١١٣) الاصفهاني : الاغاني ج٥ ص ١٦٣ .

ابن النديم فيه (كان شاعرا يعمل الشعر على لسان العرب وينحله اياهم)[١١٤] .

وقد تناولت الشعوبية العنصرية بالتشويه خطب العرب وفصاحتهم وكلامهم الذي تعتز به العرب ايما اعتزاز فقالت أول الامر ان (الخطابة شيء في جميع الامم وبكل الاجيال)[١١٥] وادعت الشعوبية بعد هذا قائلة (والخطابة في جميع الامم .. حتى الزنج مع الغثارة ومع فرط الغباوة تطيل الخطب)[١١٦] وبعد هذا تهجمت الشعوبية على العرب فقالت (ولطول اعتيادكم مخاطبة الابل جفى كلامكم وغلظت مخارج أصواتكم حتى كانكم تخاطبون الصمان اذا كلمتم الجلساء)[١١٧] .

وكذلك وجهت الشعوبية هجوما الى شجاعة العرب وكأنها ارادت ان تثار لاندحارها في معارك القادسية ونهاوند وغيرها فراحت تنتقد خطط العرب العسكرية قائلة (وكنتم تتساندون في الحرب وقد علم ان الشركة ردية في ثلاثة أشياء في الملك والحرب والزوجة)[١١٨] وادعت الشعوبية ان العرب لا تعرف (البيات ولا الكمين ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفيضة)[١١٩] . كما انتقدت الشعوبية اسلحة العرب مدعية انهم لا يعرفون (الرتيلة[١٢٠] ولا العرادة ولا المجانيق ولا الدباب ولا الخنادق)[١٢١] وذهبت الشعوبية الى فرض الاحكام البعيدة عن الواقع فادعت ان العرب لا تقاتل بالليل[١٢٢] .

---

(١١٤) ابن النديم : الفهرست ص ٨٠ .
(١١٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج٢ ص ١٠ .
(١١٦) المصدر السابق ج٢ ص ١٠ .
(١١٧) الجاحظ : البيان والتبيين ج٢ ص ١١ .
(١١٨) المصدر السابق ج٢ ص ١١ .
(١١٩) المصدر السابق ج٢ ص ١٢-١٤ .
(١٢٠) الرتيلة : آلة تقذف الحصاة على العدو وتصيب الوجوه انظر البيان والتبيين حاشية ج٢ ص ١٢ .
(١٢١) المصدر السابق ج٢ ص ١٢-١٤ .
(١٢٢) المصدر السابق ج٢ ص ١٢-١٤ .

وادركت الشعوبية اعتزاز العرب بالكرم وفخرها به فعملت على الطعن بهذه الصفة وتشويه أهميتها ، فألف سهل بن هارون الرسائل في ذم الكرم والاشادة بالبخل وكان أشهر تلك الرسائل الرسالة التي عملها للحسن بن سهل والتي مدح فيها البخل ورغبه فيه(١٢٣) .

وكذلك أدركت الشعوبية ان المرأة عند العرب محل اعتزاز واكرام وموضع تفاخر واكبار فعمدت الى تشويه مكانتها والاساءة الى سمعتها فوضعوا القصص البذيئة للطعن بالمرأة العربية ولفقوا الاخبار لتشويه مكانتها فادعوا ان العرب (يغير بعضها على بعض فرجالها موثوقون في حلق الاسر ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الابل .. وقد وطئن كما توطأ الطريق(١٢٤) المهيع(١٢٥)) ولم تقف الشعوبية عند هذا التزوير والبهتان بل سلكت طريقا آخر لتشويه مكانة المرأة العربية والحط من منزلتها فدعت الى اباحة المحرمات واشاعة المجون في الغلمان ودعت الى نكاح الاخوات والبنات(١٢٦) كل ذلك من أجل انتقاص المرأة واحتقارها وانزالها الى حضيض الرذيلة وجعلها رخيصة مبتذلة .

٢ ـ احياء الحضارة الايرانية واعادة السلطان الفارسي :

لقد ادركت الشعوبية ان أهدافها الثلاثة أهداف متكاملة متلازمة ، وان تحقيق أي هدف منها يؤدي الى تحقيق الهدفين الآخرين ، ولذلك كانت الشعوبية تعمل في أكثر من مجال وتتبع أكثر من اسلوب من أجل الوصول الى أهدافها ، فالى جانب هجومها على الاسلام والحضارة العربية وتآمرها على السلطان العربي كانت تعمل على احياء معالم الحضارة الايرانية فهي في الوقت الذي تطعن في العرب وحضارتهم وتقول انه لم يكن للعرب ملك وليست لديهم

---

(١٢٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٠ .

(١٢٤) الطريق المهيع : الواسع الواضح انظر لسان العرب ج٨ ص ٢٧٨ طبعة بيروت .

(١٢٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص ٤٠٥ . « تحقيق احمد امين وجماعته » .

(١٢٦) الطبري ج١٠ ص ٤٢ . الطبعة الحسينية .

فلسفه ولا علم تعمل على وضع الكتب والرسائل عن الحضارة الايرانية وتدفع الهبات الكبيرة من أجل ترجمة الكتب من الايرانية الى العربية كما عمدت الى احياء المراسيم الايرانية القديمة والاحتفال باعياد ايران القومية[127] .

وعملت الشعوبية العنصرية على الاشادة بالحضارة الايرانية القديمة واحياء معالمها واظهارها بصورة متقدمة ولم تقف الشعوبية عند هذا الحد بل ذهب عدد من الشعوبيين امثال عبدالله بن المقفع وسهل بن هارون وعبدالحميد الكاتب وغيرهم الى تاليف الكتب المختلفة ونسبتها الى مؤلفين قدامى[128] وبعد ذلك دعت الشعوبية الى الرجوع الى هذه الكتب بحجة ان فيها كمال البلاغة والادب والعلم والالفاظ الكريمة والمعاني الشريفة[129] .

وعملت الشعوبية على التمسك بالديانات الثنوية ـ الزرادشتية والمانوية والمزدكية ـ باعتبارها ديانات ايرانية[130] ، وفي ذلك يقول « دي لا فيدا » (ومنهم من وجد في المانوية تراثا قوميا خلفه الاباء فيجب الحرص عليه وتعهده .. لكي يقارنوا تراث العرب ودينهم بما خلفه لهم الاباء من تراث ودين)[131] .

وقد اولت الشعوبية اهتماما كبيرا للمؤلفات والاثار الايرانية القديمة وعملت على ترجمتها أكثر من مرة فنجد كتاب « الخداينامه » في صور ثمانية[132] مما يدل على اهتمام الشعوبية بهذا الكتاب لما ينطوي عليه من أساطير وتمجيد للحضارة الايرانية وبخاصة سيرة الملوك الفرس ، كما ترجموا

---

(١٢٧) انظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣١٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعته وتراث فارس الترجمة ص ١٠١ .
(١٢٨) الجاحظ : البيان والتبيين ج٢ ص ٢١ .
(١٢٩) انظر البيان والتبيين ج٣ ص ١٠ .
(١٣٠) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٦٤ .
(١٣١) عبدالرحمن بدوى : من تاريخ الالحاد في الاسلام ص ٣٤ .
(١٣٢) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٦٦ .

كتاب « اختيار نامه » الذي يتناول سيرة الفرس واخبارهم وكتاب « ايين نامه » الذي يبحث في المراسيم والتقاليد الايرانية وكذلك كتاب « مزدك » أكثر من مرة[١٣٣] .

كما افتخرت الشعوبية باثار الفرس العمرانية فوضع الشعراء الشعوبيون القصائد في ذلك ومنها قول أبي نواس يفاخر بالفرس ويدعو الى الاشادة بهم :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا — بها اثر منهم جديد ودارس
تدار علينا الراح في عسجدية — حبتها بالوان التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها — مهاتدريها[١٣٤] بالقسي الفوارس[١٣٥]

وقال أبو نواس مشيدا باثار الفرس :

ألم تر ما بنى كسرى — وسابور لمن غبرا
منازه بين دجلة والـ — فرات تفيأت شجرا[١٣٦]

وافتخرت الشعوبية بالشخصيات الايرانية من أجل توجيه الانظار اليها وحملها لتزعم حركة المقاومة ضد العروبة ، فنسبت فرقة الراوندية الالوهية الى ابي مسلم الخراساني وادعت انه لم يمت وانه سيعود فيعيد الملك للفرس[١٣٧] ، وانشد الشعراء الشعوبيون يشيدون بمواقف الفرس وادعوا ان الفرس هم الذين اسقطوا الدولة الاموية واقاموا الدولة العباسية وفي ذلك يقول بشار بن برد :

انا ملوك لم نزل — في سالفات الحقب
حتى رددنا الملك في — أصل النبي العربي[١٣٨]

---

(١٣٣) المصدر السابق ص ٦٦ .
(١٣٤) تدريها : تختالها لتصطادها من غير ان تشعر ، انظر ديوان ابي نواس الحاشية ص ٣٧ . تحقيق الغزالي .
(١٣٥) ديوان ابي نواس ص ٣٧ .
(١٣٦) المصدر السابق ص ١٢٦–١٢٧ .
(١٣٧) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٥ .
(١٣٨) ديوان بشار ج١ ص ٢٣٧ تحقيق طاهر بن عاشور .

كما افتخر الشعراء بالبرامكة وقالوا في مدحهم الشيء الكثير وما قاله الرقاشي في رثائهم :

ان يغدر الزمن الخؤون بنا ... فقد غدر الزمان بجعفر ومحمد
حتى اذا وضح النهار تكشفت ... عن قتل اكرم هالك لم يلحد
يا آل برمك كم لكم من نائل وندى ... كعدد الرمل غير معرد[١٣٩]

وبذلت الشعوبية جهودا متصلة في سبيل اعادة السلطان الفارسي فقامت باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة واشتركت في حركات المختار وابن الاشعث والخوارج التي استهدفت القضاء على سلطان الامويين ، وساهمت في الدعوى العباسية واشتركت في قيامها وعملت بعد ذلك على محاربتها عن طريق اثارة الفتن بين العلويين والعباسيين وعن طريق الاشتراك مع الخوارج كما قامت في ثورات مباشرة ضد الدولة العباسية[١٤٠] . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل عمدت الشعوبية الى استعمال التنجيم واستغلاله لاصدار الاحكام التي تؤكد زوال السلطان العربي وعودة الملك الى الفرس فقالت (.. ان القرن الثامن عشر من مولد محمد (ص) يوافق الالف العاشر وهو المشتري .. وانه سيخرج انسان يعيد دولة المجوس ويستولي على الارض كلها ويزيل ملك العرب)[١٤١] ولكي تضفي الشعوبية على هذا النوع من التنجيم قوة دينية ادعت (ان زرادشت قال لكشتاسف ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس)[١٤٢] وذهبت الشعوبية لتأكيد تنجيمها وتصويره تصويرا مقبولا ان عينت زمنا معينا لزوال السلطان العربي - بزعمها - فقررت (وزعم

---

(١٣٩) الطبري ج٢ ص ٦٨٦ . طبعة ليدن .
(١٤٠) انظر الطبري الجزء العاشر ص ٨٠-١٢٠ والدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٠٤-٣١٢ والجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢١٦ . وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٣٣ .
(١٤١) البيروني : الاثار الباقية ص ٢١٣ .
(٤٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٢ .

زرادشت ان الملك يعود الى العجم تمام الالف وخمسمائة سنة من وقت ظهور زرادشت)[١٤٣] .

وقد أسفرت جهود الشعوبية هذه عن قيام نواة للسلطان الفارسي وذلك بقيام « الامارة الطاهرية » التي كان قيامها بداية انهيار الدولة العربية وبداية اتساع النفوذ الفارسي وخطوة عملية في سبيل الوصول الى هدف الشعوبية الكبير وهو ازالة السلطان العربي وعودة السلطان الى الفرس .

كما حققت الشعوبية هدفها في تشويه الحضارة العربية والطعن فيها والاشادة بحضارة الفرس واحياء معالمها لاسيما وان عملية التدوين كانت في ابان نشاط الحركة الشعوبية وفي ذلك يقول الدوري (فان الشعوبية وجهوا جهودهم الى تشويه آثار العرب وتاريخهم في عصر التدوين ، ونسبوا الى دول فارس القديمة خاصة ما لا يقره التاريخ من مدنية وآثار ، ولم يقتصروا على التاريخ بل تناولوا الادب .. ولقد كنا نظن ان الشعوبية قصروا الهجوم على العصر الجاهلي مستغلين الناحية الدينية ليظهروا عرب الجاهلية بمظهر البداوة الساذجة ... ولكن ظهر لنا انهم لم يحفلوا بما للاسلام من حرمة ولم تسلم منهم فترة ولم ينج أحد)[١٤٤] .

---

(١٤٣) المصدر السابق ص ١٧٢-١٧٣ .

(١٤٤) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ١٢ الطبعة الاولى .

الفصل الرابع

موقف العرب من الشعوبية

اولا : موقف الدولة العربية من الشعوبية :

كانت مواقف الدولة العربية من الشعوبية تسير في خطين متوازين ومتكاملين ، مواقف تعمل على تثبيت الكيان العربي وازدهار الحضارة العربية وتركيز مبادىء الاسلام ، واجراءات لمقاومة الشعوبية ورد هجومها ، وكانت اجراءات الدولة هذه تتناسب وادراك الخلفاء وتنسجم مع قوة الحركة الشعوبية وطبيعة مواقفها لذلك نجد تلك الاجراءات تشتد حينا وتخف حينا آخر وتتجه تارة الى الزندقة بقوة وتارة الى الشعوبية العنصرية ، فتحاربها بعنف وتتجه تارة الى الزندقة والغلو والشعوبية العنصرية بقوة واحدة .

لقد عمل الخلفاء الراشدون على تثبيت المبادىء الاسلامية وتعبئة القوى لحمل الرسالة ونشرها وتحرير البلاد العربية من نير الاستعمار ، فحينما (ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة وقال قوم منهم نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة اجابهم أبو بكر (رض) - لو منعوني عقالا لقاتلتهم)[1] وجهز أبو بكر الجيوش وقضى على المرتدين فوحد بذلك العرب وجعلهم قوة تمكنت من حمل الرسالة لهداية البشرية .

وقد أدرك عمر بن الخطاب «رض» العلاقة بين العروبة والاسلام فقرر ان العرب مادة الاسلام ، وعمل على عزل العرب المسلمين عن الاقوام الاخرى خشية عليهم من تأثير الديانات والآراء المناهضة للاسلام فكان يوصي دوما (لا تجلبوا علينا من العلوج احدا)[2] وكان عمر «رض» يوصي بالعرب خيرا فيقول (ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها)[3] .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٠٣ .
(٢) طبقات بن سعد ج٣ ص ٢٥٣ .
(٣) الطبري ج١ ص ٢٧٤١ « طبعة ليدن » .

واهتم عمر «رض» باللغة العربية وكان يؤكد على ضرورة تعلمها ويردد قول الرسول «ص» ـ رحم الله امرأة اصلح من لسانه ـ[4] وكان عمر يغضب على من يلحن في كلامه ، فقد مر على (قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا : انا قوم متعلمين فاعرض مغضبا وقال والله لخطاكم في لسانكم اشد علي من خطاكم في رميكم)[5] .

ولما وقف الامام علي «رض» على غلو عبدالله بن سبأ وجماعته احرق اصحابه بالنار ونفى ابن سبأ الى ساباط المدائن[6] ، وقد وقف الامام علي عليه السلام موقفا صارما من أعداء الاسلام وفند أقوالهم وحججهم وقد خلف كتاب نهج البلاغة الذي ينسب الى الامام علي أقوالا وحكما بليغة في تركيز مبادىء الاسلام والرد على أعدائه فكانت أقواله (قبس من نور الكلام الالهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي)[7] .

ولما اعلن المختار حركته واشترك فيها الموالي في جموع كثيرة ، ادرك العرب خطر هذه الحركة فذهب عدد من رجالات الكوفة الى مصعب بن الزبير يشكون اليه خطر هذه الحركة التي انضم اليها الموالي بدافع من الحقد والكراهية للعرب فقالوا (قتل خيارنا وهدم دورنا وفرق جماعتنا وحمل أبناء الاعاجم على رقابنا واباحهم أموالنا)[8] ، فاستجاب مصعب الى ندائهم وجهز جيشا قاده بنفسه وتوجه الى الكوفة وقاتل المختار حتى قتله واخمد حركته وفوت على الموالي تحقيق امالهم في الانتقام من العرب .

ولما ولي عبدالملك بن مروان واجهت الدولة العربية حركات عنيفة كادت ان تعصف بها كان اشدها بعد حركة المختار حركة عبدالرحمن بن الاشعث

---

(٤) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١ ص ٦٧ « مطبوعات دار المامون » .
(٥) المصدر السابق ج١ ص ٦٧ .
(٦) انظر النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٢ « ط النجف » والبغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٤٣ . والكشي معرفة اخبار الرجال ج١ ص ٧٠ « طبعة بمباي » .
(٧) الالوسي : بلوغ الارب ج٣ ص ١٧٤ . ط١ .
(٨) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٠٤ .

التي انضم اليها الموالي باعداد ضخمة ، فقد اعلن تمرده على الخلافة في سجستان واتفق مع رتبيل - أحد المتمردين على الدولة - وتكاتب معه وسار الى العراق واستخلف على سجستان رجلا من قبله[٩] ، فجهز عبدالملك الجيوش وامدها بالعدة الكافية حتى انتصرت على هذه الحركة واخمدتها .

وكانت الدواوين حتى أيام عبدالملك تكتب في العراق وخراسان بالفارسية وفي الشام بالرومية وفي مصر باليونانية والقبطية ، فقرر عبدالملك نقل الدواوين الى العربية وجعل العربية لغة الدولة الرسمية في جميع المعاملات . فطلب من سليمان بن سعد الخشني نقل ديوان الشام الى العربية فأراد سليمان مقابل ذلك (ان يعينه عبدالملك بخراج الاردن سنة ففعل وولاه الاردن وكان خراجه مائة وثمانين ألف دينار)[١٠] ، وتولى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق أيام عبدالملك الاشراف على نقل الديوان من الفارسية الى العربية (وقلد ذلك صالح بن عبدالرحمن مولى تميم)[١١] ، وتم نقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية في خلافة الوليد بن عبدالملك الذي عهد الى ابن يربوع الفزاري الحمصي بذلك فقام بالنقل وانجزه على الوجه الصحيح[١٢] .

واشتد خطر الغلاة والزنادقة في خلافة هشام بن عبدالملك فبذل جهودا كبيرة في مقاومتهم فحينما وقف هشام على مقالة الجعد بن درهم بالقدر وادعاء الربوبية القى القبض عليه واطال حبسه ثم طلب من خالد بن عبدالله القسري ان يقتله فقتله خالد في عيد الاضحى[١٣] ، وأخذ هشام بن عبدالملك غيلان

---

(٩) تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني ص ٢٧٨ « طبعة بيروت » .

(١٠) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٢٢٣ . مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٧هـ .

(١١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٩٨ والماوردي الاحكام السلطانية ص ٢٢٣ .

(١٢) انظر الجهشياري : ص ٤٠ . تحقيق مصطفى السقا والبلاذري : ص ٢٩٨ .

(١٣) الذهبي : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج٣ ص ٣٠٦ القاهرة ١٣٦٨هـ .

الدمشقي لقوله بالقدر وقتله شر قتلة قطع اربعته وصلبه بدمشق[١٤] ، وقد ادرك هشام ما تنطوي عليه دعوة أبي منصور العجلي من خطر على الدين والدولة فطلب من يوسف بن عمر والي العراق ان يتولى القضاء على فتنة المنصورية . فجهز يوسف جيشا والقى القبض على أبي منصور فصلبه واخمد فتنته[١٥] . وطلب هشام من خالد بن عبدالله القسري ان يقتفي اثر هؤلاء الغلاة ويقضي عليهم فلما علم خالد ان (المغيرة بن سعيد كان سبئيا)[١٦] ولما وقف على غلوبيان بن سمعان القى القبض عليه وعلى رهط من أنصاره فأمر خالد (باطنان قصب ونفط فاحضرا ثم امر المغيرة ثم صب عليه نفط ثم الهبت فيهما النار ، ثم امر الرهط ففعلوا ثم امر بيانا)[١٧] ، ولما وقف يزيد ابن عمر بن هبيرة — والي العراق أيام هشام — على آراء عمير بن بنان العجلي الغالية الذي نصب وجماعته (خيمة) بكناسة الكوفة على عبادة الصادق)[١٨] عزم يزيد على ملاحقة عمير هذا وملاحقة أنصاره فالقى القبض عليه وأخذه وصلبه في كناسة الكوفة وقضى على أنصاره واخمد نشاطهم[١٩] .

وحينما انشد اسماعيل بن يسار القصيدة التي افتخر بها بالفرس وتعرض بالعرب كما تقدم ، غضب هشام وقال لاسماعيل (اعلي تفخر واياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك واعلاج قومك والقاه في بركة ماء كاد ان يموت بها غرقا)[٢٠] .

وقد وقف الخلفاء العباسيون موقفا حازما من الزنادقة والغلاة والمتآمرين على الدولة ،فلما علم السفاح ما دبره أبو سلمة الخلال من اجراءات

---

(١٤) الذهبي : تاريخ الاسلام ج٤ ص ٢٩٠ .
(١٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٤—١٥ .
(١٦) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ .
(١٧) الطبري ج٥ ص ٤٥٦ « مطبعة الاستقامة » .
(١٨) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٥—١٦ .
(١٩) المصدر السابق ج٢ ١٥—١٦ .
(٢٠) الاصفهاني : الاغاني ج٤ ص ١٢٤ .

لتحويل الخلافة الى العلويين بغية ايقاع الفتنة بين الاحزاب العربية عمل على التخلص منه بقتله[٢١] .

ولما عمد أبو مسلم الخراساني على مخالفة أوامر أبي جعفر المنصور وتوجه الى خراسان دبر المنصور امر القبض عليه وحاكمه وقتله[٢٢] . وعلى اثر مقتل أبي مسلم قامت الراوندية تطالب بدمه ، واعلن سنباذ مطالبته بدم أبي مسلم أيضا واتسعت حركتهم فوجه المنصور قوة اخمد فيها حركة الراوندية كما ارسل جيشا بقيادة جمهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فهزم سنباذ وقتل أصحابه ثم قتله[٢٣] .

وقد تفرعت من الراوندية فرق غلت في أبي مسلم كالرزامية التي ضمت الى صفوفها أعدادا كبيرة وارادت الانقضاض على الدولة فانتبه المنصور الى خطرهم فجهز جيشا بقيادة خازم بن خزيمة وطلب منه القضاء عليهم فتولى خازم امر قتالهم ومتابعتهم حتى اخمد فتنتهم[٢٤] .

وتحرك استاذ سيس انتقاما لابي مسلم الخراساني وسخطا على السلطان العربي واستطاع ان يؤلف (أهل هراة وباذ عيس وسجستان وغيرها من كور خراسان)[٢٥] حتى بلغ جيشه زهاء ثلثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان[٢٦] فأدرك المنصور خطر هذه الحركة وقرر القضاء عليها فوجه خازم بن خزيمة لمحاربة استاذ سيس فبذل خازم جهودا كبيرة حتى قضى على هذه الحركة[٢٧] .

---

(٢١) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢٢٢ « المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ » .
(٢٢) الطبري ج٩ ص ١٦٦ « الطبعة الحسينية » .
(٢٣) المصدر السابق ج٩ ص ١٦٩ .
(٢٤) المصدر السابق ج٩ ص ١٧٥ .
(٢٥) المصدر السابق ج٩ ص ٢٧٦ .
(٢٦) المصدر السابق ج٩ ص ٢٧٦ .
(٢٧) الطبري ج٩ ص ٢٧٦ « الطبعة الحسينية » .

ونقض اصبهبذ طبرستان العهد مع المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فغضب المنصور وجهز جيشا بقيادة خازم بن خزيمة وروح بن حاتم فحاصروا طبرستان ودخلوا المدينة فقتلوا من فيها من المقاتلة[٢٨] .

وتابع المنصور الزنادقة والغلاة فلما وقف على مقالة البقلي الذي كان يقول (الانسان كالبقلة فاذا مات لم يرجع فقتله المنصور)[٢٩] .

ولما وقف المنصور على آراء أبي الخطاب صاحب الخطابية (بعث اليه عيسى بن موسى في جيش كثيف فقتل أبا الخطاب في كناسة الكوفة)[٣٠] .

ولما وقف محمد بن سليمان والي المنصور على الكوفة على زندقة عبدالكريم بن أبي العوجاء القي القبض عليه وقتله[٣١] .

وأدرك المنصور خطر عبدالله بن المقفع على الدين الاسلامي فأمر سفيان ابن معاوية بن يزيد المهلب بقتله فقتله هذا شر قتلة[٣٢] .

ولما تولى المهدي الخلافة (ألح في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل منهم خلقا كثيرا)[٣٣] ، ومن الذين قتلهم المهدي بسبب زندقتهم بشار بن برد وفي ذلك يقول ابن القارح (وقتل المهدي بشارا على الزندقة ، ولما شهر بها وخاف دافع عن نفسه بقوله :

يا ابن نهيا رأسي علي ثقيل   واحتمال الرأسين عبء ثقيل

فادع غيري الى عبادة ربيـ   ـن فاني بواحد مشغول[٣٤]

وعلى الرغم من شدة المهدي مع الزنادقة فانه كان يطلب منهم التوبة فمن تاب عفا عنه ، حتى ان صالح بن عبدالقدوس على ما عرف عن زندقته استتابه المهدي فتاب فعفا عنه ولما خرج صالح انشد :

---

(٢٨) المصدر السابق ج٩ ص ١٧٨ .

(٢٩) الاغاني ج١١ ص ٧١ .

(٣٠) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٥٥ .

(٣١) الطبري ج٩ ص ٢٢٨٦–٢٨٧ .

(٣٢) المصدر السابق ج٩ ص ٢٨٧ .

(٣٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٣٢ . « طبعة النجف » .

(٣٤) رسالة ابن القارح : ص ٣٠ . تحقيق بنت الشاطي مع رسالة الغفران ط٢ القاهرة ١٩٦٣م .

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه[٣٥]

فلما علم المهدي بذلك امر بقتله[٣٦] .

ولما وقف الخليفة المهدي على زندقة صالح بن أبي عبدالله كاتبه احضره (فلما صح عنده امره استتابه فلم يتب وقال صالح : لا رغبة عما انا عليه ولا حاجة في غيره)[٣٧] فامر المهدي بقتله فضرب عنقه[٣٨] .

واعلنت المحمرة بقيادة (رجل يقال له عبدالقهار عصيانها وغلبت على جرجان وقتلت بشرا كثيرا)[٣٩] فجهز المهدي جيشا بقيادة عمر بن العلاء فقتل عبدالقهار وأصحابه وقضى على حركتهم[٤٠] .

ولما اعلن المقنع غلوه وتمرده واتسعت حركته ارسل اليه المهدي جيشا بقيادة سعيد الحرشي فشدد سعيد الحصار على المقنع فلما أحس هذا بالهلكة شرب سما وسقى نساءه واهله فمات وماتوا وبذلك انتهى خطر هذه الحركة[٤١] .

ولقد أدرك المهدي أهمية الفكر والمناقشة في الرد على الزنادقة وابطال حججهم فقرب العلماء وطلب منهم (تصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين)[٤٢] وطلب المهدي من الجدليين وأصحاب الرأي مناقشة الزنادقة وتفنيد أقوالهم (فأقاموا البراهين على المعاندين وازالوا شبه الملحدين وأوضحوا الحق للشاكين[٤٣] .

(٣٥) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٢٢ طبعة النجف .
(٣٦) المصدر السابق ج٢ ص ١٢٢ .
(٣٧) المصدر السابق ج٢ ص ١٢٢ .
(٣٨) المصدر السابق ج٢ ص ١٢٢ .
(٣٩) الطبري ج٩ ص ٢٤٢ الطبعة الحسينية .
(٤٠) المصدر السابق ج٩ ص ٢٤٢ .
(٤١) انظر : فرق الشيعة ص ٦٨ والتبصير في الدين ص ١١٤ والفرق بين الفرق ص ١٥٥ .
(٤٢) المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ص ١٥ تحقيق مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٤م .
(٤٣) انظر المصدر السابق جـ١ ص ١٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٢٢-١٢٤ طبعة النجف .

ولما ولي الهادي الخلافة أخذ بوصية ابيه المهدي (فتجرد لهذه العصابة يعني أصحاب ماني)[٤٤] ، وتتبع نشاطهم واشتد في طلب الزنادقة فقتل منهم جماعة كان من بينهم يزدان بن باذان كاتب يقطين وعلي بن يقطين[٤٥] .

وعلى الرغم من انشغال الرشيد بالحروب مع العلويين والخوارج والروم تتبع البرامكة وقاوم حركات الشعوبيين المعادية للعروبة والاسلام ، فحينما خرجت المحمرة في عام ١٨٠هـ بتحريض من عمرو بن محمد العمركي[٤٦] . طلب الرشيد من عيسى بن ماهان اخماد هذه الحركة فاعد عيسى القوة وتوجه للقضاء عليها وقتل عمرو العمركي وتخلص من مؤامراته[٤٧] .

ولما تمردت الخرمية بناحية اذربايجان سنة ١٩٣هـ وجه الرشيد « عبدالله بن مالك في عشرة آلاف فارس فأخمد هذه الفتنة »[٤٨] ، ويذهب الدينوري الى ان الامين هو الذي وجه عبدالله بن مالك الى الخرمية فقتل منهم مقتلة عظيمة[٤٩] وسواء أكان الرشيد هو الذي أمر بالقضاء على هذه الفتنة أو الامين فان موقف السلطة من هذه الحركة كان موقفا عنيفا يتناسب مع خطورتها .

ولما وقف الرشيد على غضب رافع بن نصر بن سيار على علي بن عيسى ابن ماهان ـ والي الرشيد على خراسان الذي (أساء السيرة وتحامل على من كان بها من العرب)[٥٠] التزم الرشيد جانب رافع وأيد موقفه وعزل علي بن عيسى بن ماهان وجعل على خراسان هرثمة بن اعين واليا[٥١] .

(٤٤) الطبري ج١٠ ص ٤٢ الطبعة الحسينية .
(٤٥) المصدر السابق ج١٠ ص ٢٣ .
(٤٦) المصدر السابق ج١٠ ص ٦٨-٦٩ .
(٤٧) المصدر السابق ج١٠ ص ٦٨-٦٩ .
(٤٨) المصدر السابق ج١٠ ص ١١٩ .
(٤٩) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٩١-٢٩٢ .
(٥٠) المصدر السابق ص ٢٩١ .
(٥١) المصدر السابق ص ٢٩١ .

ولما وقف الرشيد على تآمر البرامكة وسعيهم لضرب الدولة ولا سيما جعفر منهم أمر بقتله وحبس البرامكة وتخلص من مؤامرة خطرة كانوا يحيكونها(٥٢) .

وعلى الرغم من المشاكل التي واجهت الامين وقوة الحزب الفارسي المناوىء له نرى هذا الخليفة يرسل جيشا بقيادة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان لاخماد حركة السفياني - علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية - الذي وضع اراء غالية تناقض الاسلام وتهدد الدولة فقضى عليه(٥٣) .

وقد عمل المأمون للخلاص من الفضل بن سهل بعد ان تأكد من تآمره على الدولة فأرسل اليه أربعة من حشمه فدخلوا على الفضل (وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات)(٥٤) .

وحينما اعلن بابك الخرمي تمرده عام ٢٠١هـ وانضمت اليه الجاويذيانه(٥٥) واعلنت آراء غالية مناهضة للاسلام جهز المأمون جيشا لقاتلتهم فلم يظفر بهم واستمرت هذه الحركة حتى قضى عليها المعتصم .

وقد تجمعت المعلومات تؤكد للمأمون خطر طاهر بن الحسين على الدولة وتكشف له عن أشياعه فارسل اليه أحمد بن أبي خالد فقتله سنة ٢٠٧هـ(٥٦) .

وكان المأمون شديدا على الزنادقة تتبع شأنهم وكان يحاكمهم بنفسه فقد بلغه (خبر عشرة من الزنادقة .. فأمر بحملهم اليه .. فلما وصلوا بغداد ادخلوا على المأمون وجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه

---

(٥٢) انظر الطبري ج٣ ص ٦٧٧-٦٨١ طبعة ليدن .
(٥٣) المصدر السابق ج١٠ ص ١٥٥ الطبعة الحسينية .
(٥٤) المصدر السابق ج١٠ ص ٢٥٠ الطبعة الحسينية .
(٥٥) الجاوذيانه : اصحاب جاويذيان بن سهل وهو احد الغلاة . انظر الطبري ج١٠ ص ٢٤٤ الطبعة الحسينية .
(٥٦) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٥٧ طبعة بيروت ١٩٦٠م .

فيخبره بالاسلام فيمتحنه فيدعوه الى البراءة من ماني .. فيأبون فيرهم على السيف)[٥٧] .

ولقد أدرك المأمون أهمية الفكر في الرد على الزندقة فكان قد الم بصنوف المعرفة ووقف على الفلسفة فكان عالما بالدين وصنوف المعرفة ولهذا كان ينافس الزنادقة بنفسه ومن مناقشاته التي تدل على قوة حجته وسعة معرفته قوله لزنديق (اسألك عن حرفين فقط ، خبرني هل ندم مسيء قط على اساءته أو نكون نحن لم نندم على شيء كان منا قط ، قال : بل ندم كثير من المسيئين على اساءتهم ، قال : فخبرني عن الندم على الاساءة اساءة أو احسان ؟ قال : احسان ، قال : فالذي ندم هو الذي اساء أو غيره ؟ قال : الذي ندم هو الذي اساء ، قال : نأرى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم)[٥٨] .

وقد وجد المأمون في المعتزلة قوة للرد على الزندقة فقرب المبرزين منهم كأبي الهذيل العلاف وابراهيم بن سيار النظام وبشير المريسي وغيرهم ، كما قرب الادباء وأهل المعرفة وبعث بطلبهم من الامصار[٥٩] ، وطلب منهم ان يضعوا الكتب دفاعا عن الاسلام ودحضا لافتراءات المبطلين[٦٠] .

ولما ولي المعتصم الخلافة عضد حركة الاعتزال ايمانا منه بان رجالها يستطيعون رد حجج الزنادقة . كما وجه اهتماما خاصة الى حركة بابك الخرمي التي اشتد خطرها لما اثارته من فتن وسفك دماء وما انطوت عليه من آراء غالية أباحت فيها المحرمات كلها[٦١] فعقد المعتصم العزم وشمر عن

(٥٧) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٣٢٢ تحقيق محي الدين عبدالحميد القاهرة ١٩٣٨م .
(٥٨) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٤٢-٤٤٣ تحقيق عبدالسلام هارون .
(٥٩) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٣٢١ تحقيق محي الدين عبدالحميد .
(٦٠) المصدر السابق ج٢ ص ٣٢١-٣٢٢ .
(٦١) الاسفرايني : التبصير في الدين ص ١١٩ .

ساعد الجد للقضاء عليها فجهز جيشا جرارا بقيادة الافشين وامده بالقوة الكافية فاستطاع هذا الجيش الانتصار على حركة بابك والقى القبض على بابك وسيق الى سر من رأى حيث صلب فيها[٦٢] .

وقد تمردت المازيارية في أيام المعتصم ـ وهم من الخرمية التي ظهرت في دولة الاسلام ـ[٦٣] بقيادة المازيار فجهز المعتصم جيشا القى القبض على المازيار وأخمد حركته وسيق المازيار الى سر من رأى وصلب في المكان الذي صلب فيه بابك[٦٤] .

وتجمعت المعلومات التي تكشف عن تآمر الافشين على الدولة العباسية ، وانه كان يجمع العتاد والاموال بغية القضاء على الدولة ، كما كان الافشين على اتصال بالمازيار عن طريق أخيه وكانت بينهما مراسلات تعبر عن آراء خطرة وخطط معادية للعرب والاسلام[٦٥] ، فجد المعتصم في طلب الافشين وتمكن من القاء القبض عليه وجيء به الى سر من رأى حيث حوكم وزج به في السجن فبقي فيه حتى مات[٦٦] .

كانت هذه مواقف الدولة من الشعوبية وهي مواقف تعبر عن حرص الخلفاء على الدين وايمانهم بضرورة العمل من أجل حمايته كما تدل على اهتمام الدولة العربية للحفاظ على الكيان العربي والعمل من اجل ازدهار الحضارة العربية والوقوف بوجه الحركات المعادية للامة العربية .

(٦٢) انظر المصدر السابق ص ١١٩ وجرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج٢ ص ١٤٦ .
(٦٣) النبصيرفي الدين ص ١١٩ .
(٦٤) المصدر السابق ص ١١٩ .
(٦٥) انظر رسالة اخي الافشين الى اخي المازيار في الطبري ج١٠ ص ٣٦٦ـ ٣٦٧ « الطبعة الحسينية » .
(٦٦) الطبري ج١٠ ص ٣٦٧ « الطبعة الحسينية » .

ثانيا : موقف الشعب من الشعوبية :

١ ـ موقف الكتاب من الشعوبية الدينية :

كانت المعركة بين العروبة والشعوبية واسعة اشترك فيها من الجانب العربي الخلفاء كما اشترك الكتاب والشعراء الذين عبروا عن رأي الشعب وموقفه من الشعوبية ، فوضع الكتاب المؤلفات ونظم الشعراء القصائد وخلد الشعب آثارهم ، ومزق وأحرق كتب الشعوبية حتى انه لم يبق منها الا النزر القليل[٦٧] ، وعليه فاننا سنعرض مواقف الشعب العربي من الشعوبية من خلال انتاج مثقفيه وآثارهم التي كانت ردا مباشرا وغير مباشر على الشعوبية .

ـ لقد وقف الكاتب العربي وقفة قوية في وجه الشعوبية الدينية وكان للفقهاء أثر بعيد في تثبيت مبادىء الاسلام والرد على خصومه من غلاة وزنادقة .

وكان للامام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) مواقف جريئة في الرد على أعداء الاسلام ، فحينا وقف على غلو ابي الخطاب تبرأ منه[٦٨] . وعندما اظهر المغيرة بن سعيد بدعته وجد نفسه في حاجة الى شخصية من آل البيت يحمي بها نفسه فجاء الى محمد الباقر (ع) فقال (اقرر انك تعلم الغيب اجبي لك العراق فنهره وطرده)[٦٩] ولم ييأس المغيرة فجاء الى الامام جعفر الصادق فقال له مثل ذلك فاجابه الصادق ـ أعوذ بالله وطرده ـ[٧٠] . ولما انتشرت مقالة الغلاة في البداء رد عليهم الامام الصادق ردا قويا فقال (ان الله لم يبد له من جهل)[٧١] وأضاف محذرا من خطر هذه الفكرة فقال (ان من زعم ان الله بدا في شيء لم يعلمه أمس فابرأ منه)[٧٢]

(٦٧) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص ٧٢ .
(٦٨) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٥ـ١٦ .
(٦٩) الكشي : معرفة اخبار الرجال ج٢ ص ١٤٦ـ١٤٧ .
(٧٠) المصدر السابق ج٢ ص ١٤٦ـ١٤٧ .
(٧١) الكليني : اصول الكافي ج٢ ص ٢١١ .
(٧٢) الكليني : اصول الكافي ج٢ ص ٢١١ـ٢١٢ .

واضاف الصادق (ع) مهددا ومنذرا القائلين بهذه الفكرة (من زعم ان الله تعالى بدا له عن شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر)[73] . وقد ادرك الامام الصادق ان الغلاة يعتمدون في القول بالبداء على تاويل الآية الكريمة - يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب - فرد عليهم قائلا (وهل يمحو الا ما كان مثبتا وهل يثبت الا ما لم يكن)[74] ، ويتضح من تفسير الصادق لهذه الآية ان الله - سبحانه وتعالى - يعلم مسبقا ما يريد اثباته وما يريد محوه وان هذا يكون على أساس النسخ الذي يقتضيه التدرج في التشريع لوضع الاحكام المناسبة وهناك فرق كبير بين النسخ على ما جاء في القرآن وبين البداء الذي قالت به الفرق الغالية (فليس القول بالنسخ في الامر والنهي من القول بالبداء في الاخبار من شيء)[75] .

وكان الامام الصادق (ع) على جانب كبير من العلم والمعرفة وقوة الحجة فكان مشاهير الزنادقة يخشون اللقاء معه . فقد حذر ابن المقفع عبدالكريم ابن ابي العوجاء من لقاء الصادق بقوله (لا تفعل فاني أخاف ان يفسد عليك ما في يدك)[76] .

وعلى الرغم من مشاغل الصادق الكثيرة في التثقيف والمناقشة والرد على خصوم الاسلام فقد املى كتابه « توحيد المفضل » الذي رد فيه على المانوية وناقش آراءها وفند حججها باسلوب متين وحجة دامغة ، ومن حججه في هذا الصدد قوله في الرد على المانوية (أفلا ترى كيف جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل في كل منهما ضربا من المصلحة ، فما عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الاشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجمع على ما فيه الصلاح والمنفعة)[77] .

(٧٣) المصدر السابق ج٢ ص ٢١١-٢١٢ .
(٧٤) المصدر السابق ج٢ ص ٢١٤ .
(٧٥) الخياط : الانتصار ص ٩٣ .
(٧٦) الكليني : اصول الكافي ج١ ق١ ص ١٠-١٦ .
(٧٧) الصادق : توحيد المفضل ص ٢٥ .

وقد وقف الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ع) موقفا قويا من خصوم الاسلام والف رسائل عدة في الفقه واملى كتابه الفقه الاكبر ورد من خلال ذلك على الجهمية والدهرية[78] .

والف الامام مالك بن انس كتاب الموطأ الذي وضد فيه أحكام العبادات والمعاملات . وتعرض للخلافات الخارجة عن ذلك ووضح من خلال بحوثه هذه مبادىء الاسلام وفند آراء معارضيه[79] .

وكذلك بذل الامام الشافعي جهودا كبيرة في توضيح مختلف القضايا المتعلقة بالعقيدة الاسلامية والف في ذلك عدة كتب اشهرها « كتاب الام » الذي بين فيه ما يتعلق بالاسلام ورد على مناقضيه ، وكان الشافعي بحق مؤسس علم أصول الفقه فهو الذي رسم المناهج والاسس لاستخراج الاحكام[80] .

وقد جمع الامام أحمد بن حنبل في مسنده أحاديث كثيرة للرسول (ص) وعالج من خلال دراسته للحديث مسائل اسلامية مهمة ورد على الغلاة والزنادقة . كما ألف كتابه المشهور « الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من القرآن » الذي فند فيه أقوال الزنادقة والغلاة وثبت مبادىء الاسلام .

والى جانب هؤلاء الفقهاء هناك عدد كبير من الفقهاء عاشوا قبل هؤلاء وفي زمانهم وبعدهم وكانت لهم جهود كبيرة في الرد على خصوم الاسلام وتوضيح اسس الشريعة الاسلامية[81] .

---

(٧٨) بروكلمان : تاريخ الادب العربي الترجمة ج٢ ص ٢٧٢ .
(٧٩) المصدر السابق ج٢ ص ٢٧٥ .
فيه أسماء الفرق الغالية وذكر اراءها المناهضة للاسلام ونبه على خطورتها .
(٨٠) المصدر السابق ج٢ ص ٢٧٥ .
(٨١) انظر اسماء الفقهاء في تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢٨٢ وص ٣٠٨ وص ٣٦٢ وص ٣٩٠ وص ٤٠٢ وص ٤٢٢ وص ٤٤٣ ـ طبعة بيروت .

وبذل أهل الحديث جهودا كبيرة ومتصلة في سبيل جمع الاحاديث واثبات صحتها ، ولاسيما تلك الاحاديث التي وضعت لمناهضة الاسلام بتحليل الحرام وتحريم الحلال والتي وضعها الغلاة والزنادقة في سبيل دعم آرائهم .

وعلى الرغم من ان الرسول «ص» قد اوصى بعدم كتابة الحديث فقد اثر عنه انه قال (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[٨٢] فان المصادر تشير الى ان عمر قد كتب عددا من أحاديث الرسول[٨٣] ، كما جمعت عائشة زوجة الرسول جملة من أحاديثه ، وجمع عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وجابر وانس بن مالك وابو هريرة كثيرا من أحاديث الرسول . وقد تلى هؤلاء عدد آخر من المحدثين جمعوا جملة كبيرة من الاحاديث فجمع الامام مالك في الموطأ جانبا منها وكذلك جمع عبدالملك بن جريج جانبا آخر والاوزاعي وسفيان الثوري وحماد بن سلمة بن دينار جمعوا أحاديث أخرى[٨٤] وتلاهم فريق من المحدثين اشهرهم أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي والدارقطني[٨٥] الذين جمعوا الاحاديث بعد دراسة دقيقة لمتونها ورواتها حتى أصبحت هناك امكانية لمعرفة الاحاديث الصحيحة من الاحاديث الموضوعة ، فتمكن هؤلاء المحدثون من (تمييز الموضوع منها من الصحيح وصنفوا الاحاديث الى صحيح وحسن ومقبول وضعيف وموضوع ، وصنفوها الى درجات من حيث سلاسل الرواية)[٨٦] وقد أدت هذه الدراسة المحكمة للحديث الى (ظهور علم خاص في نقد الرواة وتمحيصهم يعتبر من أروع منتجات الفكر الاسلامي وقد أدى الى تحديد عدد الاحاديث الموثوق بصحة نسبتها للرسول)[٨٧]

(٨٢) احمد امين : فجر الاسلام ص ٢٠٨-٢٠٩ « الطبعة السابعة » .
(٨٣) ابن حزم : الملل والاهواء والنحل ج٤ ص ١٣٨ .
(٨٤) فجر الاسلام ص ٢١٨-٢٢٠ .
(٨٥) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ج٣ ص ٥٧-٧٧ مراجعة حسين مؤنس .
(٨٦) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ١١ الطبعة الاولى .
(٨٧) صالح احمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ١٤ الطبعة الاولى .

وقد اثـرت هذه الجهود فنجد الخليفة هارون الرشـد يرد على أحد الزنادقة الذي ادعى (فاين أنت عن ألف حديث وضعتها عن رسـول الله «ص» ما فيها حرف نطق به رسـول الله «ص» فكان جواب الرشـيد لهذا الزنديق : فاين انت يا عدو الله من أبي اسحق الفزاري وعبدالله بن المبارك ينخلانها نخلا فيخرجانها حرفا حرفا)[٨٨] .

وقد الف كثير من الكتاب مؤلفات في الرد على الغلاة والزنادقة نخص منهم بالذكر في هذه الفترة جابر بن حيان المتوفى سنة ١٦١ الذي ألف كتاب « الخواص الكبير » رد فيه على المانوية وفند أقوالها في الكمون فقال (فاما الذي يقول فيه أهل الابداع منهم القائلون بالتوحيد والمبطلون قول المنانية وغيرهم ممن قال بقولهم في كمون بعض الاشـياء في بعض)[٨٩] .

والف الحسـن النوبختي المتوفى سنة ٢٠٢هـ كتاب « فرق الشيعة » ثبت فيه أسماء الفرق الغالية وذكر آراءها المناهضة للاسلام ونبه على خطورتها .

وكذلك الف القاسـم بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٤٦هـ (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) رد فيه على المانوية وقولها في الاثنين وفند أقوال ابن المقفع الذي خلف ماني في دعوته ، ومما جاء في رده على المانوية (فزعم ان الاشياء كلها شيئان وقد يوجد خلاف زعمه بالعيان فلا توجد بين ما ذكر من النور والظلمة فرقة الا وجدت الاشـياء كلها بمثله لها مفارقة الا ان الفرقة بين الاشـياء اوجد وفي الاشـياء للنور والظلمة اوكد مكابرة لعقول أطفـال الانام)[٩٠] .

وقد الف الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ كتبا عدة رد فيها على الزندقة ومما جاء في كتاب الحيوان في الرد على كتب الزنادقة قوله (ليس في كتبهم مثل سائر ولا خبر طريف ولا صنعة أدب ولا كلمة غريبة ولا فلسفة ولا

(٨٨) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١ ص ٢١٢-٢١٣ « مطبوعات دار المامون » .

(٨٩) جابر بن حيان : الخواص الكبير ص ٣٠٠-٣٠١ ضمن مختار رسائل جابر بن حيان – تحقيق بول كراوس القاهرة ١٣٥٤هـ .

(٩٠) القاسم بن ابراهيم : كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع ص ٤ .

مسائله كلامية .. وجل ما فيها ذكر النور والظلمه وتناكح الشياطين)[91] ، كما جاء في هذا الكتاب ردا على المانوية (فيقال للمناني ما تقول في رجل قال لرجل يا فلان هل رأيت فلانا فقال المسؤول نعم قد رأيته ، أليس السامع قد أدى الى الناظر والناظر قد أدى الى الذائق والا فلم قال اللسان نعم وقد سمع الصوت صاحب اللسان)[92] . وقد رد الجاحظ في كتابه (حجج النبوة) على عدد من مشاهير الزنادقة من امثال ابن ابي العوجاء واسحق بن طالوت والنعمان بن المنذر واشباههم ذكرهم ليكشف خطرهم للناس فقال فيهم (كانوا يصنعون الاثار ويولدون الاخبار ويبثونها في الامصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على اهله)[93] . كما تناول الجاحظ الزنادقة في كتابه (التربيع والتدوير) فقال (لم كان لجميع أهل الاديان مملكة وملوك الا الزنادقة ، ولم قتلهم جميع الامم السالفة ولم قضيت بهذا)[94] والجاحظ بتساؤله هذا كفر الزنادقة واستثار أصحاب السلطان والشعب لمقاومتهم والقضاء عليهم . ورد الجاحظ في كتابه هذا على الدهرية فقال (وكيف لم نر امة قط دهرية ، وقد علمنا انه لا يجوز ان يتنبأ دهرى ، وكيف لم يتدهر ملك ، وكيف لم نجد قول الدهرية الا في الخاص والشاذ)[95] .

وقد الف أبو سعيد عثمان بن سعيد الدرامي المتوفى سنة ٢٨٠هـ كتابه (الرد على الجهمية) ثبت فيه مبادىء الاسلام وبخاصة مبدأ التوحيد ومبدأ المعاد ، وكفر الجهمية وعلل تفكيرهم بقوله (ونكفرهم أيضا بكفر مشهور وهو تكذيبهم لنص الكتاب ، اخبر الله تبارك وتعالى انه كلم موسى تكليما

(٩١) الجاحظ : كتاب الحيوان ج١ ص ٥٧–٥٨ تحقيق عبدالسلام هارون .

(٩٢) المصدر السابق ج٤ ص ٤٤٢ . تحقيق عبدالسلام هارون .

(٩٣) الجاحظ : حجج النبوة ص ١٤٥ ضمن « رسائل الجاحظ » جمع السندوبي القاهرة ١٩٣٣م .

(٩٤) الجاحظ : التربيع والتدوير ص ٧٧ تحقيق شارل بلات دمشق ١٩٥٥م .

(٩٥) المصدر السابق ص ٧٦–٧٧ .

وقال هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه ولم يسمع موسى نفس كلام الله انما سمع كلاما خرج اليه من مخلوق .. وقال الله تبارك وتعالى انما قولنا لشيء اذا اردنا ان نقول له كن فيكون ، وقال هؤلاء ما قال الله لشيء قط قولا وكلاما كن فكان ولا يقوله أبدا ولم يخرج منه كلام ولا هو يقدر على الكلام)(٩٦) .

وقد الف عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المتوفى بعد سنة ٣٠٠هـ كتابه ـ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ـ رد فيه على الغلو والزندقة فقال في الرد على المانوية (وزعمت ان النور والظلمة مختلفان متضادان في انفسهما واعمالهما وان جهات حركاتهما مختلفة .. فاذا كان على ما وصفتم فكيف امتزجا وتداخلا واجتمعا من تلقاء انفسهما وليس فوقهما قاهر قهرهما)(٩٧) ورد الخياط على الغلاة وقولهم بالبداء فقال (انه ليس في الآية ـ ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ـ ما يوجب البداء وقد تأولها أهل العلم من المسلمين على خلاف ما تأولتها الرافضة)(٩٨) .

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري وطوال القرنين الرابع والخامس الف عدد من الكتاب كتبا عديدة ردوا فيها على الغلاة والزنادقة(٩٩) .

---

(٩٦) الدارمي : كتاب الرد على الجهمية ص٩٤ـ٩٥ .
(٩٧) الخياط : الانتصار ص٣١ .
(٩٨) : المصدر السابق ص٩٢-٩٤ .
(٩٩) فقد الف الاشعري القمي المتوفى سنه ٣٠١هـ كتابه « المقالات والفرق » . والف ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ كتابه « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » . ووضع ابو الحسن محمد بن احمد الملطي المتوفى سنة ٣٧٧هـ كتاب « التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع » والف ابو عبدالملك محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ كتابه « مفاتيح العلوم » والف ابو منصور عبدالقهار بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ كتابه « الفرق بين الفرق » . والف ابو القاسم علي بن طاهر ابن احمد بن حسين بن موسى الحسين المعروف بالمرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ كتابه امالي المرتضى . والف ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ٣٨٤هـ ـ ٤٥٦هـ كتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل والف ابو المظفر الاسفرايني المتوفى سنة ٤١٧هـ كتاب « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية » . كما الف ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ٤٥٠ـ٥٠٥هـ كتابه « فيصل التفرقة بين =

٢ـ موقف المعتزلة من الشعوبية الدينية :

ترتبط حركة الاعتزال تاريخيا وفكريا بموقف واصل بن عطاء من مرتكب الكبيرة واختلافه مع استاذه الحسن البصري في القـــدر وفي المنزلة بين المنزلتين[100] وتقريره (ان الفاسق من امة الاسلام لا مؤمن ولا كافر)[101] ويذهب الاستاذ «براون» في تفسير نشأة المعتزلة وتسميتهم بهذا الاسم الى ما ذهب اليه المسعودي والبغدادي[102] فيقول (ان واصل بن عطاء .. قد اختلف مع استاذه ـ حسن البصري ـ في مسألة المؤمن العاصي الذي ارتكب ذنبا كبيرا هل لا يزال مؤمنا ام لا ؟ ويقول واصل ان مثل هـــذا الشخص لا يمكن ان يسمى مؤمنا أو كافرا بل يجب ان يوضع في منزلة وسط بين المنزلتين)[103] .

وقد تطورت حركة الاعتزال وتركزت في مبادىء خمســة هي (التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)[104] ولا يستحق أحد الاعتزال حتى يجمع القول بهذه الاصول[105]، وهي تشابه مبادىء الاسلام وتؤلف جانبا أساسيا منها .

لقد وقفت المعتزلة عـــلى ما في الكتب الفلســـفية الاغريقية والكتب المسيحية الهلينية فوجدت فيها المسائل الجدلية لمجابهة ابحاث الثنوية والتغلب

= الاسلام والزندقة » . والف ابو الفتح محمد بن ابي القاسم عبدالكريم بن بكر الشهرستاني ٤٦٧ـ٥٤٨هـ كتابه « الملل والنحل » . وكانت جميع هذه الكتب قد تناولت آراء الغلو والزندقة وردت عليها بحجة قوية وعرضت مبادىء الاسلام على حقيقتها بصورة جلية .

(١٠٠) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥ .

(١٠١)المصدر السابق ص ١٥ والمسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ١٥٣ـ ١٥٤ تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد .

(١٠٢)حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج١ ص ٥١١ـ ٥١٣ ط ٧ القاهرة ١٩٦٤م .

(١٠٣) Browne: Literary History of Persia, Vol. I, p. 281.

(١٠٤) الخياط : الانتصار ص ٩٣ .

(١٠٥) المصدر السابق ص ١٢٦ وحسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج١ ص ٥١٣ .

عليها[١٠٦] . واتخذت العقل أساســا في مناقشاتها ولذلك ساهم الاستاذ نيكلسون « العقليين » واستطاعت المعتزلة ان تلائم بين الثقافة الاسلاميــة الواضحة والثقافة الهلينية المعقدة وترد على الغــلاة والزنادقة حتى امسى النضال ضد تأثير هذه الحركات وغيرهـا من الحركات المعادية للاسلام من هموم المعتزلة وشاغلها الرئيسيـة[١٠٧] .

ولقد وجهت المعتزلة اهتماما خاصا الى « مبــدأ التوحيد » فاكدت أهميته ووضحت مفهومه فقالت (ان الله قديم والقديم اخص صفاته وهــو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو اخص وصف له لشاركته في الالهية)[١٠٨] ، وقــد ردت المعتزلة كل شيء يتعارض مع وحدانية الله وازليته ، فانكروا ان يكون لله تعالى صفات غير ذاته فان وجود صفات قديمة خارجة عن الذات يؤدي الى ان هناك شيئا قديما ازليا غير ذاته[١٠٩] ، وقد وضعت المعتزلة الاصل الاول من أصولها الخمسة وهو التوحيد للرد على الغلاة المشبهة الذين قالوا ان الله قد وصورة وانه جسم ذو أعضاء[١١٠] فقالت ان الله سبحانه وتعالى (ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل الخالق للجسم والعرض والعنصر والجوهر وانه الخالق للاشياء المبدع لها وانه القديم وان ما سواه محدث)[١١١] .

وحين ادركت المعتزلة ان فرقا غالية استغلت آيات من القرآن الكريم للقول بالتشبيه والتجسيم ردت عليهم واولت تلك الايات تأويلا يتناسب مع تاكيد مبدأ التوحيد فقالت المعتزلة (والصفات مجرد اعتبارات ذهنية تلجأ

(١٠٦) جب : دراسات في حضارة الاسلام الترجمة ص ٩٣ .
(١٠٧) Nicholson: Literary History odf Arabs, p. 224.
(١٠٨) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٥٠ .
(١٠٩) المصدر السابق ج١ ص ٥٥ .
(١١٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ١٤٢ .
(١١١) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ١٥٣ . تحقيق محي‌الدين عبدالحميد .

اليها عقولنا الضعيفة العاجزة تمام العجز عن ادراك الكمال المطلق فنحن نعبر عن الذات بواسطة هذه الصفات بينما الذات الالهية واحدة هي هي لا قسمة فيها)[113] .

وقد فندت المعتزلة مقالة الغلاة في البداء مؤكدة قدرة الله وتنزيهه عن الخطأ والنقص فقالت (فاذا فعل فعلا وخبر بخبر ثم تبين له انه ليس بصواب بدا له فيه وانتقل عنه الى غيره ، والموصوف بهذا منقوص والنقص من اعلام الحدث ويتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[113] .

وقد ركزت المعتزلة دفاعها عن مبدأ التوحيد وابطلت حجج الثنوية ولا سيما المانوية منهم التي انتشرت مقالتها في أيامهم ، فحين اعلنت المانوية (ان الصدق والكذب مختلفان متضادان وان الصدق خير وهو من النور والكذب شر وهو من الظلمة سألهم ابراهيم النظام : ان الانسان الواحد قد يكذب في حال ويصدق في حال أخرى ليلزمهم على قولهم ان الفاعل الواحد قد يكون منه شيئان مختلفان خير وشر وصدق وكذب وفي هذا هدم القوم بقدم الاثنين احدهما خير والاخر شر)[114] ، وفند أبو الهذيل العلاف رأي الثنوية في الاثنين (وناظر صالح بن عبدالقدوس لما قال في العالم انه من اصلين قديمين نور وظلمة كانا متباينين فامتزجا ، فقال أبو الهذيل : فامتزاجهما هو هما ام غيرهما ؟ قال بل أقول هو هما فالزمه ان يكونا ممتزجين متباينين اذا لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع ذلك الا اليهما فانقطع)[115] . ورد ابراهيم النظام على الثنوية بحجة قوية فقال (وجدت الحر مضادا للبرد ووجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد في ذات انفسهما فعلمت بوجود لهما مجتمعين وان لهما جامعا جمعهما وقاهرا قهرهما على خلاف شأنهما وما جرى عليه القهر والمنع فضعيف وضعفه ونفوذ تدبير قاهره فيه دليل على

---

(١١٢) البير نادر : الفرق الاسلامية السياسية والكلامية ص ٥٣ .

(١١٣) الخياط : الانتصار ص ٩٥ .

(١١٤) المصدر السابق ص ٣٠ .

(١١٥) احمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٤٦ « لحقيق سوسنة ديفلد فلزر ، بيروت ١٩٦١م » .

حدثه وعلى ان محدثا ومخترعا اخترعه لا يشبهه وهو الله رب العالمين)[116] ، وقد رد النظام على المانوية بحجة أخرى قطعهم فيها فقال (حدثونا عن انسان قال قولا كذب فيه من الكاذب ؟ قالوا الظلمة ، قال : فان ندم بعد ذلك على ما فعل من الكذب وقال قد كذبت وقد اسأت من القائل قد كذبت ؟ فاختلطوا عند ذلك ولم يدروا ما يقولون فقال لهم ابراهيم : ان زعمتم ان النور هو القائل قد كذبت واسأت فقد كذب لانه لم يكن الكذب منه ولا قاله والكذب شر فقد كان من النور شر وهذا هدم قولكم وان قلتم ان الظلمة قالت كذبت واسأت فقد صدق والصدق خير فقد كان من الظلمة صدق وكذب وهما عندكم مختلفان فقد كان من الشيء الواحد شيئان مختلفان خير وشر على حكمكم وهذا هدم قولكم بالاثنين)[117] .

وقد ارادت المعتزلة « بمبدأ العدل » تنزيه الله عن الظلم وان الله « لا يحب الفساد ولا يخلق افعال العباد بل يفعلون ما امروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم »[118] وانه سبحانه وتعالى (لم يامر الا بما أراد ولم ينه الا عما كره وانه ولي كل حسنة امر بها بريء من كل سيئة نهى عنها)[119] ، وردت المعتزلة من خلال مبدأ العدل على الجبرية فاكدت بذلك « مبدأ المعاد » وما يتصل به من بعث وحساب وجنة ونار .

ومبدأ العدل يرتبط بقضية « القضاء والقدر » وقد فسرت المعتزلة هذه القضية تفسيرا يبقي على حرية الانسان وقد وجدت المعتزلة في تفسير الامام علي « عليه السلام » للقضاء والقدر أساسا لتفسير هذه الفكرة وتاكيدا لمبدأ العدل الذي ذهبت اليه المعتزلة فقد أجاب الامام علي مفسرا معنى القضاء والقدر قائلا (ان الله امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا وأعطى

(١١٦) الخياط : الانتصار ص ٠) .
(١١٧) الخياط : الانتصار ص ٣٠ .
(١١٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج١ ص ٥١٢ ط٧ .
(١١٩) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ١٥٣ تحقيق محي‌الدين عبدالحميد .

على القليل كثيرا ولم يضع مكرها)[١٢٠] ، وأجاب الامام علي موكدا حرية الانسان في عمله فقال تفسيرا لمعنى القضاء والقدر (.. ولعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن .. ان الله تعالى امر تخييرا ونهى تحذيرا ولم يكلف جبرا)[١٢١] .

وقد رد أبو الهذيل العلاف على الجبرية حين ادعت (ان الكافر قادر على الكفر الذي هو فيه غير قادر على الايمان الذي تركه)[١٢٢] بقوله (فاذا كان الكافر عندكم غير قادر على الخروج من الكفر الذي هو فيه فقد صح انه ليس بمختار ولا فاعل له بل هو مضطر اليه مجبر عليه لان القادر على الفعل هو القادر على تركه فاذا صحت القدرة على أمر من الامور صحت على تركه واذا انتفت عن تركه انتفت عنه)[١٢٣] .

وذهبت المعتزلة الى تأكيد « مبدأ العدل » عن طريق توضيح حرية الانسان وانه هو الذي يخلق افعاله باختياره وان الحسن والقبح صفتان للاشياء والعقل قادر على التميز بين حسن الاشياء وقبيحها حيث ان للشيء صفة فيه جعلته حسنا أو قبيحا[١٢٤] .

وركزت المعتزلة « مبدأ العدل » بقولها بمبدأ « الوعد والوعيد » فالعدل الالهي يقتضي ان يجازى كل انسان بعمله ، فأهل الخير يجازون خيرا وأهل الشر يجازون شرا وهذا هو مفهوم الوعد والوعيد[١٢٥] ، وتاكيدا لمبدأ الوعد والوعيد قالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ، فقسمت الكبائر الى نوعين

---

(١٢٠) المرتضى : امالي المرتضى ج١ ص ١٥١ .

(١٢١) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ج٢ ص ١٢٨-١٢٩ وامالي المرتضى ج١ ص ١٥١ .

(١٢٢) الخياط : الانتصار ص ١٧ .

(١٢٣) المصدر السابق ص ١٧ .

(١٢٤) انظر الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٥٦ وحسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام ج١ ص ٥١٤ .

(١٢٥) عبدالحليم بلبع : ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ص ١٤٧ .

فهناك كبيرة الشرك وهي أكبر الكبائر وان الله سبحانه وتعالى لا يغفر لمرتكبها تطبيقا لقوله « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء » ، والكبائر الاخرى دون الشرك فان مرتكبها (ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا)[١٢٦] والفسق منزلة بين الايمان والكفر ، ويبدو ان المعتزلة ارادت بهذا التقسيم للكبائر ان تركز مبدأ التوحيد وان تخيف الملحدين والثنوية ، كما انها لم تتساهل مع أصحاب الكبائر الاخرى فقررت (ان في فساق أهل القبلة من هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة)[١٢٧] .

كما امرت المعتزلة بالمعروف ونهت عن المنكر وعملت من خلال هذا المبدأ على الدفاع عن مبادىء الاسلام والرد على خصومه وتفنيد اقوال المشبهة والمعطلة والثنوية ، وقد أدركت المعتزلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي ادراك آراء خصوم الاسلام والوقوف على حججهم وأساليب عملهم ، كما يتطلب المعرفة الواسعة بفنون النقاش فكانوا (أول من قرأ تراجم الطبيعيين من الاغريق وفلاسفتهم .. واقتبسوا منها جميع المعارف النافعة واجهدوا انفسهم ان يضيفوا الى المعاني الاسلامية التي جاء بها القرآن)[١٢٨] ، كما وجهوا اهتماما خاصا لادراك الاسلام والوقوف على حقيقته ، فكان واصل بن عطاء (اذا جنه الليل صف قدميه وأمامه لوح ودواة فاذا مرت آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها)[١٢٩] ، وكان واصل واسع المعرفة لم يكن أحد اعلم منه بكلام الغالية وكلام الزنادقة وسائر المخالفين[١٣٠] فتمكن من التصدي لهم والرد عليهم[١٣١] ، والف واصل كتابه « الالف مسألة للرد على المانوية »[١٣٢] .

---

(١٢٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٢ « تحقيق محي الدين عبدالحميد » .

(١٢٧) الخياط : الانتصار ص ٦٢ .

(١٢٨) Browne: Literary History of Persia, Vol. I, p. 288.

(١٢٩) احمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٢ .

(١٣٠) المصدر السابق ص ٣٠ .

(١٣١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ١٠٦ .

(١٣٢) احمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٣٥ .

وكان واصل يعقد الجلسات للرد على الزنادقة وتفنيد حججهم ، وكان يناقش مشاهيرهم أمثال صالح بن عبدالقدوس وغيره فقطعهم بأقل كلام[133] .

وكان لواصل تلاميذ كثيرون اعدهم اعدادا فكريا عميقا وكان يبعث بهم الى الاقطار يدعون الى مبادىء الاعتزال ويردون من خلال ذلك على خصوم الاسلام فبعث واصل منهم (عبدالله بن الحارث الى المغرب فاجابه خلق كثير وبعث الى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان حتى قطعه .. وبعث القاسم الى اليمن وبعث أيوب الى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وعثمان الطويل الى ارمينيه)[134] .

واشتهر عمرو بن عبيد بقوة الحجة وكان عالما بالاسلام ومطلعا على اراء الغلاة والزنادقة وقال فيه أحمد المرتضى (وكان عمرو بن عبيد من اعلم الناس بأمر الدين والدنيا)[135] وقد استعمل علمه في الرد على أعداء الاسلام وابطل حججهم[136] .

وكان أبو الهذيل العلاف قوي الحجة كثير المناظرة لخصوم الاسلام من الثنوية وغيرهم فيلزمهم الحجة بأقل بيان ومن مناقشاته التي تدل على قوة حجته انه ناظر يوما صالح بن عبدالقدوس اثر وفاة ابن صالح فذهب اليه أبو الهذيل (فرآه حزينا فقال : لا اعرف لجزعك وجها الا اذا كان الانسان عندك كالزرع فقال : انما اجزع لانه لم يقرأ كتاب الشكوك قال : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته من قرأ فيه شك في ما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان قال أبو الهذيل : فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات فشك انه قد قرأ ذلك الكتاب وان كان لم يقرأه)[137] .

---

(١٣٣) بروكلمان : تاريخ الادب العربي الترجمة ج٢ ص ٤٥ .

(١٣٤) احمد المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٢٢ واحمد امين : ضحى الاسلام ج٣ ص ٩٢ .

(١٣٥) احمد المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٢٦ .

(١٣٦) المصدر السابق ص ٢٦ .

(١٣٧) المصدر السابق ص ٤٧ .

ولم يقف أبو الهذيل عند مناقشة خصوم الاسلام بل الف ستين كتابا رد فيها على الزنادقة والمخالفين في دقيق الكلام وجليله[١٣٨] .

وقد فند النظام بحجج دامغة مقالة الثنوية في الاثنين[١٣٩] وقد الف النظام كتبا كثيرة منها (كتاب الجــزء ، كتاب في الرد على الثنوية ، كتاب العالم ، .. كتاب في التوحيد .. كتاب النكت)[١٤٠] .

كما ألف الجاحظ أكثر من كتاب رد فيها على الشعوبية الدينية منهــا ـ كتاب فضيلة المعتزلة وكتــاب الاخبــار واثبــات النبوة وكتــاب نظــم القرآن[١٤١] ، كما ضــمن معظم كتبه الاخرى ردودا وتفنيدا لآراء الغــلاة والزنادقة .

وكان لعلي الاسـواري والخياط المعتزلي وبشر بن المعتمر وابي موسى المردار وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب واحمد بن أبي داود وثمامه وغيرهم من المعتزلة جهود كبيرة في توضيح وتثبيت مبادىء الاسلام والرد على خصومه ودحض افتراءاتهم[١٤٢] وبعد هذه الجهود التي بذلها المعتزله لنا ان نقول مع الاستاذ أحمد امين (ولا يدري الا الله ماذا يكـون على المسلمين لو لم يقف المعتزلة هذا الموقف وقت هجوم خصوم الاسلام بهــذه القــوة ، ان الاسلحة التي تسلح بها المسلمون فيما بعد من علم الكلام على النمط الذي وضعه أبو الحســن الاشعري وخلفه هي من غير شك وليدة الاعتزال وترتيب لآراء المعتزلة)[١٤٣] .

---

(١٣٨) احمد المرتضى : طبقات المعتزلة ص ٤٤ .
(١٣٩) انظر كتاب الانتصار ص ٢٠ و٢٥ و٤٠ .
(١٤٠) عبدالهادي ابو ريدة : ابراهيم بن سيار النظام ص ٧٥ .
(١٤١) احمد امين : ضحى الاسلام ج٣ ص ٢٠٦-٢٠٧ .
(١٤٢) انظر كتاب الانتصار ص ٢٠-١٢٦ وطبقات المعتزلة ص ٦٢-١١٦ ومروج الذهب ج٢ ص ١٥٣ والملل والنحل ج١ ص ٥٠-٥٥ وضحى الاسلام ج٣ ص ٩٧-٢٠٨ وتاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ٢٠٦-٢٠٧ .
(١٤٣) احمد امين : ضحى الاسلام ص ٢٠٦-٢٠٧ .

٢ ـ موقف الكتاب والشعراء من الشعوبية العنصرية :

لقد وقف الكتاب والشعراء العرب على أهداف الحركة الشعوبية . فعملوا على مقاومتهم فاظهروا الحضارة العربية واشادوا بها وردوا على أعدائها وفندوا هجوم الشعوبية العنصرية وادعاءاتها .

ولقد أدرك المثقفون العرب أهمية اللغة العربية في فهم الاسلام وفي توحيد العرب وقيام دولتهم وازدهار حضارتهم ، فلما احتلط الاعاجم بالعرب وانتشر اللحن قامت حركة تدعو لتعلم العربية الفصحى ، فاعلن الزهري (ما احدث الانسان مروءة احب الي من تعلم النحو)[١٤٤] وقد وضح ابن خلدون ضرورة اتقان العربية وفهم القرآن والحديث من أجل حمل العرب على دراسة العربية والالمام بها فقال (فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز .. وخالطوا الاعاجم تغيرت تلك الملكة .. ففسدت بما القي اليها مما يغايرها .. وخشى أهل العلوم منهم ان تفسد الملكة رأسا ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث عن المفهوم .. وأول من كتب أبو الاسود الدؤلي ويقال باشارة علي « رضي الله عنه » لانه رأى تغيير الملكة فأشار عليه بحفظها)[١٤٥] .

وقد ربط الكتاب العرب بين اللغة العربية والدين الاسلامي من أجل حماية العربية الفصحى فاعتبروا الخطأ في اللغة ذنبا يستوجب الاستغفار (فكان الحسن بن أبي الحسن حين يعثر لسانه بشيء من اللحن يقول استغفر الله ، وقد سئل عن سبب استغفاره فأجاب ان من اخطأ فيها فقد كذب على العرب ومن كذب فقد عمل سوءا ، وقال الله تعالى ـ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ـ)[١٤٦] .

---

(١٤٤) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١ ص ٧٨ « مطبوعات دار المأمون » .

(١٤٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٦ « مطبعة مصطفى محمد القاهرة بلا تاريخ » .

(١٤٦) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١ ص ٦٨ « مطبوعات دار المأمون » .

وحين وجهت الشعوبية العنصرية هجوما على خطب العرب واستعمالهم العصا عند الخطابة رد عليهم الجاحظ مثلنا أهمية العصا فقال (والدليل على ان اخذ العصا مأخود من أصل كريم ومن معدن شريف .. اتخاذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته وموعظته .. وقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام .. وذكر العصا يجري .. في معان كثيرة تقول العرب : العصا من العصية والافعى بنت حية ، تريد ان الامر الكبير يحدث عن الامر الصغير)[147] .

وعندما افتخرت الشعوبية ببلاغة الشعوب الاخرى ولا سيما بلاغة الفرس رد عليهم الجاحظ بقوله (ان كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فانما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة)[148] واشاد الجاحظ بكلام العرب فوصفه بانه (بديهة والهام .. وكان الكلام الجيد عندهم ، واكثرهم عليه اقدر ، وكل واحد في نفسه انطق)[149] واضاف الجاحظ مفتخرا بفصاحة العرب فقال (ونحن اذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة في القصيد والارجاز والمنثور والاسجاع وفي المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم على ذلك .. في الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت)[150] .

ولما افتخرت الشعوبية بكتب الفرس القديمة شكك الجاحظ بصحة نسبتها اليهم فقال (ونحن لا نستطيع ان نعلم ان الرسائل التي في أيدي الناس للفرس انها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون .. لا يستطيعون ان يولدوا مثل تلك الرسائل)[151] ، وألف الجاحظ كتابه البيان والتبيين ليبين غناء اللغة العربية وعلم علماء اللغة

---

(١٤٧) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ٢٢–٢٨ « انظر فصل العصا في البيان والتبيين للجاحظ ج٣ ص ٤–٨٤ ففيه رد على الشعوبية وتبرير استعمال العصا عند الخطابة » .

(١٤٨) المصدر السابق ج٣ ص ٢٠–٢١ .

(١٤٩) المصدر السابق ج٣ ص ٢٠–٢١ .

(١٥٠) المصدر السابق ج٣ ص ٢١–٢٢ .

(١٥١) المصدر السابق ج٣ ص ٢١–٢٢ .

التقليديين ان دراستهم تخدم غرضا يتجاوز محض تصنيف موادهم اللغوية[١٥٢] .

وقد أشاد أبو حيان التوحيدي باللغة العربية ومميزاتها بالقياس الى اللغات الاخرى فقال (وقد سمعنا لغات كثيرة .. فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية اعني الفرج التي في كلماتها والنضاء الذي نجده بين حروفها والمسافة التي بين مخارجها والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها والمساواة التي تجدها في أبنيتها)[١٥٣] .

وقال ابن خلدون موضحا بلاغة العرب وفصاحتهم قائلا (وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد ... لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني .. وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب واما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم اطول مما تقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله «ص» ـ اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام ـ)[١٥٤] .

وقد ربط الالوسي بين بلاغة العرب ومعجزة القرآن وادراك العرب فقال (ولما كانت العرب في قوة الفهم وحدة الذهن الى غاية الغايات كان معجزهم القرآن فان المعجز في كل قوم بحسب افهامهم وعلى قدر عقولهم واذهانهم)[١٥٥] ، كما تناول الالوسي كلام العرب قبل الاسلام واشاد به ورد من خلال ذلك على دعوى الشعوبية فقال (ان لسانهم أتم الالسنة بيانا وتمييزا للمعاني جمعا وفرقا ، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل)[١٥٦] . وأضاف الالوسي فقال (فلكل قبيلة خطيب كما كان لها شاعر وفي صدر

(١٥٢) جب : دراسات في حضارة الاسلام ص ٩٢-٩٤ .
(١٥٣) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٧ .
(١٥٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٦ « مطبعة مصطفى محمد » .
(١٥٥) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ٤١ .
(١٥٦) المصدر السابق ج١ ص ٤٤ .

الاسلام كانت خطب الرسول والخلفاء الراشدين والصحابة الاخرين وكذلك أهل القرن الثاني فليسوا بأقل فصاحة من العرب العرباء)[157] .

ولما وجهت الشعوبية هجومها على الكرم الذي اشتهر به العرب وارادت النيل من مثل العرب العليا تناول الكتاب والشعراء العرب الكرم بالمدح واستطاعوا من خلال هذا المدح اظهار صفة الكرم بمظهر رائع فرددوا قول الرسول «ص» (السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله بعيد عن الجنة قريب من النار)[158] . وقد أسهم الجاحظ في هذا المجال فالف كتابه الشهير « البخلاء » اشار فيه الى البخل عند الفرس فقال مصورا بخلهم (يقول المروزي للزائر اذا أتاه وللجليس اذا اطال جلوسه تغديت اليوم فان قال نعم قال لو انك لم تكن تغديت لغديتك بغداء طيب وان قال لا قال لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل أو كثير)[159] وذهب الجاحظ الى اعتبار البخل طبعا عند أهل خراسان فقال (ولم ار الديك في بلدة قط الا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة الا ديكة مرو فاني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب .. فعلمت ان بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء فمن ثم عم جميع حيوانهم)[160] .

وقد اشاد ابن قتيبة بالكرم واعتبره من ابرز صفات العرب وانه طبع فيهم فقال (وكذلك الامم فيها امة كرم بلبانها كالعرب فانها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والترحم وتتعاير بالبخل والغدر .. فربما بذل احدهم نفسه دون جاره ووفى ماله بماله وقتل دون حميمه)[161] ، واعتبر التوحيدي الكرم من الفضائل الخاصة بالعرب فقال (وللعرب القرى

(١٥٧) الالوسي : بلوغ الارب ج٣ ص ١٤٩ وص ١٧٤ .
(١٥٨) الجاحظ : المحاسن والاضداد ص ٥١ . الطبعة الاولى القاهرة ١٣٢٤هـ .
(١٥٩) الجاحظ : البخلاء ص ١٧ لمحقيق طه الحاجري .
(١٦٠) المصدر السابق ص ١٨ .
(١٦١) محمد كرد علي : رسائل البلغاء ص ٣٦١ .

والجود)[162] .

ومما يدل على أهمية الكرم عند العرب ان الشعراء كانوا يفتخرون بهذه الصفة ويعتبرون البخل صفة غير حميدة وقد انشد مرة بن محكان التيمي يشيد بالكرم :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة   ضمي اليك رحال القوم والقربا[163]

وقال سالم بن قحطان العنبري :

لا تعذليني في العطاء ويسري   لكل بعير جاء طالبه حبلا
فلم ار مثل الابل ما لا تقتني   ولا مثل ايام الحقوق لها سبلا[164]

وانشد عمرو بن الاطناب في الكرم العربي وحرمة الجار :

اني من القوم الذين اذا انتدبوا   بدأوا بحق الله ثم النائل
المانعين من الخنا جاراتهم   والحاشدين على طعام النازل
والخالطين فقيرهم بغنيهم   والباذلين عطاءهم للسائل[165]

ورد التوحيدي على الشعوبية من خلال اشادته بالكرم العربي فقال (والعرب قد قدسها الله عن هذا الباب باسره وجبلها على اشرف الاخلاق بقدرته ، ولهذا تجد احدهم وهو في بت[166] حافيا حاسرا يذكر الكرم ويفتخر بالمحمدة وينتحل النجدة)[167] .

ولما سخرت الشعوبية من شجاعة العرب وذهبت في الحط من شانها كل مذهب رد عليهم الجاحظ مفندا دعواهم فقال (ليس لكم فيما ذكرتم ..

---

(١٦٢) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٢ .
(١٦٣) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ٥٣ .
(١٦٤) المصدر السابق ج١ ص ٥٥ .
(١٦٥) المصدر السابق ج١ ص ٦١ .
(١٦٦) البت : كساء غليظ من صوف او وبر انظر الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٨٣ الحاشية .
(١٦٧) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج١ ص ٨٣ .

دليل على ان العرب لا تقاتل بالليل ، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون حاله المدن وهول الليـل •• والدليل على انهـم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك :

وليلة تبـع وخميـس سـعد اتونا بعدما نمنا دبيبا[١٦٨]

وقول عياض السدي :

ومنا حماة الجيش ليلة اقبلت اياد يزجيها الهمام محرق[١٦٩]

وحين ادعت الشعوبية ان العرب لا تعرف الكمين ولا استعمال ركب الحديد وانتقدت أسلحة العرب رد عليهم الجاحظ قائلا (واما قولهم لا يعرفون الكمين فقد قال أبو قيس بن الاسلت[١٧٠] :

واحرزنا المغانم واستبحنا حمى الاعداء والله المعين
بغير خلابة وبغير نكـر مجاهرة ولم يخبأ كمين

واما ذكرهم للركب فقد اجمعوا على ان الركب كانت قديمة الا ان ركب الحديد لم تكن في العرب •• وكانت العرب لا تعود انفسـها اذا أرادت الركوب •• ولذلك قال عمر بن الخطاب اخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا ••• واما ما ذكروا في شأن رماح العرب فلس الامر في ذلك على ما يتوهمون وللرماح طبقات فمنها « النيزك » ومنها « المربوع » ومنها « المخموس » ومنها « التام » ومنها « الخطل » وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لافراط طوله)[١٧١] .

ولما قللت الشعوبية من أهميـة العرب في حمـل الرسالة الاسلامية ، واستهدفت الطعن في شجاعة العرب رد عليهم البلاذري فالف كتابه « فتوح

---

(١٦٨) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ١٥ .
(١٦٩) المصدر السابق ج٣ ص ١٥ . والمحرق هو عمرو بن الهند الملك .
(١٧٠) هو صيفي بن عامر الوائلي الاوسي كان من شعراء الجاهلية وفرسانها انظر : البيان والتبيين ج٣ ص ١٦ الحاشية .
(١٧١) البيان والتبيين ج٣ ص ١٨ .

البلدان » من أجل (ان يظهر الدور الضخم الذي قام به العرب في نشر راية الاسلام وفي تكوين الدولة الاسلامية وان لهم فضل المتقدم في حمل رسالة الاسلام الى الشعوب الاخرى)[172] .

وقد حفظ لنا المسعودي جواب بعض الخطباء العرب لكسرى حين عرض هذا بالعرب وانتقص من شأنهم فرد عليه قائلا (ملكوا الارض ولم تملكهم وآمنوا عن التحصن بالاسوار واعتمدوا على المرهفات البائرة والرماح الشارعة جننا وحصونا)[173] .

ولما افتخرت الشعوبية بسعة ملك الفرس رد عليهم ابن قتيبة بقوله (وتفضلها العرب بان ملكها نبوة وقواعد ملك الفرس استلاب ، وتفضلها العرب بان ملكها واغل في اقاصي البلاد داخل في آفاق الارض وملك فارس شظية)[174] .

وحينما وجهت الشعوبية الطعن الى المرأة العربية وذهبت في تصوير احتقار العرب لها تصوير بعيدا عن الواقع واستغلت الوأد لتبرير هجومها رد العرب على ذلك ووضحوا ان الوأد لم يكن في كل العرب بل في فخذين من قبيلتي ربيعة وتميم وقد وقع عندهما لاسباب اضطرارية ولفترة محدودة سبقت ظهور الاسلام . فقد وقع لجماعة من قبيلة ربيعة ان (غير عليهم فنهبت بنت الاميرفاستردها بعد الصلح فخيرت بين ابيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده وآثرته على ابيها فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيره منهم)[175] ووقع لجماعة من قبيلة تميم حادث شبيه لما حدث لجماعة ربيعة فاخذ هذا الفخذ من تميم بالوأد غيرة وغضبا[176] . اما مئات القبائل العربية

---

(172) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٩٩ .

(173) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٤٢ تحقيق محي‌الدين عبدالحميد .

(174) محمد كرد علي : رسائل البلغاء ص ٣٥٢ .

(175) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ١٣٩ .

(176) المصدر السابق ج٣ ص ٤٢-٤٣ .

الاخرى فلم يقع عندها الوأد وكانت المرأة عندهم موضع اعتزاز وافتخار ، ومما يؤكد احترام العربي للمرأة واعتزازه بها انه كان يانف من تزويجها من غير العرب حتى لو كان ملكا أو اميرا ، فحينما خطب كسرى اخت النعمان رفض النعمان تزويجها وقال لرسول كسرى بغضب (اما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات •• وانت تعرف ما على العرب من تزويج العجم من الغضاضة والشناعة)[177] ، وقد حاسب ابو جعفر المنصور ابا مسلم الخراساني لانه طلب الزواج من « آمنة بنت علي » واعتبر المنصور ذلك جريمة اضافها الى جرائم ابي مسلم الخراساني[178] •

وقد شوهت الشعوبية سمعة المرأة العربية وطعنت بها وادعت ان العرب (يتماطون النساء في الغارات)[179] من غير ان تقيم الدليل على صحة ادعائها ، ويبدو ان الشعوبية قد نسيت أو تناست مجون المزدكية والخرمية ودعوتهما لاشاعة النساء ، وقد رد القاضي ابو حامد المروروذي على أباطيل الشعوبية وتعرض لتحللها واستهتارها فقال (لو كانت الفضائل كلها بعقدها ونظمها ونثرها مجموعة للفرس ومصبوبة على رؤوسهم لكان لا ينبغي ان يذكروا شانها وان يخرسوا عن دقها وصلبها مع اباحتهم[180] الامهات والاخوات والبنات فهذا شيء كريه بالطباع ومردود عند كل ذي فطرة سليمة)[181] •

كذلك استغلت الشعوبية الطعن في المرأة العربية للهجوم على الانساب فتنبه العرب الى ذلك ووجهوا اهتماما خاصا للانساب ورددوا قول الرسول (ص) « ان الرحم اذا تماست تعاطفت »[182] •

---

(١٧٧) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢٥ « تحقيق محي الدين عبدالحميد » •
(١٧٨) المصدر السابق ج٢ ص ٢١٨ •
(١٧٩) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ١٧٧ •
(١٨٠) استعمل المروروذي لفظا استعضنا عنه بما يقابلة في معناه •
(١٨١) التوحيد : الامتاع والمؤانسة ج١ ص٩٠ •
(١٨٢) الالوسي : بلوغ الارب ج٢ ص١٧٧ •

وقد عمل عمر بن الخطاب (رض) على ربط مقدار العطاء بالسابقة في الاسلام وبالقرابة من رسول الله مما حفز الكتاب الى الاهتمام بالانساب[183] .

وقد بذل عدد من الكتاب العرب جهودا لحفظ الانساب العربية فالف محمد بن سائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦هـ وابو يقظان سحيم بن حفص المتوفى سنة ١٩٠هـ وهشام بن محمد بن سائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ ومصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٣هـ وابو حسان الحسن بن عثمان الزيادي المتوفى سنة ٢٤٣هـ والزبير بن البكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ وعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢هـ وغيرهم كتبا في انساب العرب فحفظوا تلك الانساب وجعلوها في مأمن من محاولات الطعن والتشويه التي ذهبت اليها الشعوبية[184] ، وألف البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ كتابه الشهير « انساب الاشراف » تناول فيه انساب العرب وعرض دورهم التاريخي وأكد ان العرب مركز الثقل والقوة في سير التاريخ الاسلامي[185] ، ولنا بعد هذه الجهود التي قدمها النسابة العرب ان نقول مع الآلوسي (ان جميع ما ذكره الشعوبية .. في باب الطعن على انساب العرب لا أصل له وكتب التواريخ صادحة بتبرأتهم ، وقد نطق الشعر الجاهلي بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بانسابهم وحفظ صريحهم)[186] .

وحين أدعت الشعوبية ان الفرس احرار والعرب عبيد . وافتخرت بالشخصيات الايرانية كأبي سلمة الخلال وابي مسلم الخراساني والبرامكة وبني سهل وآل طاهر بن الحسين وامتدحت أصولهم الايرانية متعرضة بالعرب واصولهم رد عليهم ابن خلدون ابلغ رد فقال (ان البيت والشرف للموالي .. انما هو بمواليهم لا بانسابهم .. كما قال صلى الله عليه وسلم

---

(١٨٣) انظر البلاذري : فتوح البلدان ص٢٤٦ – ٢٤٧ .

(١٨٤) انظر ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٥٩ و١٦٦ و١٦٧ و١٦٩ والدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٤٠-٤١ وصالح احمد العلي : المؤلفات العربية في المدينة والحجاز ص ١٦-٢١ .

(١٨٥) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٩٩ .

(١٨٦) الالوسي : بلوغ الارب ج١ ص ١٧٨ .

ـ مولى القوم منهم .. ـ فكان جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس .. وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا أهل بيت من الفرس في سدنة بيوت النار ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما كان شرفهم من حيث ولا يتهم في الدولة واصطناعهم)[187] .

ولما وجهت الشعوبية هجومها الى الشعر العربي وعمدت الى وضع الشروح الغريبة لتشويه معاني الاشعار وذهبت الى افساد الشعر عن طريق انتحاله ونسبته الى شعراء قدامى من اجل اختلاط الاصيل بالمنحول ، ادرك العرب خطر هذه العملية فتقدم المفضل الضبي الى الخليفة المهدي يشكو اليه جريمة حماد الراوية وغيره في افساد الشعر عن طريق الوضع واكد المفضل للمهدي قدرته على اثبات خطأ حماد الراوية فاحضر المهدي حمادا وطلب من مفضل امتحانه . فسأله المفضل وناقشه واثبت كذب حماد وجهله في الرواية وتعمد وضع الشعر لافساده فابطل المهدي رواية حماد وحكم عليه بالتزوير والكذب[188] وطلب المهدي من المفضل ان يجمع ما اشتهر من قصائد العرب فجمع له (الاشعار المختارة المسماة المفضليات وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة)[189] ، وكانت القصائد التي جمعها المفضل لسبعة وستين شاعرا سبعة واربعون منهم من شعراء الجاهلية واربعة عشر من المخضرمين وستة من الاسلاميين[190] .

وبذل عدد من الادباء العرب جهودا في حفظ اشعار العرب وجمعها في مؤلفات خاصة فجمع الاصمعي جملة من اشعار العرب عدد قصائدها اثنتان وسبعون قصيدة ومجموع أبياتها الف ومائة وثلاثة وستون بيتا وعدد

---

(١٨٧) ابن خلدون : المقدمة ص ١٣٦ مطبعة مصطفى محمد .
(١٨٨) انظر امالي المرتضى ج١ ص ١٣٢ وبلوغ الارب ج١ ص ١٧٨ .
(١٨٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٠٨ .
(١٩٠) بروكلمان : تاريخ الادب العربي الترجمة ج١ ص ٧٢ .

شعرائها واحد وستون شاعرا جاهليين ومخضرمين واسلاميين[191] .

وجمع ابو تمام نخبة من قصائد العرب اختارها من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام واطلق عليها « الحماسة »[192] .

وجمع البحتري مختارات من اشعار العرب اطلق عليها اسم « الحماسة » ايضا[193] .

وجمع ابو زيد القرشي طرفا من اشعار العرب اطلق عليها « جمهرة اشعار العرب » وقد قسمها (الى سبعة مجاميع المعلقات السبع والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي المشوبات والملحمات ، وهي قصائد لشعراء جاهليين وشعراء امويين)[194] .

والى جانب هذه المجاميع الشعرية الف محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ كتاب « طبقات الشعراء » والف ابن قتيبة « الشعر والشعراء » والف ابن المعتز كتاب « طبقات الشعراء »[195] ، كما الف عدد اخر من الادباء العرب كتبا في موضوع الشعر ومعانيه وفي الشعر الموضوع وغيره من المواضيع المتعلقة في الشعر العربي[196] . وحفظ لنا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وابو الفرج الاصفهاني في اغانيه مجموعة من اشعار العرب ، فكان لهذه الجهود اثرها في حفظ الشعر العربي من الضياع ووضع الاسس لمعرفة الاشعار الاصيلة من الاشعار المنحولة فتمكن العرب من خلال هذه المجموعات الشعرية والدراسات الادبية الوقوف على تاريخهم ولغتهم وانسابهم وكانت خير رد على تخرصات الشعوبية مما يدل دلالة واضحة على مبلغ بلاغة العرب وفصاحتهم وعلو مكانتهم الادبية والفكرية .

---

(١٩١) انظر ابن النديم : الفهرست ص ٨٩ وبروكلمان : تاريخ الادب العربي ج١ ص ٧٤ .

(١٩٢) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ج١ ص ٧٧ـ٧٨ .

(١٩٣) المصدر السابق ج١ ص ٨١ .

(١٩٤) المصدر السابق ج١ ص ٧٥ .

(١٩٥) انظر ابن النديم : الفهرست ص ١٢١ـ١٢٢ .

(١٩٦) المصدر السابق ص ١٠٤ـ١١٨ .

وقد اسهم الشعراء العرب في المعركة ضد الشعوبية وكان لهم دور كبير في الرد عليها ، فانه لما وقف الشاعر عبدالله بن الحر الجعفي على خطر حركة المختار انشد في تصويرها قائلا :

وما ترك الكذاب من جل مالنا ولا المرء من همدان غير شريد
افي الحق ان يحتاج مالي كله وتأمن من عندي ضيعة ابن سعيد[197]

وانشد اعشى همدان في هجاء المختار :

فقتل من اشرافنا في محالهم عصائب منهم اردفت بعصائب
فكم من كمين قد ابادت سيوفهم الى الله اشكو رزء تلك المصائب
يقتلنا المختار من كل غائط فيالك دهر مرصد بالعجائب[198]

ولما وقف نصر بن سيار على الخطر المحدق بالدولة العربية وادرك ما يبيته الاعداء على الكيان العربي من شر كتب الى مروان الثاني يحفزه ويستثيره لتلافي هذا الخطر فقال :

ارى بين الرماد وميض جمر فاحج بان يكون له ضرام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ امية أم نيام ؟
فان يقظت فذاك بقاء ملك وان رقدت فاني لا الام
فان يك اصبحوا وثووا نياما فقل قوموا فقد حان القيام[199]

وانشد نصر بن سيار مجسدا الخطر الذي يحيط بالدولة العربية ومن اجل استثارة الهمم فقال :

ابلغ ربيعة في مرو واخوتها ان يغضبوا قبل ان لاينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن فعلكم غيب
وتتركون عدوا قد اظلكم ممن تأشب لا دين ولا حسب

(١٩٧) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٩٧ .
(١٩٨) المصدر السابق ص ٣٠١ .
(١٩٩) المصدر السابق ص ٣٥٧ .

قوما يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائلي عن أصل دينهم فان دينهم ان تقتل العرب[٣٠٠]

ولما انشد ابن ميادة[٣٠١] في ذم العرب وافتخر بقومه الفرس رد عليه الحكم الخضري[٣٠٢] بقصيدة جاء فيها :

ومالك فيهم من أب ذي وسيمة ولا ولدتك المحصنات الكرائم[٣٠٣]

وانشد الشعراء في ذم الهيثم بن عدي لما عرف عنه من ذم للعرب وتاليف في مثالبهم فقال احد الشعراء العرب في هجائه :

يا هيثم بن عدي لست للعرب ولست من شيء الا على شغب
اذا نسبت عديا في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب[٣٠٤]

وقال شاعر عربي اخر في هجاء الهيثم بن عدي :

يا ابن الخبيثة من اهجو فافضحه اذا هجوت وما تنمى الى احد[٣٠٥]

وانشد مروان بن ابي حفصة في مدح معن بن زائدة الشيباني الذي أسهم في القضاء على فتنة الراوندية والذي كان يثير حقد الشعوبية وبخاصة البرامكة منهم فقال فيه :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان
ما زلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمان
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان[٣٠٦]

---

(٣٠٠) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٦١-٢٦٢ .
(٣٠١) هو شرحبيل بن ابرد المعروف بابن ميادة من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية انظر الاغاني ج٢ ص ٨٥ .
(٣٠٢) هو الحكم بن معمر الخضري شاعر اسلامي كان له مع ابن ميادة مهاجاة انظر معجم الادباء ج١٠ ص ٢٤٠ . مطبوعات دار المامون .
(٣٠٣) الاغاني ج٢ ص ١٠٠ .
(٣٠٤) معجم الادباء ج٧ ص ٢٦٢ . تحقيق مرجليوث .
(٣٠٥) المصدر السابق ج٧ ص ٢٦٤ تحقيق مرجليوث .
(٣٠٦) مروج الذهب ج٢ ص ٢٢١-٢٢٢ .

ولما شبه الزنديق يزدان بن باذان حجاج بيت الله عند مناسكهم بقوله (ما اشبههم الا بقر تدوس البيدر)[٢٠٧] رد عليه الشاعر العلاء بن الحداد الاعمى مستثيرا الخليفة موسى الهادي عليه فقال :

ايـا امـين الله في خلقـه ووارث الكعبة والمنبـر
ماذا تـرى في رجـل كافر يشـبه الكعبة بالبيدر
ويجعـل الناس اذا ما سعوا حمرا تدوس البر والدوسر[٢٠٨]

وانشد الاصمعي في زندقة البرامكة محرضا الرشيد عليهم فقال :

اذا ذكـر الشـرك في مجلس اضاءت له وجـوه بني برمك
ولو تليت بينهـم آيـة اتـو بالاحاديث عن مزدك[٢٠٩]

ولما ازداد نفوذ البرامكة ايام الرشيد ادرك الشعراء خطرهم فاخذوا ينظمون القصائد ويبعثون بها الى الرشيد سرا مستثيرين اياه للقضاء على البرامكة ومن تلك القصائد قصيدة جاء فيها :

ليت هنـدا انجزتنـا ما تعد وشفت انفسـنا مما تجـد
واستبدت مرة واحـدة انما العاجز من لا يستبد[٢١٠]

ومن هذه القصائد :

قـل لامـين الله في ارضه ومن اليـه الحـل والعقد
هذا ابن يحيى قد غـدا مالكا مثـلك مـا بينكما حد
امـرك مردود الى أمـره وأمـره ليس لـه رد
ولقد بنى الـدار التي ما بنى الفرس مثلهـا ولا الهنـد
الـدر والياقوت حصباؤها وتربهـا العنبر والنـد[٢١١]

(٢٠٧) احمد امين : ضحى الاسلام ج١ ص ٦٧ .
(٢٠٨) المصدر السابق ج١ ص ٦٧ .
(٢٠٩) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٠٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعته .
(٢١٠) الطبري ج٧ ص ٣٢٠ طبعة الاستقامة .
(٢١١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ١٠٨ طبعة بولاق القاهرة ١٣١٠هـ .

وحين افتخر عبدالله بن طاهر بن الحسين بابيه على قتل الامين وتعرض للعرب وشجاعتهم رد عليه الشاعر العربي محمد بن يزيد الاموي فذم النار متعرضا بزندقة آل طاهر واشاد بشجاعة العرب وتوعد الفرس فقال :

لا يرعك القال والقيل ... كل ما بلغت تضليل
يا ابن بيت النار موقدها ... ما لحاذيه سراويل
من حسين من ابوك ومن ... مصعب غالتكم غول
نسب من الفخر مؤتشب ... وابوات اراذيل
قاتل المخلوع مقتول ... ودم المقتول مطلول[212]

وانشد ابو تمام مشيدا بالمعتصم حين أعدم الافشين فقال :

قد كان بواه الخليفة جانبا ... من قلبه حرما على الاقدار
فاذا ابن كافرة يسر بكفره ... وجدا كوجد فرزدق بنوار[213]
ما زال سر الكفر بين ضلوعه ... حتى اصطلى شر الزناد الوار[214]

وهناك قصائد اخرى كثيرة وضعها الشعراء العرب في دحض آراء الشعوبية يمكن الرجوع اليها في كتب الادب العربي وفي كتب التواريخ .

---

(٢١٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ج١ ص ٦٦-٦٧ .
(٢١٣) نوار زوجة الفرزدق وكان قد طلقها فندم على ذلك وقال :
ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار
وعدت كفاقد عينيه عمدا ... فاصبح ما يضيء له نهار
انظر المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ١٦ وحسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ١١٢ الطبعة السابعة .
(٢١٤) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ١٦ . لتحقيق محي الدين عبدالحميد .

مصادر الرسالة

نورد في الثبت الآتي اهم مصادر الرسالة ، وقد رتبت اسماء المؤلفين حسب احرف الهجاء مع بيان سنة وفاة بعض المؤلفين

اولا ـ المصادر الاصيلة :

ابن الاثير (٦٣٠/١٢٣٨) :عزالدين علي بن محمد

١ ـ الكامل في التاريخ ١٣ جزءا (ليدن ١٨٥١ـ١٨٧١م) ومطبعة التحرير (القاهرة ١٣٠٣هـ) .

٢ ـ اللباب في تهذيب الانساب ، ٣ اجزاء ، القاهرة مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ .

الاسفرايني (٤٧١/١٠٧٨) : ابو المظفر محمد بن طاهر .

٣ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ، تحقيق محمد زاهدين الحسن الكوثري ، القاهرة مكتبة الخانجي ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

الاشعري (٣٢٤/٩٣٦) : ابو الحسن علي بن اسماعيل

٤ ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، جزءان في مجلد واحد ، تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٠ـ١٩٥٤م .

الاصفهاني (٣٥٦/٩٦٧) : ابو الفرج علي بن الحسين

٥ ـ الاغاني ، ٢١ جزءا ، طبعة ساسي القاهرة ١٣٢٢هـ ، ومطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٦ ـ مقاتل الطالبيين ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٥٢هـ .

الاصفهاني (٣٥٠/٩٦١) : حمزة بن الحسن

٧ ـ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، برلين ١٣٤٠هـ .

ابن بدرون (من ادباء القرن الخامس للهجرة) : ابو مروان عبدالملك بن عبدالله

٨ ـ كمامة الزهر وفريدة الدهر ، القاهرة ١٣٤٠هـ .

ابن البطريق (٣٢٨/٩٣٩) : سعيد

٩ ـ كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ويعرف بـ (نظم الجوهر) جزءان ، مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٩م .

البغدادي (٤٢٩/١٠٢٧) : ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر
١٠ ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجيه منهم ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، نشر عزت العطار ، القاهرة ١٣١٧هـ/١٩٤٨م .
البغدادي (١٠٩٣هـ) : عبدالقادر بن عمر .
١١ ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، المطبعة الاميرية ـ بولاق ١٢٩٩هـ .
البلاذري (٢٧٩/٨٩٢) : احمد بن يحيى بن جابر
١٢ ـ فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية القاهرة ١٩٣٢م .
البلخي (٣٢٢/٩٣٣) : ابو زيد احمد بن سهل
١٣ ـ البدء والتاريخ ، ٦ اجزاء ، باعتناء كليمان هوار ، باريس ١٨٩٩ . وينسب ال المطهر بن طاهر المقدسي (٢٨٧/٩٩٧) .
البيروني (٤٤٠/١٠٤٨) : ابو الريحان محمد بن احمد
١٤ ـ الاثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ادوارد ساشا ، مطبعة ليبزيك ١٩٠٢ .
١٥ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة ، ليبزيك ١٩٢٥م .
١٦ ـ الفلسفة الهندية ، تحقيق عبدالحليم محمود وعثمان عبدالمنعم يوسف ، مطبعة احمد علي مخيمر القاهرة ، بلا تاريخ .
التفتازاني (٧٩٢/١٢٩٠) : سعدالدين مسعود بن عمر
١٧ ـ شرح مقاصد الطالبين في حكم اصول الدين ، جزءان ، استانبول ١٣٠٥هـ .
التوحيدي (٣٨٧/٩٩٧) : ابو حيان
١٨ ـ الامتاع والمؤانسة ، ٣ اجزاء ، تحقيق احمد امين واحمد الزين مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٣م .
ابن تيمية (٧٢٨/١٣٢٧) : شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين
١٩ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (مطبوع ضمن مجموعة فتاوى ابن تيمية) مطبعة كردستان القاهرة ١٣٢٩هـ/١٨٩١م .
الثعالبي (٤٢٩/١٠٣٧) : ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل
٢٠ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .
الجاحظ (٢٥٥/٨٦٨) : ابو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب الكناني
٢١ ـ البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ .

٢٢ ـ البيان والتبيين ، ٣ اجزاء ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢ .
٢٣ ـ التاج في أخلاق الملوك ، المطبعة الاميرية القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .
٢٤ ـ التربيع والتدوير تحقيق شارل بلات ، دمشق ١٩٥٥م .
٢٥ ـ ثلاث رسائل للجاحظ باعتناء يوشع فنكل ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٤هـ .
٢٦ ـ حجج النبوة (مطبوع ضمن رسائل الجاحظ جمع حسن السندوبي) القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .
٢٧ ـ كتاب الحيوان ، ٧ اجزاء ، طبعة ساسي ، القاهرة ١٣٢٣ـ١٣٢٥هـ ، وتحقيق عبدالسلام هارون ٧ أجزاء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٦ .
٢٨ ـ المحاسن والاضداد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٤هـ .
جابر بن حيان (٧٧٨/١٦١)
٢٩ ـ الخواص الكبير (مطبوع ضمن رسائل جابر بن حيان تحقيق بول كراوس) القاهرة ١٣٥٤هـ .
ابن الجوزي (٥٩٧/١٢٠٠) : الحافظ جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي
٣٠ ـ نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ، المطبعة المنيرية القاهرة ١٣٤٧هـ .
٣١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٥ـ١٠ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ـ١٣٥٩هـ .
الجهشياري (٣٣١/٩٤٢) : ابو عبدالله محمد بن عبدوس
٣٢ ـ الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وجماعته (مطبعة عيسى البابي الحلبي واولاده القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨ .
ابن حجر (٨٥٢/١٤٤٨) : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني
٣٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري ، الجزء الثاني عشر القاهرة ١٣٢٩هـ .
ابن ابي الحديد (٦٥٥/١٢٥٧) : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي الحديد
٣٤ ـ شرح نهج البلاغة ، ١٨ جزءا ، تحقيق محمد ابو الفضل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٩ـ١٩٦٣م . وطبعة دار الفكر بيروت (بلا تاريخ) .
ابن حزم (٤٥٦/١٠٦٣) : علي بن محمد بن سعيد
٣٥ ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ٥ اجزاء ، المطبعة الادبية القاهرة ١٣١٧ ـ ١٣٢٠هـ ، وبهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني .
الحميري (٥٧٣/١١٧٧) : ابو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان
٣٦ ـ الحور العين ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٨م .

ابن حنبل (٨٥٥/٢٤١) : احمد بن محمد
٣٧ ــ الرد على الجهمية والزنادقة (مطبوع ضمن كتاب شذرات البلاتين) القاهرة ١٩٥٦م .
٣٨ ــ المسند ، ٦ اجزاء ، القاهرة ١٣١٣هـ .
ابن حيون (٩٧٢/٣٦٣) : النعمان بن حيون التميمي
٣٩ ــ اساس التأويل ، تحقيق عارف تامر ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٠م .
الخطيب البغدادي (١٠٧٠/٤٦٣) : ابو بكر احمد بن علي
٤٠ ــ تاريخ بغداد ، ١٤ جزءا ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٦م .
ابن خلدون (١٤٠٥/٨٠٨) : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
٤١ ــ المقدمة ، الطبعة الادبية بيروت ١٩٠٠م . وطبعة مطابع دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦م . وطبعة مطبعة مصطفى محمد القاهرة بدون تاريخ .
ابن خلكان (١٢٨٢/٦٨١) : شمس‌الدين احمد بن محمد بن ابراهيم
٤٢ ــ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، جزءان ، المطبعة الميمنية بولاق ١٣١٠هـ . وطبعة مطبعة السعادة ، تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، في جزئين ايضا .
الخوارزمي (٩٩٧/٣٨٧) : ابو عبدالملك محمد بن احمد بن يوسف
٤٣ ــ مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق القاهرة بلا تاريخ .
الخياط (عاش في القرن الرابع الهجري) : عبدالرحيم بن محمد بن عثمان
٤٤ ــ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، تحقيق البير نادر ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧م .
الدارمي (٨٩٢/٢٨٠) : عثمان بن سعيد بن خالد
٤٥ ــ الرد على الجهمية ، تحقيق بروكلمان ، ليدن ١٩٦٠م .
ابن دريد (٩٣٣/٣٢١) : ابو بكر محمد بن الحسن
٤٦ ــ جمهرة اللغة ، حيدر آباد ١٣٤٥هـ .
الدهلوي (١٢٣٩هـ) : شاه عبدالعزيز غلام
٤٧ ــ مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية الى العربية غلام محمد واختصره محمود شكري الالوسي ، وعلق عليه محب‌الدين الخطيب ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٣هـ .
الديلمي (١٣١١/٧١١) : محمد بن الحسن
٤٨ ــ (من كتاب قواعد عقائد آل محمد) ، تحقيق ، شتروطمان ، استانبول ١٩٣٨م .

الدينوري (٢٨٢/٨٩٥) : احمد بن داود
٤٩ ـ الاخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر (مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٠م .
الذهبي (٧٤٨/١٣٤٧) : شمس الدين بن قايماز
٥٠ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، ٥ اجزاء ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٦٧-١٣٦٩هـ .
الرازي (٦٠٦/١٢٠٩) : فخر الدين
٥١ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق علي سامي النشار ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م
ابن رسته (٢٩٠/٩٠٢) : ابو علي احمد بن عمر
٥٢ ـ الاعلاق النفيسة باعتناء دي خويه ، ليدن ١٨٩٢م .
ابن رشيق (٤٦٣/١٠٧٠) : ابو علي الحسن بن علي القيرواني
٥٣ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده جزءان ، مطبعة السعادة القاهره ١٣٢٥هـ .
الرسيعني (عاش في القرن السابع للهجرة) : عبدالرزاق بن رزقالله .
٥٤ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده جزءان ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٤م .
الزبيري (٢٣٦/٨٥٠) : مصعب
٥٥ ـ نسب قريش ، تحقيق بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٣م .
ابن سعد (٢٣٠/٨٤٤) : ابو عبدالله محمد
٥٦ ـ الطبقات الكبير ، ٨ اجزاء ، طبعة ادوارد سخو ، ليدن ١٩٠٥-١٩٢١م .
ابن سلام (٢٢٤/٨٣٨) : ابو عبيد القاسم
٥٧ ـ كتاب الاموال ، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، مطبعة حجازي القاهرة ١٣٥٣هـ
السمعاني (٥٦٢/١١٦٦) : عبدالكريم بن محمد
٥٨ ـ كتاب الانساب تحقيق مرجليوث ، ليدن ١٩١٢م .
ابن سيده (٤٥٨/١٠٦٥) : ابو الحسن علي بن اسماعيل
٥٩ ـ كتاب المخصص ، المطبعة الاميرية بولاق ١٣١٩هـ .
ابن سينا (٤٢٨/١٠٣٦) : ابو علي الحسين بن عبدالله بن الحسين بن علي
٦٠ ـ رسالة اضحوية في امر المعاد ، تحقيق سليمان دنيا ، مطبعة الاعتماد القاهرة ١٣٦٨/١٩٤٩ .
السيوطي (٩١١/١٥٠٥) : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر
٦١ ـ تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٩م .

الشهرستاني (٥٤٨/١١٥٢) : ابو الفتح محمد بن عبدالكريم
٦٢ ـ كتاب الملل والنحل ، ٥ اجزاء ، بهامش كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ، المطبعة الادبية القاهرة ١٣١٧ـ١٣٢٠هـ .
الصادق (١٤٨/٧٦٧) : جعفر بن محمد
٦٣ ـ توحيد المفضل ، النجف ١٣٦٩هـ .
الطبرسي (توفي في اواخر القرن الخامس الهجري) : ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب
٦٤ ـ الاحتجاج على اهل اللجاج ، طهران ١٣٠٢هـ .
الطبري (٣١٠/٩٢٢) : ابو جعفر محمد بن جرير
٦٥ ـ تاريخ الامم والملوك ، طبعة ليدن ١٨٧٦ـ١٩٠١م في ١٣ جزءا والطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٦هـ ، في ١٣ جزءا ، وطبعة مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩/١٣٥٧ ، في ٨ اجزاء .
ابن الطقطقي (٧٠٩/١٣٠٩) : فخرالدين محمد بن علي بن طباطبا
٦٦ ـ الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (مطبعة محمد علي صبيح واولاده القاهرة بدون تاريخ) .
العباسي (٩٦٣/١٥٥٥) : عبدالرحيم عبدالرحمن بن احمد
٦٧ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، دار الطباعة المصرية القاهرة ١٢٧٤هـ .
ابن عبد ربه (٣٢٨/٩٣٩) ابو عمر احمد بن محمد
٦٨ ـ العقد الفريد ، تحقيق احمد امين وجماعته ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨ـ١٩٥٣م .
أبو عبيدة (٢١٠/٨٢٥) : معمر بن المثنى
٦٩ ـ النقائض ، تحقيق بيفان ، ليدن ١٩٠٨ـ١٩٠٩ .
العراقي (٥٠٠/١١٠٦) : ابو محمد عثمان بن عبدالله
٧٠ ـ الفرق المفترقة بين اهل الزيغ والزندقة ، تحقيق يشار تولواى انقرة مطبعي ١٩٦١م .
الغزالي (٥٠٥/١١١١) : ابو حامد محمد بن محمد
٧١ ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، تحقيق سليمان دنيا ، دار احياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٦١/١٣٨١ .
الفردوسي (٤١١/١٠٢٠ وقيل ٤١٦/١٠٢٥) : ابو القاسم
٧٢ ـ الشاهنامه ترجمة الفتح بن علي البنداري ، جزءان ، تصحيح وتعليق عبدالوهاب عزام ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٥٠/ ١٩٣٢ .

الفيروزاباذي (١٥٥٤/٩٦٢) : مجدالدين ابو طاهر محمد بن يعقوب
٧٣ ـ القاموس المحيط ، ٤ اجزاء ، المطبعة المصريه القاهرة ١٣٥٢/ ١٩٣٥ .
القاسم بن ابراهيم (٨٦٠/٢٤٦)
٧٤ ـ كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع ، روما ١٩٢٧م .
القاضي (١٠٢٤/٤١٥) : عبدالجبار
٥٧ ـ المغني في ابواب التوحيد والعدل ج١٦ ، تحقيق امين الخولي ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٦٠/١٢٨٠ .
ابن القارح (١٠٣٠/٤٢١) : ابو الحسن علي بن منصور بن طالب
٧٦ ـ رسالة ابن القارح مع رسالة الغفران لابي العلاء المعرى ، تحقيق الدكتورة بنت الشاطي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣م .
ابن قتيبة (٨٨٩/٢٧٦) : عبدالله بن مسلم
٧٧ ـ الشعر والشعراء ، جزءان ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤م .
٧٨ ـ المعارف ، تحقيق محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الاسلامية القاهرة ١٩٣٤م .
القرشي (٧٨٧/١٧٠) : ابو زيد محمد بن الخطاب
٧٩ ـ جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٨هـ .
القمي (٩١٢/٣٠١) : سعد بن عبدالله بن ابي خلف الاشعري
٨٠ ـ كتاب المقالات والفرق ، تحقيق محمد جواد مشكور ، طهران ١٩٦٣م .
ابن القيم (١٣٥٠/٧٥١) : شمس‌الدين ابو عبدالله ابن القيم الجوزية .
٨١ ـ اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، جزءان ، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٥٧ـ١٣٥٨هـ .
الكتبي (١٣٦٢/٧٦٤) : محمد بن شاكر بن احمد بن عبدالرحمن
٨٢ ـ فوات الوفيات جزءان تحقيق محي‌الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥١م .
ابن كثير (١٣٧٢/٧٧٤) : اسماعيل بن عمر
٨٣ ـ البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزءا ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨ـ١٣٥٨هـ .
الكردرى (١٤٢٣/٨٢٧) : حافظ الدين محمد بن محمد
٨٤ ـ مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة ، حيدر آباد الدكن ١٣٢١هـ .
الكشي (٩٥١/٣٤٠) : ابو عمرو محمد بن عمر بن عبدالعزيز
٨٥ ـ اخبار الرجال ، بومباي ١٣١٧هـ .
الكلبي (١٢٤٠/٦٣٣) : عمر بن الحسن بن علي بن محمد ابو الخطاب بن دحية
٨٦ ـ كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تحقيق عباس العزاوي مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٦/١٣٦٥ .

الكليني (٣٢٩/٩٤٠) : ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق
٨٧ ـ اصول الكافي . تحقيق عبدالحسين المظفر . النجف ١٢٧٧/١٩٥٧ .
ابن كمال باشا (٩٤٠/١٥٣٣)
٨٨ ـ رسالة في تحقيق لفظ زنديق وتوضيح معناه لغة وشرعا وبيان حكمه تحقيق حسين علي محفوظ ـ مجله كلية الاداب العدد الخامس ، بغداد ١٩٦٢م .
الماوردي (٤٥٠/١٠٥٨) : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب
٨٩ ـ الاحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى الحلبي . القاهرة ١٣٥٧هـ .
المبرد (٢٨٥/٨٩٨) . ابو العباس محمد بن يزيد
٩٠ ـ الكامل في اللغه تحقيق الدكتور زكي مبارك . القاهرة ١٣٥٥هـ ، وتحقيق احمد محمد شاكر مطبعه البابي الحلبي . القاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧ .
ابن المرتضى (٨٤٠/١٤٣٦) : احمد بن يحيى
٩١ ـ طبقات المعتزلة ، تحقيق سوسنه ـ ديفلد فلزر ، نشر فرانز شتايتر فيسبادن ، بيروت ١٩٦١ .
المسعودي (٣٤٦/٩٥٧) : ابو الحسن بن الحسين بن علي
٩٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٩ اجزاء ، باريس ١٨٦١ـ١٨٧١م وطبعة المطبعة البهية في جزئين ، القاهرة ١٣٤٦هـ ، وطبعة مطبعة دار الرجاء ، ٤ اجزاء ، تحقيق محي‌الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٣٨م .
٩٣ ـ التنبيه والاشراف ، دار الصاوي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨م .
المعري (٤٤٩/١٠٢٧) : ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان
٩٤ ـ رسالة الغفران ، تحقيق بنت الشاطيء ، القاهرة ١٩٥٠م ، ومطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ .
المقريزي (٨٤٥/١٤٤١) : تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر
٩٥ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ٤ اجزاء ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٤ـ١٣٢٦هـ .
٩٦ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤م .
الملطي (٣٧٧/٩٨٧) : ابو الحسن محمد بن احمد
٩٧ ـ التنبه والرد على اهل الاهواء والبدع ، تحقيق محمد زاهد الكوثري القاهرة ١٣٦٩/١٩٤٩ .
ابن منظور (٧١١/١٣١١) :محمد بن عبدالكريم
٩٨ ـ لسان العرب ، ٢٠ جزءا ، بولاق ١٣٠٠ـ١٣٠٧هـ ، وطبعة دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ـ١٩٥٦ ، في ١٥ جزءا .

ابن نباته (١٣٦٦/٧٦٨) : جمال الدين محمد بن محمد
٩٩ ـ سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعه المدني ، القاهرة ١٩٦٤/١٣٨٣ .
ابن النديم (٩٩٢/٣٨٢) : محمد بن اسحاق
١٠٠ـ الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة بدون تاريخ .
النوبختي (٨١٧/٢٠٢) : ابو محمد الحسن بن موسى
١٠١ـ كتاب فرق الشيعة ، تصحيح هـ. ريتر ، مطبعة الدولة ، استانبول ١٩٣١م ، وتحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٣٦/١٣٥٥ .
النويري (١٣٣١/٧٣٢) : شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب
١٠٢ـ نهاية الارب في فنون الادب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٩/١٣٦٩ .
ابن هشام (٨٣٣/٢١٨) : محمد بن عبدالملك
١٠٣ـ سيرة النبي ، ٤ اجزاء ، تحقيق محي‌الدين عبدالحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٩٣٧/١٣٥٦ .
اليافعي (١٣٦٦/٧٦٨) : عبدالله بن اسعد
١٠٤ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٤ اجزاء ، حيدر اباد ١٣٣٨ـ ١٣٣٩هـ .
ياقوت (١٢٢٨/٦٢٦) : شهاب‌الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي
١٠٥ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، المعروف ـ بمعجم الادباء ـ ٧ اجزاء ، تصحيح واعتناء مرجليوث ، القاهرة ١٩٢٣ـ١٩٣١م ، ومطبوعات دار المأمون ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ١٩٣٨/١٣٥٧ .
اليعقوبي (٨٩٧/٢٨٤) : احمد
١٠٦ـ تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ٣ اجزاء ، النجف ١٣٥٨هـ ، وطبعة دار صادر جزءان ، بيروت ١٩٦٠/١٣٧٩ .
ابو يوسف (١٩٢/٨٠٧ـ٨٠٨) : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب
١٠٧ـ كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦هـ .
٢٠٨ـ نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر ، باعتناء غريازنيويبج ، موسكو ١٩٦٠ .

ثانيا ـ المصادر الحديثة :

اربري أ. ج.ج واساتذة من المستشرقين
١ ـ تراث فارس ترجمة محمد كفافي وجماعته ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٩م .

آل كاشف الغطاء : محمد الحسين (ت ١٣٧٣/١٩٥٤)
٢ – اصل الشيعة واصولها ، الطبعة التاسعة .
البير نادر
٣ – اهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨ .
الالوسي (١٣٤٢هـ) : محمود شكري
٤ – بلوغ الارب في احوال العرب ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣١٤هـ ، في ثلاثة اجزاء .
احمد امين
٥ – ضحى الاسلام ، ٣ إجزاء ، الطبعة الخامسة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٥/١٩٥٦ .
٦ – فجر الاسلام ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩م .
بارتولد ف.
٧ – تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر .
بديع شريف :
٨ – الصراع بين العرب والموالي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٥٤م .
بلات – شارل
٩ – الجاحظ ، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ، دار اليقظة العربية ، للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٦١م .
بدوى ، عبدالرحمن :
١٠ – التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٦م .
١١ – من تاريخ الالحاد في الاسلام ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٥م .
بروكلمان ، كارل :
١٢ – تاريخ الشعوب الاسلامية ، ٥ اجزاء ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠م .
١٣ – تاريخ الادب العربي ، ٣ اجزاء ، ترجمة عبدالحليم النجار ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢م .
بليع ، عبدالحليم :
١٤ – ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٥٩م .

جب :
١٥ ـ دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس واخرين ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤ .

جمال الدين سرور :
١٦ ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، دار الثقافة العربية للطباعة ، القاهرة ١٣٨٠/١٩٦٠ .

الجومرد ، عبدالجبار :
١٧ ـ الاصمعي ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٥م .
١٨ ـ يزيد بن مزيد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦١ .

حسن ابراهيم حسن :
١٩ ـ تاريخ الاسلام السياسي ، ٣ اجزاء ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٤٥ ، والطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٦٥م .
٢٠ ـ النظم الاسلامية ، ط١ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩ .
٢١ ـ تاريخ الدولة الفاطمية ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٤م .
٢٢ ـ انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٤م .

الدجيلي ، عبدالصاحب :
٢٣ ـ الشعوبية ، ط٢ ، مطبعة القضاء ، النجف ١٣٨٠/١٩٦٠ .

الدوري ، عبدالعزيز :
٢٤ ـ العصر العباسي الاول ، مطبعة التفيض الاهلية ، بغداد ١٩٤٥م .
٢٥ ـ دراسات في العصور العباسية المتاخرة ، شركة الرابطة للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٤٥ .
٢٦ ـ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٩ .
٢٧ ـ النظم الاسلامية ، مطبعة نجيب ، بغداد ١٩٥٠ .
٢٨ ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .
٢٩ ـ الجذور التاريخية للشعوبية ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٢ .

دينيت ، دانيل :
٣٠ ـ الجزية والاسلام ، ترجمة الدكتور فوزي فهيم جاد الله مراجعة احسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٠ .

ديورانيت ، ول :
٣١ ـ قصة الحضارة ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٠ .

عبدالعال محمد جابر :
٢٢ ـ حركات الشيعه المتطرفين واثرهم في الحياه الاجتماعيةوالادبيه ، مطبعة السنه المحمديه ، القاهرة ١٢٧٣/١٩٥٤ .

العلي ، صالح احمد :
٢٣ ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصاديه في البصره ، مطبعه المعارف ، بغداد ١٩٥٣ .
٢٤ ـ محاضرات في تاريخ العرب ، ط٢ ، مطبعه المعارف ، بغداد ١٩٥٩ .
٢٥ ـ المؤلفات العربية في المدينة والحجاز ـ مستل من المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٨٢/١٩٦٤ .

العقاد ، عباس محمود :
٣٦ ـ كتاب الله ، سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة بلا تاريخ .

ابو ريده ، محمد عبدالهادي :
٣٧ ـ ابراهيم بن سيار النظام ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٦ .

زكي محمد حسن :
٣٨ ـ الفنون الايرانية ، مطبعة دار الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٠ .

زيدان ، جرجي :
٣٩ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، ٥ اجزاء ، مراجعة حسين مؤنس مطبعة دار الهلال ، القاهرة .

الزهيري ، محمود غناوي :
٤٠ ـ نقائض جرير والفرزدق ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ١٩٥٤ .

طه حسين :
٤١ ـ حديث الاربعاء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٦/ ١٩٣٧ .

فان فلوتن :
٤٢ ـ السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٤ .

الفكيكي ، عبدالهادي :
٤٣ ـ الشعوبية والقومية العربية ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦١ .

فلهاوزن ، يوليوس :
٤٤ ـ الخوارج والشيعة ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ .
٤٥ ـ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٦/١٩٥٦ .

القياض ، عبدالله :
٤٦ ــ تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٣٦٧/١٩٤٨ .
كرستنسن ، آرثر :
٤٧ ــ ايران في عهد الساسانيين ، ترجمه يحيى الخشاب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ .
محمد عبده :
٤٨ ــ رسالة التوحيد ، الطبعة السابعة ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٣٧٦/١٩٥٦ .
محمد كرد علي :
٤٩ ــ رسائل البلغاء ، ط ٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ .
محمد نبيه حجاب :
٥٠ ــ مظاهر الشعوبية في الادب العربي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٣٨١/١٩٦١ .
٥١ ــ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلدان العاشر والثالث عشر ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة .

المصادر الاجنبية :

1. Browne, E. G. A Literary History of Persia, (Vol. I, Cambridge, 1929).
2. Bukhsh, Islamic Civilization, (Calcutta 1929).
3. Goldziher, Lgn: Mohammedanischen Studien, 2 Vols. (Halle, 1889).
4. Hitti Philip, History of the Arabs, London 1937.
5. Lewis Bernard, The Origins of Islamism, (Cambridge, 1940).
6. McDonald, Shu'ubiyya, Encyclopedia of Islam, Vol. 4.
7. Nicholson, R. A., A Literary History of the Arabs, (Cambridge 1930).
8. O'Leary De Lacy, Arabic Thought and its Place in History, (New York 1936).
9. Wellhausen, J., The Arab Kingdom and its Fall, (Calcutta 1927).

الفصل الاول

اسباب قيام الحركة الشعوبية

٩ ـ ٤٣

الفصل الثاني

مظاهر الشــعوبية

٤٥ ـ ١٢٢

الفصل الثالث

اساليب واهداف الحركة الشعوبية

١٢٥ ـ ١٥٢

الفصل الرابع

موقف العرب من الشعوبية

١٥٣ ـ ١٩٥

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغـــداد
(١٦٦٢) لسنـــة ١٩٨٠

دار الحرية للطباعة ـ بغـــداد
١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م